لعبتُ بإتقان وها هي مفاتيحي

نزار قباني

مدخل

شرح الشعر ، حماقة .

والتنظير له ، أكبر أنواع الحماقات .

هذا رأيي منذ زمن بعيد . ورغم تشبثي بهذا الرأي ، فإنني لا أدري ، ما عدد الحماقات التي ارتكبتها ، على مدى خمسين عاماً من مسيرتي الشعرية ، حين قبلت أن أكون واعظاً .. أو معلماً .. أو شيخ طريقة في الشعر .. ثم ما عدد المرات التي استدرجوني فيها ، لأكون ملاكماً ... أو لاعب كاراتيه .. أو مصارع ثيران في (كوريدا) الشعر .

وبرغم ألوف الأحاديث الصحفية التي أعطيتها منذ الأربعينات حتى اليوم عن الشعر ، فإنني متأكد أن الشعر بقي دائماً خارج الغرفة التي جرى فيها الحوار .

فكلما دخل صحافي ، أو ناقد ، أو رجل إذاعي أو تلفزيوني عليَّ ، لبس الشعر معطفه ، وهرب من الباب الخلفي ...

أي أن الشعر ، كان يرفض دائماً أن يستقبل زواري .. ويرفض أن يسلم عليهم .. أو يشرب القهوة معهم .. بل كان يرفض أن يرد عليهم حتى على التلفون ...

وعندما كان ضيوفي يسألونني عن الشعر .. كنتُ أخترع عشرات الأعذار الكاذبة ، فأقول لهم مرة إنه مسافر ، ومرة إنه مريض ، وحيناً إنه مصاب بمرض الكآبة ، وحيناً آخر ، كنتُ أقول إن عنده حساسية من دخان السجائر ...

وهكذا كانت كل حواراتي عن الشعر .. تجري في غياب الشعر .

كان الشعر ، هو ذلك الطفل المفقود الذي ينادون عليه بمكبرات الصوت في المطارات ، والمرافئ ، ومحطات السكة الحديدية ، ولكنه يرفض أن يسلم نفسه ..

هل هذا معقول ؟ قد تسألون .

وهل من الممكن أن تقضي خمسين عاماً من عمرك ، تنام مع الشعر .. وتصحو مع الشعر .. وتأكل وتشرب مع الشعر .. وتتخانق مع الشعر .. ثم تأتي الآن لتقول : إن أهرامات الورق والحبر التي تحدثت فيها عن الشعر .. لا تشبه الشعر ؟ ..

بكل شجاعة ، أقول لكم : نعم .

الشعر لا يشبه أحداً .. ولا يشبهه أحد ...

ومن لديه صورة فوتوغرافية للشعر ، من عصر فيرجيل ودانته ، وهوميروس ، إلى عصر المتنبي ، وأبي تمام ، والعباس بن الأحنف ، فليتقدم بها إلى أول مخفر بوليس ، أو إلى أي وزارة ثقافة .. وله مكافأة عشرة آلاف دولار ...

طبعاً .. لن يتقدم أحد لنيل المكافأة .

لأن الشعر نفسه ، ليس لديه صورة محفوظة في الأرشيف ، فهو منذ طفولته يهرب من كل الكاميرات ... ومن كل المصورين ...

ورغم أن أكثر الشعراء يحبون أن يتصوروا .. وأصابعهم على جبينهم .. والغليون في فمهم .. ومجلدات الكتب فوق رؤوسهم .. فإن الشعر لا يحب أن يتصور ... لأنه يعتبر التقاط التصاوير ، نوع من الاستعراضية .. والنرجسية .. وقلة العقل .

ولكن ما ذنبي أنا .. إذا كان العرب يحبون أن يصوروا كل شئ .. من العيون البنفسجية .. إلى (الجيشا) اليابانية .. إلى (جانين الفرنسية) .. إلى النهود البيضاء التي جاءتنا مع الحروب الصليبية ؟ ...

ثم ما ذنبي أنا .. إذا كان أكثر الشعراء العرب يحبون أن يتصوروا وهم في حالة (الطلق) .. والقابلة القانونية تمسح عرقهم .. وتكتم صراخهم .. وتدهن بطنهم بالزيت .. وهي تعرف مسبقاً أن رأس الطفل لن يخرج أبداً ... لأن حملهم كاذب ...

وأخيراً ما ذنبي .. إذا كانت الصحافة العربية التي لا تمتلئ أمعاؤها الغليظة أبداً ، تطالب الشعراء بأن يقدموا للقراء صحناً يومياً .. فيه الكثير من (حواضر البيت) .. والقليل من الشعر ...

إن مطاعم الشعر ، تفتح كالصيدليات المناوبة ، ليلاً .. ونهاراً ...

ولكن أكثر الزبائن ، هربوا .. أو تسمموا ...

وقد كان من رأيي ، أن على الشاعر ، ـ إذا كان يملك الشهية ـ أن يتحدث حديثاً طويلاً عن أشيائه الأدبية الجديدة مرة كل عام أو عامين . ثم يدخل بين الكواليس ، لأن الوقوف الطويل تحت أضواء الكاميرات ، سوف يحرق وجهه .. ويحرق تاريخه ..

ولذلك ، اتخذت بيني وبين نفسي قراراً ، بأن أكتب شعراً .. ولا أتورط في شرحه ، أو تفسيره أبداً ...

وقد التزمت بهذا القرار أدبياً وواقعياً ، إلا في الحالات التي كنت أشعر فيها ، أن الفريق الذي جاء ليحاورني ، على مستوى حضاري وشعري مرتفع ، وأن الحوار المقترح ، يمكن أن يفتح كوة صغيرة في فضاء التجربة الشعرية ، ويضئ زاوية خلف ستائر النفس ..

إن مقابلاتي الشعرية ضاع أكثرها ـ والحمد لله ـ لأن أسفاري الكثيرة شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، لم تسمح لي بأن أحمل أهرامات من الورق على كتفي .. وأقطع بها المحيط ..

هناك أدباء ، يجمعون كالنملة ، كل حرف قيل عنهم ، أو قالوه عن أنفسهم ، منذ عصر جلجامش إلى يومنا هذا ... ويفرضون على الصحافة صوراً أخذت لهم أيام كانوا في دار الحضانة ...

أما أنا ، فغير مكترث بجمع (كلماتي المأثورة) .. لسبب بسيط ، وهو أنه ليس عندي كلمات مأثورة ...

وغير مكترث بسماع صوتي المسجل على شريط في إحدى الأمسيات الشعرية ، لأنني أضيق بسماع صوتي مرة ثانية ، عندما تتغرغر به آلة التسجيل ، وأعتبر ذلك ، ذروة العذاب الإنساني .

ثم إني غير مكترث بتوجيه النصائح الشعرية إلى الأجيال الصاعدة .. لأنني لا أزال بحاجة إلى من ينصحني ...

لا (الفهرسة) تعنيني ...

ولا (الأرشفة) تعنيني ...

ولا (البرمجة) تعنيني ...

كل ما يعنيني ، أن أقفل على نفسي باب الغرفة ، وأنطح رأسي بالحائط .. حتى يسيل دمي .. ودم الشعر ...

وإذا كنت لا أحب تصريحاتي الصحفية التي أعطيتها .. ولا التصريحات التي سوف أعطيها ..

فلماذا أنشر هذا الكتاب الذي يضم بعضاً من الحوارات التي أجريت معي خلال السنوات الأخيرة ، وأرى أنها تشبهني ، وتخترقني كأشعة (اللايزر) ؟

إن سبب النشر ، يعود إلى طبيعة هذه الحوارات ذاتها ، فهي حوارات تتميز أولاً ، بالبعد الحضاري ، والثقافي ، والإنساني ، ولا تسقط في السطحية ، والعدوانية ، والابتذال ...

وهذه الحوارات ، ثانياً ، هي حوارات مواجهة ، وتحد ، واستفزاز .. لا حوارات مجاملة ، وتدليس ، ونفاق نقدي ، تمليه روح الشللية والإخوانيات ...

وهذه الحوارات ، ثالثاً ، محاولة للبحث عن الجذور ، والدخول تحت جلد القصيدة ، وقراءة النص الشعري ، من موقف حضاري مرتفع ، بعيداً عن الفكر السادي ، والشوفيني ، والجادانوفي ...

إن أسئلة الشعر ، التى تـُطرح على الشاعر ، يمكن أن تفتح نافذة على البحر .. كما يمكن أن تكون كالسيارات المفخخة التي تقتل القمر .. والأطفال .. وسنابل القمح .. لا لشئ إلا لشهوة القتل .

وأنا ، إذ أسمح لنفسي بنشر هذه الحوارات الحضارية الراقية ، التي أجريت معي في أزمنة وأمكنة مختلفة ، فلكي أؤكد عبثية أي نقد يحاول أن يغتال قصيدة .. أو يضع لغماً فوق سطح القمر ...

جنيف 1989/3/21 نزار قباني

لماذا أكتب ؟

1

أكتب لكي أتكاثر ..

لكي أتعدد ..

لكي أتناسل سنابل ، وأقواس قزح ، وأبجديات ..

أكتب ..

كي أصبح 150 مليون نزار قباني ..

إذا نقصوا واحداً ، أتضايق ..

وإذا نقصوا مئة ، أقلق ..

وإذا نقصوا ألفاً .. ترتفع درجة حرارتي

وأستدعي الطبيب فوراً

لأنني أعتبر حالتي الشعرية خطيرة

هذه خارطة طموحي

وعيني دائما على البحر ..

2

الكتابة السرية ، لا أتقنها

وإذا فتشتم جواريري

لن تجدوا قصيدة واحدة

حسبتها في زنزانة إنفرادية

لن تجدوا فراشة واحدة

ماتت اختناقاً ...

3

كل بناياتي بنيتها على أرض البشر

ولم أشيد بناية واحدة

لسكنى الملائكة ..

خمسين عاما .. ركضت وراء جمهوري

حتى ألقيت القبض عليه ..

كما يقبض الطفل على بنفسجة ....

4

كتبت للنساء ..

فتفتحت أنوثتهن بوقت أسرع

وكتبت للعصافير ..

فأصدرت بيانها الأول عن الحرية

وكتبت للعيون السود ..

فازداد سوادها ..

وكتبت للشفاه ..

فاكتشف العالم صناعة النبيذ

وكتبت للنهد ..

فازدادت ثقته بنفسه ....

وكتبت للأشجار ..

فطالت ضفائرها ...

5

لماذا أكتب ؟

ربما لأنني لا أعرف أن أفعل شيئاً آخر

غير الكتابة ..

وربما لأن هوايتي

هي أن ألعب بأعواد الكبريت ..

وربما لأنني أريد أن أنقذ القمر

من رصاص القناصين

وأثداء النساء من التعليب

ووردة الشعر ..

من تحت جنازير الدبابات ...

6

لماذا أكتب ؟

ربما كي أنتصر على موتي ..

وربما ..

للدفاع عن آخر الأحرف الأبجدية

وآخر مطبعة ..

وآخر كتاب ..

وآخر كاتب ..

لم تصرعه المسدسات الكاتمة للصوت ..

بيروت 1985/5/16

لعبتُ بإتقان ، وها هي مفاتيحي ..

حوار مع مجلة الكرمل - نيقوسيا - العدد 1988/28

حكاية هذا الحوار

حين قررنا إجراء حوار لمجلة الكرمل مع الشاعر نزار قباني ، كان علينا الوصول إلى متميز كثيف في شخصه ، ووعيه ، فالحوارات معه كثيرة لا تحصى في الصحافة ، وهي تلقي - أبداً - بظل نمطي بين يدي القارئ ، في حين ينفلت الشاعر من مواجهته الأقسى : ما الذي فعلت بالشعر ؟

ومن أجل أن لا يكون هذا الحوار استنطاقاً أحادياً ، يحدد السياق لخطاب واحد ، فقد استنفرت بعض الأصدقاء الذين يكتبون الشعر والنقد معاً ، لنضع صيغة أكثر شمولاً - بالتقويم الذي تحتكم إليه ذائقة كل واحد ، ثقافياً - في مواجهة أنفسنا ، كجيل ، وفي مواجهة الشاعر الذي وحد من حوله مفارقات هائلة في التاريخ الراهن ، على المستوى النثري ، والشعري .

لهذا ، وبحكم اختلافنا - كالتناقضات التي في خطاب الشاعر نفسه - كانت الأسئلة التي كتبناها قاسية وحنونة ، شاردة ومنسقة في الآن ذاته ، فنزار قباني ((جبهة)) على خط التاريخ ، ولا نستطيع التكهن بالأسلحة التي تخفيها تلك ((الجبهة)) من أجل اقتحام أكبر ، في اتجاه زمن أكبر .

كتبنا الأسئلة ، وحملتها إليه قبل ستة أعوام .

أخذ على نفسه وعداً بتسليم أجوبته في أسبوع ، فحطم الإسمنت الذي تطاير ، في انفجار مجنون ، وعده : لقد قضت زوجه ((بلقيس)) في لعبة التناحر العمياء . فلم أعد إليه إجلالاً لألمه .

لكن الوقت داهمنا بحصار إسرائيلي لبيروت ، فيما بعد ، بفترة لم يكن ألمه أعاد إليَّ شجاعة سؤاله ، كصديق ، عن أسطر من كلام مكتوب : فإذا بي أذكره بعد سنين ـ هو في منفى ، وأنا في منفى ـ فيداهمني بأجوبته ، بعد أن زار أوراقه في بيروت زيارة قصيرة ، مدوناً في رسالته المرفقة :

((حدثت المعجزة ، ووجدت الأسئلة التي وجهتها إليَّ في نهاية القرن العاشر للهجرة)) ..

سليم بركات

*** قيل كثيراً : ((الشعر يغير العالم)) . لكن الصراعات الاجتماعية (الطبقية تحديداً) وكذلك السياسة ، والحروب ، التي هي ذروة اللا حوار ؟ كلها ، مجتمعة ، تغير العالم . ما واقع هذا القول في ضوء تجربتك الطويلة ؟**

ـ عندما يقول الشاعر بأنه بشعره سيغير العالم فيجب أن نصدقه ، تماماً كما نصدق الطفل عندما يخبرنا أنه امتطى غيمة ، أو اصطاد نجمة ، أو تكلم مع فراشة .

وعندما يقول لنا نابوليون ، أو كارل ماركس ، أو ماكيافيلي ، أو هتلر ، أو الإسكندر المقدوني ، أو ستالين ، أو هولاكو .. أو نيرون .. أو إسحق شامير .. إنهم غيروا العالم ، فيجب أن نصدقهم أيضاً .

وعندما يقول لنا الطيار الأميركي الذي ألقى القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما ، وقتل نصف مليون ياباني في ثانية واحدة ، أنه غير مصير الجنس البشري ، فيجب أن نصدقه أيضاً .

كل من يملك السلطة يغير العالم على طريقته : الديكتاتور يغير العالم على طريقته ، والعسكري يغير العالم على طريقته ، والشرطي يغير العالم على طريقته ، والراهبة تغير العالم على طريقتها ، والمومس تغير العالم على طريقتها ، والأنبياء ، واللصوص ، والملوك ، والصعاليك ، والسكارى ، والمجانين ، والحشاشون ؛ كل واحد من هؤلاء يقول إنه سيغير العالم . والواقع أن جميع الناس يحلمون بالتغيير ، ولكن الوسائل تختلف ، والمواقف تختلف ، والسلوكيات تختلف .

ثم أن النساء أيضاً يغيرن العالم . كليوباترا غيرت خرائط الإمبراطورية الرومانية ، ونفرتيتي غيرت خطوط الحضارة الفرعونية ، وشجرة الدر غيرت تاريخ المماليك ، وماريا كالاس غيرت مسار السفن اليونانية التي يملكها أوناسيس ، وماري أنطوانيت رفعت سعر الخبز في باريس ، وجورج صاند غيرت موسيقى شوبان ، وجيهان السادات شدت أنور السادات من أذنيه إلى تل أبيب ، وجسد مارلين مونرو الجميل لخبط أدب آرثر ميللر ، وأحذية مدام ماركوس ساعدت على طرد زوجها من الفيليبين ، وألبرتو مورافيا دخل بين شفتي زوجته الصغيرة جداً كارمن ولم يعد حتى كتابة هذه السطور .

إذن فدعاوى التغيير لا تنتهي ، حتى النملة تستطيع أن تدعي أنها المسؤولة عن تنظيم حركة المرور تحت قشرة الكرة الأرضية ، كما يستطيع العصفور أن يدعي أنه أسس أول شركة طيران في العالم ، قبل أن تكون شركة البان أميركان ، والإير فرانس ، والخطوط الجوية البريطانية .

وإذا كان الجنرالات ، والعقداء ، وأصحاب الميليشيات يغيرون أسرع منا ، ويقتلون أسرع منا ، ويغيرون العالم بالسيارات المفخخة ، والمسدسات المكتومة الصوت ، وطائرات الـ إف - 16 فإن الشعراء يغيرون بالسرعة الإملائية ، ويغيرون ضمير الإنسان ، كما تفعل حنفية الماء : نقطة .. نقطة .. نقطة ..

نحن الشعراء ، نؤمن بسباق المسافات الطويلة .

صحيح أن المسدس المكتوم الصوت أشطر منا ، والرصاصة أسرع منا ، ولكن الوردة ، حتى تطلع ، بحاجة إلى تسعة أشهر من الصبر ، والشغل ، والتحضير .

نحن لا نريد أن ندخل في سباق مع المسدس ، أو مع المشنقة ، أو مع الكرسي الكهربائي ، ولا نؤمن أصلاً بالورد البلاستيكي المزروع في المختبرات .

نحن من سلالة أيوب عليه السلام ، ولدينا من مخزون الصبر والتحمل ما يرشحنا للانتصار بالضربة القاضية ، أو بالقصيدة القاضية ، على كل جبخانات الأسلحة النووية المخزونة في العالم .

أما إذا سألتموني عن تجربتي ، فأقول لكم إنني حفرت الوجدان العربي ، خلال أربعين عاماً ، على طريقة حنفية الماء : نقطة .. نقطة .. نقطة .

لم أستعمل المواد البلاستيكية ، ولم ألجأ إلى العبوات الناسفة ، والديناميت ، ولكنني في كل أمسية شعرية ، بين المحيط والخليج ، حركت المياه الجوفية في داخل الإنسان العربي ، وزرعت نخلاً ، ورماناً ، وتفاحاً ، في الأرض المالحة .

وبعد أربعين عاماً من التنقيط ، والري ، وتوزيع قنوات الماء ، أشعر أن الأرض صارت أقل ملوحة ، وأن نهد المرأة العربية صار شجرة ياسمين ، وأن الرجل العربي صار يستعمل الشوكة والسكين ، وهو جالس على مائدة الحب ، بعد أن كان يأكل بأظافره ، وأنيابه ، على طريقة الماو ماو ..

وهذا تقرير موجز عما أحدثت من تغييرات على خارطة الشعر العربي ، وأرجو أن تقرأوه دون أن تتهموني بالنرجسية والغرور :

أولاً ـ بعد أن كان الحب مقموعاً ، وخائفاً ، ومطارداً ، وملعوناً ، ومكروهاً ، ومرفوضاً ، وسرياً ، أخرجته من ((التابو)) ، ومنحته الشرعية والعلنية .

ثانياً ـ بعد أن كانت اللغة الشعرية ، إقطاعية ، وطبقية ، ومتجبرة ، ومتكبرة ، وغليظة ، وثقيلة الدم ، علمتها فن العلاقات العامة ، وطريقة الحوار الديمقراطي ، وأجبرتها على النزول إلى المقاهي والمطاعم الشعبية والشوارع الخلفية ، والاختلاط بالبروليتاريا . وباختصار كنت أول من أعلن ((تأميم الشعر)) ، قبل أن يؤمم جمال عبد الناصر قناة السويس .

ثالثاً ـ بعد أن كان ((الخطاب السياسي)) خطاباً تلفيقياً ، انتهازياً ، انكشارياً ، ارتزاقياً ، حكومياً ، انبطاحياً ، حولته إلى حزب راديكالي ، وأغلقت باب الارتزاق في الشعر ، سواء كان بالدولار ، أو بالمارك ، أو بالجنيه الإسترليني ، وشنقت جميع المرتزقين بحبال قصائدهم .

*** في كل شعرك ((السياسي)) أنت ناقم ، ثائر . لكنك ـ كشخص ـ لم تنخرط في مواجهة مع نظام ، كأن شعرك ((عموم)) وكأنك ـ كفرد ـ تخصيص . ونحن نعلم أن الكلام ، في عمومية إطلاقه ، لا يستثير نظاماً . والشخص ، كتخصيص في الموقف ، يجعل من نفسه عرضة للانتقام . أين أنت من هذا وذاك ؟**

ـ إنني خلاف ما تقول تماماً ، في مواجهة مع جميع الأنظمة . والمعيار لهذه المواجهة الشرسة والمستمرة ، هي كتبي ، فكل الأنظمة تستعمل ((الفيتو)) ضد كتاباتي ، وكل الكلاب البوليسية صارت تعرف رائحة حروفي عن ظهر قلب .

وأنا لا أوافقك على ضرورة التسمية في الشعر ، فالتسمية في الشعر تسئ إلى الشعر ، وتحوله إلى خناقة في شارع . أو إلى ثأر شخصي . وأنا كشاعر . لا أثأر من أشخاص ، وإنما أثأر من أفعال وممارسات وانحرافات قومية .

الشعر هو فن الإشارة والإيماء ، ولا علاقة له بفن الكاراتيه ، والمصارعة اليابانية ، والإعلانات المبوبة .

أنا حين ، أتحدث عن الديكتاتورية ، فإنني أثير الأذهان ، أكثر مما لو تحدثت عن ديكتاتور واحد . وحين أتحدث عن الكذب والعهر السياسي ، فإنني أحرك فضول الناس ، أكثر مما لو تحدثت عن كذاب واحد ، أو متعهر واحد . وحين أتحدث عن الطاعون الذي يفترس جسد الأمة العربية ، فإنني أكون أكثر تأثيراً مما لو تحدثت عن حالة واحدة ، أو عن مريض واحد .

إن المواجهة الجسدية مع نظام من الأنظمة ؛ ليست بذات أهمية ، فالشاعر ليس مجموعة من العضلات ، بل هو طاقة روحية هائلة ، وسلطة فكرية تتقدم على كل السلطات .

ولو كان جسد الشاعر بهذه الأهمية التي تصورها ، فإن كلاشينكوفاً واحداً يكفي لتصفية جميع شعراء العالم .

وباختصار أقول ، ليس هناك عمومية أو خصوصية في الشعر . وأنا لم أكن في يوم من الأيام شاعراً سرياً ، أو باطنياً ، أو لجأت إلى مبدأ التقية فيما أقول ، أو أكتب .

إنني لم أدخل في حياتي حزباً سياسياً ، ولم أربط نفسي بأي تجمع ثقافي ، ولم أنخرط في أي تنظيم سري ، ولم أضع شعري في خدمة أية أيديولوجية . لقد كان الإنسان هو انتمائي الوحيد ، وكانت الحرية هي الأنثى الوحيدة التي تزوجتها . فأنا رجل لا يؤمن بتعدد الزوجات ، ولا بتعدد الانتماءات ، ولا بتعدد السروج .

*** إلى أي مدى يمكن للرجل أن يتماهى مع المرأة ؟ أي يتحدث الشاعر عن المرأة ، بعامة ، من موقعه الذكوري ، وقد يجنح في حالات قليلة إلى التقول بلسانها عن أحاسيسها كأنثى . لكنك أكثرت من ذلك . فهل أنت تجسيد للقول البليغ البليغ : ((في كل ذكر أنثى أيضاً)) .. ؟**

- نعم .. نعم .. أنا تجسيد لهذا القول البليغ . وهو قول ليس بليغاً فقط بمعنى البديع والبيان والفذلكة الكلامية ، ولكنه قول له أسانيده العلمية والطبية والتشريحية .

فالمعروف أن الجنين في رحم أمه يكون ، في أسابيعه الأولى ، حائراً بين الذكورة والأنوثة ، أي أنه يكون خلطة كيميائية لا جنس لها ، ثم يحسم ربك الأمر ، فيرسم نهدين هنا ، وشاربين هناك ، ويحل القضية بالتي هي أحسن ، ويفك الارتباط بين الجنسين ، ويرسم حدود المنطقة المنزوعة السلاح .

ولكن ، برغم معاهدة فك الارتباط بين الجنسين ، فإن العلاقة التاريخية الأولى ، التي بدأت في الرحم ، تبقى مخزونة في ذاكرة الذكر والأنثى معاً ، بحيث لا ينسى الذكر أصوله الأنثوية ، ولا تنسى الأنثى جذورها الذكورية .

فإذا كنتُ قد كتبتُ عن المرأة بمثل هذه الدقة ، والتطويل ، فلأن ذاكرتي الأنثوية لا تزال نشطة ، ولأنني وفي جداً لمرحلة ما قبل فك الارتباط .

* ضربة حظ أنت في الشعر ، أم قرار شعري ؟

- لو أن دواليب اليانصيب تفرز شاعراً كلما دارت ، لكان عدد الشعراء في العالم أكثر من سكان الصين الشعبية .

أنا قرار شعري اتخذه الشعب العربي بالإجماع ، ولا يزال قرار انتخابي رئيساً لجمهورية الشعر يتجدد أوتوماتيكياً كل خمسة وعشرين عاماً ، مثل كل رؤساء وملوك المنطقة العربية . ولكن الفرق بيني وبينهم ، أن الناس هم الذين ينتخبوني ، وأجهزة المخابرات هي التي تنتخبهم بنسبة 999 بالمئة .

* في شعرك ، وفي موضوعات شعرك ، قيل ويقال الشئ وضده ، فأنت مجدد ومحافظ ، شكلاني ومضموني ، والمرأة حرة عندك ، وعبد ، تطالب لها بالإفلات من القيود الاجتماعية ، وتشيئها بحيث تكون مجرد انعكاس سلبي لرغبات محددة ، كيف يمكن أن تحل ، أنت ، هذا التناقض ؟

- إنني أحب تناقضاتي ، ولا أجد سبباً لإنكارها أو التنصل منها . فالشاعر نسيج من الدم واللحم ، والزوابع والبروق ، وليس ((قالب بالوظة)) .

أنا الأبيض والأسود ، والثلج والنار ، والقديس والشيطان ، والمحافظ والليبرالي ، والأصولي واللا أصولي ، والقانوني والخارج على القانون ، والأكاديمي والفوضوي ، والحضاري والبدوي ، والتاريخي والهارب من مقبرة التاريخ .

المرأة في حياتي لم تكن أبداً صورة معلقة داخل برواز .

عرفتُ ، خلال أربعين عاماً ، جميع أنماط النساء . فعلى أوراقي تجد العشيقة ، وتجد الصديقة ، وتجد الطاهرة ، وتجد العاهرة ، وتجد الباردة ، وتجد الشهوانية ، وتجد السلطانة ، وتجد الجارية ، وتجد العذراء ، وتجد المحترفة ، وتجد من تقول لك شفتها العليا : ((لا)) ، في حين تقول لك شفتها السفلى : ((أدخلوها بسلام آمنين ..)) . إذن ، فالمرأة طقس ، ومناخ ، ومطر استوائي . لذلك كان شعري يتابع تحولات الحب ، وتحولات النساء ، كما يفعل موظفو مصلحة الأرصاد الجوية .

إن التناقضات في الشعر حالة صحية جداً ، والشاعر الذي لا يتناقض هو معلم حساب في مدرسة ابتدائية لا يعرف سوى جدول الضرب ، وأعمال الجمع والطرح والقسمة .

أنا لست أبا العلاء المعري ، ولا زهير بن أبي سلمى ، ولا أبا العتاهية ، وليس عندي حكم مأثورة تصلح لكل زمان ومكان .

قد أكون اليوم بابلو نيرودا ، وغداً رامبو ، وبعد غد ديك الجن الحمصي ، وعندما أتجول في شوارع باريس قد أصبح بول ايلوار ، وعندما أهبط في مطار هيثرو في لندن قد أصبح ت . إس . إيليوت .

إن جواز السفر الذي أستعمله ليس عليه صورة ، ولا أختام ، ولا تأشيرات ، ومع ذلك فإن صالات الشرف تفتح لي في كل مطارات العالم ، لا بصفتي جنرالاً من جنرالات الحرب ، أو خبيراً من خبراء الأسلحة ، ولكن بصفتي خبيراً بقلب الإنسان .

*** عودتك ، دورياً ، إلى القصيدة العمودية ، تحدث ـ في الغالب ـ بناء على رغبة تتقصد الشهادة في حدث ما ، كأن متطلبات القول العام (السياسي ربما) هي التي تفترض الشكل المسبق للكتابة . هل الشكل وظيفي إلى هذه الدرجة ؟ أم أن الأذن العربية ، وبلاغتها الإيقاعية ، هي التي تحدد وظيفة السلوك ؟**

ـ اللغة زي قومي . وكل شعب يلبس اللباس الذي يريحه ، ويتناسب مع الطقس الذي يعيش فيه . إذن فالملابس جزء من حاجات الإنسان ، ومستلزمات وجوده ، وبالتالي فإن الملابس أصل ، والعري هو استثناء .

وأنا ، كشاعر ، لابد لي أن ألبس لغة ما ؛ خرقة ما ، حتى أتفاهم مع محيطي ومجتمعي ، وإلا سقطتُ من مواطنيتي ، واتهمتُ بالشذوذ أو بالجنون .

والقصيدة العمودية ثوب من الأثواب موجود في خزانتي ، مثل جميع الأثواب . لا أحد يرغمني على ارتدائه ، ولا أحد يرغمني على بيعه في المزاد العلني .

إنها موجودة جنباً إلى جنب مع قصيدة التفعيلة ، والقصيدة الدائرية ، وقصيدة النثر ، كما توجد بدلة السموكن إلى جانب العباءة ، وبدلة الفراك

إلى جانب الدشداشة ، والقنباز إلى جانب بنطلون الجينز ، والطربوش إلى جانب البيريه ، والعمامة إلى جانب المايوه .

خزانة التاريخ إذن ملآى بعشرات الأزياء ، والأشكال ، والألوان ، والمهم أن لا يفرض عليّ أحد ماذا ألبس ، وأن لا يتدخل أحد في اختياراتي ، وذوقي ، وألواني المفضلة ، ومثلما يفرض المسجد عليك أن تلبس لباساً كلاسيكياً محتشماً ، ومثلما تفرض الجامعة على أساتذتها أن يلبسوا لباساً أكاديمياً معيناً ، فإن الخطاب السياسي يفرض عليك لغة قادرة على التواصل والاختراق ، قد لا تستعملها وأنت تكتب قصيدة حب تتوجه بها إلى حبيبتك فقط .

إنني ، حين أكتب القصيدة العمودية لأغطي بها حادثاً سياسياً ما ، فإن هذا لا يعني بشكل من الأشكال أنني أخون قضية الحداثة . فهناك توقيت لشعر الحداثة ، كما هناك توقيت لشعر الوزن والقافية . وعدم مراعاة هذا الوقت ، بدقة ، يدخل الشتاء في الصيف ، وشهر شعبان بشهر رمضان ، ويسبب للمتلقين الدوار والإغماء .

ثم إن الأذن العربية ليست زائدة دودية يمكن قطعها متى أردنا ، واستبدالها بأذن من البلاستيك . وكما أن أم كلثوم لا يمكن أن تغني غناءً أوبرالياً على طريقة ماريا كالاس ، فإن المغني المصري العظيم سيد درويش لا يمكن أن يتحول ، بين ليلة وضحاها ، إلى مايكل جاكسون ..

* الالتباس الذي يسود الكتابة الواحدة ، ليس نتاج اللغة كمعطى ، بل يتعدى اللغة إلى نسيجها الدلالي . فقصائد المعاني ، وقصائد المضامين ، وحتى قصائد الحكاية (المشاغبة) تظل في المناخات المعنوية للقصيدة الكلاسيكية نفسها ، أي : إن الكلام الذي يتنوع في قصيدتك ، على صعيد

المفردة ، والجملة ، يخضع لنسق جمالي سابق له . ويظل ـ تالياً ـ كلاماً قابلاً للمعنى الشامل ، وربما للتشابه ؟

ـ لا أفهم إلى أين تريدون الذهاب في سؤالكم التعجيزي ؟ هل تريدون القول إنني لم آت بجديد في خطابي الشعري ، وإنني صورة منسوخة بالكاربون لعنترة العبسي ، والشنفرى ، وعمرو بن كلثوم ، وجرير ، والفرزدق ؟ ثم ، هل تريدون القول إن المفردة عندي لا تزال نجدية ، حجازية ، صحراوية ، وإن المعاني والصور عندي هي ذات المعاني والصور التي استعملها شعراء القرن الأول للهجرة ؟ وبالتالي ، هل تريدون القول إن جميع الثياب التي لبستها خلال أربعين عاماً كانت ملابس مستعملة SECOND HAND ، وإن كل القماش الذي استعملته كان من وبر الجمل ، وإنني لا أزال أربط ناقتي على باب فندق دورشستر في لندن ؟

إذا كنتم تقصدون ـ وأرجو أن أكون مخطئاً في فهمي ـ أن كل ما صنعته في الشعر وللشعر خلال أربعين عاماً ، كان صناعة بدوية صرفة ، فإن الكارثة من هذا المفهوم العشوائي للنقد ، هي كارثة عظمى .

فتطبيق أساليب غسل الدماغ على التجربة الشعرية ، يحول الناقد إلى رجل بوليس ، ويضع شعراء العالم جميعاً في قفص الاتهام ، بدعوى أن مفرداتهم مسروقة ، وسراويلهم مسروقة ، وثقافتهم مسروقة ، فيدخل شكسبير إلى الزنزانة بتهمة تقليد شوسر ، ويدخل أحمد شوقي إلى السجن بتهمة تقليد البحتري ، ويدخل ت . إس . إيليوت إلى السجن بتهمة تقليد إزرا باوند ، ويدخل أدونيس إلى السجن بتهمة تقليد سان جون بيرس ، وتدخل كل ثقافة أوروبا إلى السجن لأنها من أب يوناني وأم إيطالية .

إذا كانت الحداثة لديكم تعني ((تكنيس)) رأس الإنسان ، من كل معرفة سابقة ، وكل لغة سابقة ، وكل تجربة سابقة ، فبأي لغة تقترحون علينا أن نكتب ؟ وما هي المفردات التي تقترحون علينا أن نستعملها ، حتى نتفاهم مع الوجدان العام ، ونستحق أسماءنا كشعراء ؟

إن اللغة التي صغتم بها أسئلتكم ، هي لغة راقية ، وبالتالي فهي ليست لغة هابطة ، ولا متخلفة ، ولا معاقة ، ولكنها ، بكل تأكيد ، منقولة عن نموذج سابق .

إن ذاكرتكم اللغوية جيدة جداً ، ولذلك كان حوارنا ممكناً . اللغة مثل فصيلة الدم ، وكما لا يمكن للإنسان أن يغير فصيلة دمه كل يوم ، فليس بإمكانه استبدال لغته باللغة المسمارية ، أو السنسكريتية .

ثم إن اللغة شجرة تورق ، وتزهر ، وتثمر ككل الأشجار . وكما الشجرة قابلة للتلقيح ، وتغيير شكل أوراقها ، وأغصانها ، ونكهة ثمرها ، فإن اللغة أيضاً قابلة للتلقيح ، والتشذيب ، والتقليم ، بحيث تكتسب أشكالاً جديدة ، وإيقاعاً جديداً ، وعادات جديدة .

إن اليابانيين استطاعوا أن يتحكموا في حياة الشجر ، ويغيروا طبائعه ، وطول قامته ، ونوعية ثماره ، ونظام مواسمه ، فلماذا لا نطور لغتنا على الطريقة اليابانية ، ولماذا نصر على اغتيال كل ما لدينا من أشجار نخل بحجة أن النخلة ميراث بدوي ، جاهلي ، صحراوي ، لا يليق بعصر الكومبيوتر ؟

إنني لست متعصباً للنخلة ؛ ولا أنا ضد زهرة التوليب الهولندية ، ولكن أنفي يبقى ـ حتى أموت ـ من حزب الياسمين الدمشقي .

* أنت لا تقف عند اختيار ألفاظك في النص الشعري ، فكل ما حولك من أسماء ، أفصيحة كانت ، أم عامية ، أم أجنبية هي في وارد الحضور ، كأنك تختزل قارئك ، وذوقه الشعري (واللغة أساس الشعر) إلى حال محضة . ألك تبريرك ؟

ـ الجمهور كتلة جمالية غامضة . عجينة لينة وغير محدودة الشكل ، حتى يأتي الشاعر فيعجنها ويعطيها شكلها البديعي والذوقي . نعم .. أنا أختزل قارئي ، وبعبارة أخرى أنا أصنعه وأصوغ ذوقه . إن مهمتي كمهمة المصفاة في المختبرات وفي مصانع العطور . إن لغتي الشعرية ليست لغة جاءت بالمصادفة ، أو طلعت لي باليانصيب . إنها عملية انتقائية أخذت مني عشرات السنين حتى تكونت . وليس صحيحاً أن كل الكلمات والأسماء في قصائدي واردة الحضور . لو كان الأمر كما تقولون لكان هناك ألف نزار قباني على المسرح الشعري العربي . ولكن ليس هناك سوى نزار قباني واحد ، له خصوصيته في اللغة ، وله ورشة للقص ، والتفصيل ، والخياطة ، كما لبيير غاردان ، وإيف سان لوران ، وتيد لابيدوس ، وكريستيان ديور .

* في تجربتك ميل إلى إدماج المفردة العادية ، والتفصيل العادي ـ ربما في الصياغة الشعرية . كأن ثمة تأكيد على الحميم ، وعلى العابر ، وعلى الأدوات البسيطة للمشهد أو للفكرة أو للإحساس المباشر ، في حدود انسجام هذه العناصر ((العادية)) مع القول الشعري ((الجميل)) أو ((المؤثر)) أو ((الدراماتيكي)) الذي لا يبتعد عن حكمة في ((العيش)) ، أو فهم ((للعيش)) . أتجربتك في أساسها تجربة شعرية ؟

- يؤسفني أن أقول لكم إن لنا رؤيتين للشعر متباعدتين جداً ، بل متناقضتين جداً . ففي حين تعتبرون كل ما هو حميمي ، ويومي ، ومعاش ، ضد الشعر ، أعتبره أنا أساس الشعر وجوهره . فما هو العيب في أن يكون الشعر جزءاً من خبزنا اليومي ، وعشقنا اليومي ، وحزننا اليومي ، وكلامنا اليومي ؟

ما هو العيب أن يكون الشعر ((خلاصة عيش)) ، أو ((حكمة عيش)) ، أو مخطوطة لسيرتنا الذاتية ؟

إن شعوب العالم الثالث بحاجة إلى قصيدة تشبه استدارة الرغيف ، ولها رائحة الحنطة . ولديها من المآزق الاقتصادية ، والصحية ، والسكنية ، والتعليمية ، والمذهبية ، والاستعمارية ، ما يفيض عن اللزوم .

والشعر ليس مادة كمالية مخصصة للملائكة ، وزوجات الملائكة ، وأولاد الملائكة ، فحسب ، ولكنه شحنة مستعجلة من الدقيق والبطانيات ، والحليب المجفف ، يحتاج إليها ملايين الأطفال في السودان وبنغلادش ..

وأرجو أن لا تتصوروا أنني أخلط في كلامي بين الجميل والمفيد ، لأن تجربتي الشعرية ، على مدى أربعين عاماً ، أكدت لي أن النص الشعري الذي يتوجه للإنسان ، يمكنه أن يكون جميلاً ومفيداً في الوقت ذاته .

أما النصوص الشعرية الموجهة إلى فضاءات غير مسكونة بأحد ، وقارات غير مسكونة بأحد ، والمكتوبة بلغة لا يتكلمها أحد ، فهي مثل الأسلحة الفاسدة التي تنفجر في أيدي صانعيها قبل إطلاقها .

أما سؤالكم عن تجربتي ، وإذا كانت في أساسها شعرية أم غير شعرية ، فهو بحاجة إلى استفتاء شعبي عام ، يقول الجمهور كلمته فيه ، برغم أن كلمة الجمهور تسبب لكم حساسية جلدية ، وحكة دائمة ... شفاكم الله .

*** ترمز في مذكراتك إلى الشعر بسمك أحمر يقفز إليك من البحر . وكل شئ عندك يكسب شرعيته الشعرية عبر إغرابية ، أو مجلوبية Exotism من هذا النوع . فما القول في قارئ يتعامل مع شعرك بتعميم لهذه النظرة : أي : اعتبار قصائد الحب أشبه ببطاقات بريدية من بلد بعيد ، ومن ((شرفة على قمر)) ؟**

ـ أنا ما أزال مقتنعاً أن الأبيات الشعرية الأولى التي قفزت من مياه البحر الأبيض المتوسط في العام 1939 ، كانت مجموعة من السمك الأحمر ، وما دام القراء قد صدقوا رؤيتي فهذا يعني أن السمك الأحمر كان سمكاً حقيقياً ، لا سمكاً مجازياً ، أو رمزياً .

ثم ما هو الشعر إذا لم يحمل إلى الناس الدهشة ، والانبهار ، ويُخرج العصافير والأسماك ، والغزلان من صندوق الفـُرجة ؟

إنني أكتب شعراً لا تقريراً اقتصادياً ، أو وصفة طبية ، أو أضع أرقام موازنة الدولة . وبالتالي فأنا أقص على الناس حلماً ، وأترك لهم مطلق الحرية في تصديقه ، أو رفضه .

ولمعلوماتكم أقول إن أكثرية الشعب العربي صدقت أحلامي ، أما الأقلية فلا أهتم بها ، لأنها مصفحة ضد الحلم .

*** كيف يمكن أن تتصالح ـ وأنت القائل مع سارتر إنك لم تتوقف لحظة من اللحظات عن تغيير جلدك ـ مع هذه الصورة التي أصبحت ثابتة ، في ذهن قارئك ، عن المتعة الفنية التي يجب أن ينتظرها هذا القارئ ؟ كيف يمكن أن تتصالح مع كونك شاعراً مصنفاً ؟**

ـ تغيير الجلد لا يعني أن نطلب من سارتر أن ينام فيلسوفاً وجودياً ، ويستيقظ في اليوم التالي ، وهو راقصة من راقصات الفولي بيرجير . ولا يعني أن ينام راسين ويستيقظ في اليوم التالي وهو رينيه شار ، ولا يعني أن ينام فيكتور هوغو شاعراً كلاسيكياً ، ويستيقظ في اليوم التالي وهو أندريه بروتون . وتغيير جلدي ، لا يعني أن أنام وأنا شاعر الحب ، وأستيقظ في اليوم التالي ولي لحية الشيخ محمد عبده ، أو جمال الدين الأفغاني . تغيير الجلد ، يعني أن لا يبقى الشاعر مزروعاً كأهرامات الجيزة . في المكان ذاته خمسة آلاف سنة ، وأن لا يبقى كأهل الكهف يتعاطى الأفكار ذاتها ، ويؤمن بالقناعات ذاتها ، ويحتفظ بنقود لم تعد صالحة للتداول .

تغيير الجلد ، هو حالة من اليقظة ، والطموح ، والتحفز تمنع الكاتب من الدخول في مرحلة الغيبوبة ، وتدفعه إلى أن يكون جزءاً من إيقاع العصر ، وحركة التاريخ .

أما كوني شاعراً مصنفاً ، فليس في العالم كله شاعر غير مصنف .. فالتصنيف معناه أن يكون لنا وجه ، وملامح ، وبصمات ، وجواز سفر نعبر به إلى العالم .

أما الشاعر الذي لا يدخل تحت أي نوع من أنواع التصنيف ، فلا وجود له على خريطة الشعر أصلاً .

* كيف تتصور الشيخوخة ؟ ومتى يمكن أن تعتبر نفسك ((متقاعداً)) ؟ وهل لديك تصور لحياة المتقاعد الذي قد تكونه ذات يوم ؟

- بالنسبة لي هناك شيخوختان . شيخوخة الجسد ، وشيخوخة الكتابة . أما شيخوخة الجسد فهي حالة كيميائية تتعرض لها كل الكائنات الحية ، بغير استثناء ، وقانون يطال الجميع . وشيخوخة الكتابة ، هي التي تتيبس فيها الأصابع ، ويتخشب فيها القلب ، وتتحول فيها ورقة الكتابة إلى ضريح .

هذه الشيخوخة هي التي تخيفني .

أما متى أتقاعد عن الكتابة ، فهو اليوم الذي ينسحب فيه جمهوري من القاعة ، ليبحث عن نجم جديد .

إنني أعرف أن ((فتى الشعر الأول)) مثل فتى الشاشة الأول ، لابد أن يدخل في الكسوف ، وأن تتحول عنه الأضواء والكاميرات . ولحسن الحظ ، فأنا أملك من الشجاعة والواقعية ، ما يسمح لي أن ألبس معطفي ، وأتكئ على عصاي ، وأنسحب من الباب الخلفي للمسرح .

أما كيف سأقضي حياة المتقاعد ، فإنني لا أعرف أن ألعب الورق ، ولا الشطرنج ، ولا الدومينو ، ولا البلياردو ، لذلك فلن أكون متقاعداً ((كلاسيكياً)) يشرب القهوة واليانسون ، في نادي المتقاعدين . إنني أتصور أنني سأبقى كالهولندي الطائر مبحراً فوق سفينة لا تعرف إلى أين ، حتى تأكلني الأسماك .

*** بلغت مبلغ الحكمة عمراً (أطاله الله) . أيشغلك الموت ، مع حسباننا أن هذا الشاغل ليس حكراً على عمر ؟ وهل الكتابة عن الأنثى ـ لديك ـ هي احتيال على مشاغل الموت ، الآن ؟**

ـ كوني أكتب شعراً ، هو حصانة ضد الموت . الشعر هو المضاد الحيوي أو ((الأنتيبايوتيك)) الذي انتصر على جراثيم الموت .

عندما رثيت الشاعرة ناديا تويني ، قبل أعوام في بيروت ، قلت إن الموت كان يطرق الباب عليها ، فإذا رآها تكتب شعراً ، انسحب على أطراف أصابعه ، واختجل من نفسه .

الشعراء وحدهم هم الذين ينتصرون على موتهم ، أو يؤجلونه على الأقل . والموت الشعري ، مثل الموت الفرعوني ، غير ممكن . فدانتي ، وشكسبير ، والمتنبي ، وبودلير ، ورامبو ، وايلوار ، واراغون ، ولوركا ، مثل الفراعنة الجالسين حتى الآن في مقاهي الجيزة ، والكرنك ، وأسوان ، ووادي الملوك ، يشربون الشاي ويدخنون الشيشة .

*** لا نحس في شعرك هاجساً بالموت ؛ جدله مع اللذة ، أو مع الحب ؟**

ـ عندما أكون في فراش واحد مع حبيبتي ، فلماذا أسمح للموت أن يندس تحت شراشفي ؟ إن سرير الحب لا يتسع أبداً لثلاثة أشخاص .

الشهوة غايتها الأولى هي حفظ السلالة ، أما الموت فهو مثل حبوب منع الحمل ، قاطع لجميع السلالات .

* أنت شاعر حواس لا تجريد : لمس ، لسان ، شم ، عين . هل تعتبر واحدة منها مدخلك إلى العصر ؟

يقول مارسيل بروست مثلاً : ((الشم هو حاسة الذاكرة)) L'odeur C'est le sens de la mémoire . ويقول محمود درويش ، وكأنه يستعيد أرضاً بالأنف : ((ورائحة البن جغرافيا)) .

- الحواس الخمس هي النوافذ التي تدخل منها شمس الشعر . ومن دون هذه النوافذ لم يكن هناك رسامون ، ولا نحاتون ، ولا موسيقيون ، ولا شعراء ، ولا روائيون ، ولا مسرحيون ، ولا حتى طباخون ..

والمرأة قبل أن تكون فاكهة عقلية صرفة ، هي رائحة ، وارتفاعات ، وانخفاضات ، ودوائر ، وخطوط هندسية .

والمرأة التي رسمها ليونارد دافنشي ، ورفائيل ، وميكيل أنجلو ، في عصر النهضة ، على سقوف الكنائس ، لم تكن امرأة تتبع قواعد الريجيم ، وإنما كانت المرأة الممتلئة ، المربربة ، المتهدلة الثمار كشجرة المانغو .

وهذا يعني أن الدين في محاولاته التبشيرية الأولى ، لم يكن ديناً تجريدياً ، وإنما كان ديناً واقعياً يخاطب جسد الإنسان وحواسه الخمس . وليست الحور العين اللواتي جاء ذكرهن في النص القرآني والتصوير الجميل

لمشاهد الجنة ، سوى تأكيد على أن الدين الإسلامي كان دين تجسيد لا تجريد .

وإذا كان الشعر الصوفي قد حاول أن يعلم الناس أن يأكلوا الحبَّ بالشوكة والسكين ، فإن غالبية شعوب العالم ـ حتى في الدول الأوروبية المتحضرة ـ لا تزال تمارس الحب بأصابعها العشرة في الحدائق العامة ، وفي دهاليز المترو .

أما قول محمود درويش إن ((رائحة البن جغرافيا)) ، فهو ليس جديداً ، لأن قهوة أمه في فلسطين مثل قهوة أمي في دمشق ، دخلت في أطلس الجغرافيا من زمان بعيد . وفي شعري الذي كتبته عن النباتات التي كانت تزرعها أمي في بيتنا الدمشقي العتيق ، من شمشير ، وخبيزة ، ومنثور ، وأضاليا ، وياسمين ، وورد بلدي ، ما يكفي لكتابة معجم زراعي .. ومن قصيدتي ((من مفكرة عاشق دمشقي)) أحب أن أذكركم بهذه الأبيات :

أنا قبيلة عشاق بكاملها

ومن دموعي سقيتُ البحر والسُحُبَا

فكل صفصافةٍ حولتُها امرأةً

و كل مئذنةٍ رصَّعتُها ذهبا

هذي البساتين كانت بين أمتعتي

لما ارتحلتُ عن الفيحاء مغتربا

فلا قميص من القمصان ألبسه

إلا وجـدتُ على خيطانـه عِنَـبا ..

فإذا كانت قهوة محمود درويش في الغربة قد صارت جغرافيا ، فإن قمصاني في الغربة صارت عرائش عنب ، ومآذن دمشق صارت أشجار صفصاف ، وما في حدا أحسن من حدا ..

*** أنت شاعر ذاكرة : تفاصيل وتفاصيل وتفاصيل . هل جربت المحو والنسيان ؟ كما أنك لست داخلاً في التباس مع الأشياء ، كأن المعالم واضحة عندك . لماذا هذا الوضوح الواضح ؟**

ـ ولماذا هذا الغموض الغامض في أسئلتكم ، وفي رؤيتكم الشعرية ؟ هل من الضروري أن نتخانق مع ورقة الكتابة ، أو أن نكسر مزراب العين ، أو أن نتبول في الشارع العام ، أو أن نعض نهد امرأة في بيسين السباحة ، لنثبت للناس فحولتنا أو تحررنا ، أو تقدميتنا ، أو حداثتنا ؟؟

إنني لا أؤمن بالفلتان الشعري ، كما لا أؤمن بالفلتان الأمني . فالشعر نظام ، وانضباط مع النفس ، ورقابة صارمة على الذات . قد أكون مجنوناً ما بيني وبين نفسي ، ولكنني عندما أجلس أمام ورقة الكتابة فإنني أشعر بأنني مسؤول عن مستقبل هذا العالم .

أما اعتراضكم على الذاكرة ، وعلى التفاصيل ، وعلى الشؤون الصغيرة ، فاعتراض عجيب ، لأن التاريخ كله تفاصيل ، والروايات ، والمسرحيات ، والسمفونيات ، والفنون التشكيلية ، والسير الذاتية ، والعلاقات الغرامية ، كلها تفاصيل .

والشعر العربي ، ولا سيما الجاهلي منه ، كان أعظم شعر تفصيلي في العالم ، لأنه كان يخلق من بعرة الجمل فردوساً ، ومن ملقط شعر تركته الحبيبة ثروة قومية ..

الذاكرة هي خزان ماء ، وخزانة ثياب ، وحقيبة سفر ، ولا أفهم أبداً كيف يمكن لشاعر معاصر أن يستغني عن خزانة ثيابه وحقيبة سفره .

الذاكرة لا تعني أبداً التكرار ، والاجترار ، واستحضار أرواح الأجداد ، ولكنها جواز سفر قابل للتجديد كل سنة أو سنتين ، يسمح لنا أن نقوم برحلة حول العالم .

*** ثمة من يقول إن كل نقد للفن ، وكل مدخل إلى الشعر ، يقتضي أن يبدأ من الشكل . يبدو نصك الشعري نقيضاً لهذا الافتراض ؟ ألديك ما تقوله في هذا الافتراض ؟**

ـ أنا لا أؤمن بوثنية الشكل ، ولا أؤمن بأن الأشكال هي قوالب من الأسمنت أو الجبس لا يمكن كسرها . فالإنسان هو الذي يصنع أشكاله وهو الذي يكسرها . صحيح أن الشكلانية في النص العربي استمرت حوالي ألفي سنة ، ولكن هذا لم يمنع من ظهور شعراء جربوا أن يكسروا هذه الشكلانية . ولكن التجربة لا تزال خجولة ومتواضعة ، وقصيدة النثر . برغم أن عمرها تجاوز الثلاثين عاماً وأكثر ـ لم تستطع أن تربح المعركة مع الأذن العربية .

بالنسبة لي ، ما زال الشكل مركزياً عندي ، وما زالت موسيقى الشعر العربي تجتاحني كما تجتاح محمود درويش ، وأشك أنني سأصل في يوم من الأيام إلى كتابة قصيدة اللا شكل ...

*** قلت مرة ، في حديث صحفي ، إنك تسطو على أقلام أطفالك الملونة لترسم ((وتخربش)) كطفل ، كأن طفولتك كانت مختصرة ، واختصار الطفولة ، مرده ، تحليلاً ، إلى قمع عائلي ، أو أسى يبكر في النضوج . غير أنك رسمت رسماً وردياً لطفولتك في مذكراتك ، وكل طفولة لها أساها . أحجب الأسى هو مكابرة منك ؟**

ـ الطبيب النفساني الذي قال لكم : إن سرقة الأقلام الملونة من علب ألوان أطفالي ، يعني أنني في طفولتي كنتُ مقموعاً ، هو طبيب نفسي ((خرفان)) ، أو ((تعبان)) .

طفولتي ، من أهنأ الطفولات بين رائحة ((الفانيليا)) في معمل أبي ، وأشجار الياسمين التي كانت تعرش على أكتاف الشبابيك وأكتافنا في بيت أمي . فلماذا تصرون على أن تخترعوا لي أسى لم أعرفه ، وتلبسونني عباءة من الحزن لم ألبسها ؟ .

أما اللون الوردي الذي رسمته لطفولتي في سيرتي الذاتية ((قصتي مع الشعر)) ، فهو لون حياتنا العائلية في دمشق . وما تعودت عندما أكتب أن أخترع ألواناً لا وجود لها ، أو أكتم دمعة لم تغرغر في عيوني .

((قصتي مع الشعر)) تقرير عفوي عن مسيرتي الحياتية والشعرية ، وشهادة بمنتهى الصدق لم أجر عليها أي شطب ، أو تجميل ، أو رتوش .

ومع هذا .. فإذا كان طبيبكم النفسي ((الخرفان)) يصر على أن أهلي ضربوني ، وجوعوني ، وصلبوني على شجرة الليمون ، فسوف يدفعني كلامه إلى الشك بأنه هو الذي تعرض للضرب ، والقمع ، والتعذيب ، فقرر أن يُسقط عقده النفسية عليّ .

*** ألا تنظر ، وأنت الشائع بهذا القدر المذهل ، إلى شعر الآخرين باستخفاف ما ؟ أتحب من لا حظ لشعرهم ؟ ثم .. ألك تبرير للشيوع ونقصانه ؟**

- لا تسمح لي مناقبيتي ، كشاعر وكإنسان ، أن أستخف بأحد . فالنجاح أو عدم النجاح ، حال من صنع الشاعر ذاته .

هناك شعراء اختاروا العزلة ، والانفصال عن الذوق العام ، واعتبروا الجمهور كتلة من الغرائز السطحية لا تليق بخطابهم الشعري . وأنا أحترم قرار هؤلاء الشعراء ، وإن كنت لا أتفق معهم في الرأي والموقف .

وهناك شعراء ، وأنا واحد منهم ، يؤمنون أن لا طبقية في الخطاب الشعري ، وأن الشعر يجب أن يكون مطراً يسقط على جميع الناس ، وقماشاً شعبياً يرتديه المواطنون جميعاً ، وحواراً يومياً على جميع المستويات الاجتماعية والثقافية .

إنني لا أناقش زملائي الذين اختاروا هذا الخط النخبوي ، الانعزالي ، الإقطاعي في الشعر ، كما لا أسمح لهم بمناقشتي في خطي الاشتراكي والشعبي . فكل شاعر في آخر الأمر يكتشف معادلته الخاصة ، وليس

هناك قانون شعري عام يلزم الجميع ، كقانون السير ، أو قانون الأحوال المدنية .

أما الشيوع فليس دائماً مؤشراً على الجودة ، كما يحدث بالنسبة للأغاني الشعبية الهابطة ، ولكنه مؤشر على أن المبدع قد التقط اللحظة التاريخية ، أو النفسية ، أو السياسية ، أو العاطفية المناسبة ليتحد بالوجدان العام أو بالذوق العام .

إن ظاهرة مثل ظاهرة مادونا ، ومايكل جاكسون ، وعبد الحليم حافظ ، ولاعب الكرة مارادونا ، ليست ظواهر عابرة ، أو سطحية ، ولكنها استفتاءات شعبية لها دلالتها ومعانيها ، وتعكس ، في مرحلة ما ، متطلبات العصر وحساسية الأجيال الجديدة .

*** شعرك استحوذ على جيل ، وسيستحوذ على أجيال ، وحتى إشعار آخر ، ألا تتمنى أن تمتد بك الحياة مائة عام لتقطف هذا المجد حياً .. حياً ؟**

ـ ليس عندي طموحات ((فرعونية)) حتى آخذ معي طعامي ، وشرابي ، وأقلامي ، وأوراقي ، إلى العالم الآخر . وليست عندي الشهية لأغني أكثر من اللازم ، وأبقى على المسرح أكثر من اللازم . فالكلام له آخِر ، والطرب له آخر ، وصوت الربابة يتحول في آخر الليل إلى صفارة قطار ، وطلقات كلاشينكوف .

والنجومية لا تعني أن يتحول النجم إلى دجاجة محفوظة في الفريزر ؛ النجومية موسم كمواسم العنب ، فلماذا لا يعترف العنقود أنه في يوم من الأيام سوف يصبح خلاً ؟ .

إنني شاعر مر في مرحلة نبيذ ((كسارة)) .. ونبيذ ((جاناكليس)) ، ونبيذ ((بوجوليه)) ، ونبيذ ((بوردو)) ، ونبيذ ((الألزاس)) ، ونبيذ ((كيانتي)) ، ونبيذ ((أبو كلبشة)) . وأنا مقتنع ((بالحال النبيذية)) التي وصلت إليها ، كما أنني مقتنع بأن أية سكرة ، تطول أكثر من اللازم ، ستقتل شاربها وتقتل السامرين ...

لقد لعبتُ دوري بإتقان لمدة خمسين عاماً ، وأشعر أن الوقت قد حان لتسليم مفاتيح مدينة الشعر إلى شاعر آخر .

لقد عشت دائماً شاعراً ((مدللاً)) ، فاسمحوا لي أن أنسحب بصمت قبل أن أصبح ((مخللاً)) .

*** جمعك التفاصيل ، أعطاك وجه الفنان الدهري ، الذي يستطيع أن يكون لامعاً وبارعاً في كل غرض . لكن فناً مثل هذا لا يزيد وحدتك إلا عمقاً ، والكرنفال الذي نمر به لنصل إليك ، يميل إلى أن يصبح هو كل شئ ؟ هل هذه هي ضريبة الجمال ؟**

ـ ما تسمونه ((كرنفالاً)) أسميه أنا ((ديمقراطية شعرية)) ، أو ((دستورية شعرية)) . أنتم تخافون الكرنفالات الشعرية الشعبية لأنها تعقدكم ، وتحولكم إلى ((أقلية)) شعرية معزولة عن الذوق العام .

ثم إنني لا أشعر ، وأنا في وسط الكرنفال ، أنني وحيد ، أو أنني أدفع ضريبة لأحد ، بل على العكس : الكرنفال هو مكافأتي .

قد نكون ـ نحن والاتحاد السوفياتي ، من الشعوب القليلة التي تقيم للشعر كرنفالات ، وهذه في نظري ظاهرة صحية جداً ، وحضارية جداً ، تدل على أن فصيلة دم الإنسان العربي هي فصيلة شعرية .

* إحساسك الذكوري تجاه المرأة هو ، بالضبط ، إحساس الغريزة المقدسة . وتالياً ، ترتبط حرية المرأة ، في توجهات شعرك ، بحرية امتلاكك لجسدها ، وتوظيفه في اتجاه الغريزة . إلا أنك ـ كذكر ، وبحكم إرث شرقي ، تنزع إلى ((شهرياريتك)) كأنما تلغيها لتستتب أنت :

لم تبق زاوية بجسم جميلة إلا ومرت فوقها عرباتي

فصلت من جلد النساء عباءة وبنيت أهراماً من الحلمات ..

فعبارتك مفاتيح ، وشواهد على دعوانا : عباءة .. تفصيل .. جلد النساء ... إلخ ..

ـ الكلام بضمير المتكلم في قصيدتي ((الرسم بالكلمات)) .. سبب لي الكثير من المشكلات والإدانات ، وانضم ((المثقفون)) إلى الجوقة ، ليفتحوا عليَّ النار ويدينوني بتجارة الجواري .

القصيدة لا تـُقرأ بمثل هذه النظرة المباحثية ، أو البوليسية . وإنما تـُقرأ على ضوء علم الاجتماع . وضمير المتكلم فيها ، هو ضمير الجمع ، أي

ضمير جميع ذكور القبيلة الذين اعتبروا جسد المرأة ورشة للقص ، والتفصيل ، والخياطة .

أنا ، بهذه القصيدة ، رفعت تقريراً إلى محكمة الشعر العليا ، قلت فيه إن المرأة العربية تباع وتشترى بالكيلو ، ويدفع الرجل مهرها عنزتين ، وبقرة ، وثلاث دجاجات . لكن قضاة المحكمة العليا ، وأصدقائي المثقفين ، غيروا إفادتي ، ووجهوا كل الأدلة ضدي .

طبعاً ، أنا لا أدعي العفة والرسولية ، ولا أزعم أنني مواطن من السويد أو سويسرا ، فأنا بدوي يدخن البايب ، ويلبس السموكن ، ويترك نعليه على باب مطعم ماكسيم في باريس .

على أن البدوي في داخلي ، لم يبق بدوياً من ((الدقة القديمة)) ، وإنما صار بدوياً يقص أظافره ، ويقص شعره ، ويستعمل الشامبو ، ويلثم يد حبيبته الجميلة ، دون أن يأكل منها إصبعين .

كل هذه التفاصيل البدوية مكتوبة في شعري وفي نثري . ولأنني أتكلم بعفوية ، وطفولة ، ورفع كلفة ، فقد أصدر وزراء الداخلية العرب مذكرة توقيف بحقي ، وأخذوني إلى المخفر ، بتهمة ((الشهريارية)) .

والحقيقة أنني لم أكن في يوم من الأيام شهريارا ، ولا راسبوتين ، ولا دراكولا ، ولا إيفان الرهيب ، ولم أعتدِ على عذرية نحلة . لكن الشعر ـ سامحه الله ـ أدخلني في مآزق وورطات لها أول ، وليس لها آخر .

ثم .. لماذا قرأتم أول القصيدة ، ولم تقرأوا آخرها ؟ :

.. واليوم ، أجلس فوق سطح سفينتي

كاللص أبحث عن طريق نجاة ..

أين السبايا .. أين ما ملكت يدي

أين البخور ، يضوع من حجراتي ؟

الجنس ، كان مخدراً جربته

لم يُنهِ أحزاني ، ولا أزماتي

اليوم .. تنتقم النهود لنفسها

وترد لي الطعنات .. بالطعنات ..

كل الدروب أمامنا مسدودة

وخلاصنا .. في ((الرسم بالكلمات)) .

إني أعتبر قصيدة ((الرسم بالكلمات)) من أكثر قصائدي ارتفاعاً وحضارة وأخلاقية . ولكن ماذا أفعل إذا كان النقد العربي يرى عباءاتي النسائية ، ولا يرى عباءات أحزاني ؟ .. ماذا أفعل .. إذا كنتم تريدون رأسي بأي ثمن ؟ ..

*** بين ((الجميل)) و ((النافع)) فرق كنت قد حاولت أن تعبر عنه في بداية تجربتك الشعرية ؟ ولكن ، مع أنك لم ترد يوماً أن ترتدي وجه المُنظِر الجاد ، نريد أن نسألك عن مدى وفائك ، أو عدم وفائك للمبدأ الأول**

. فإذا لم يكن هذا التمييز قد غاب عنك ، عبر كل أعمالك ، فما هو تعبيرك عنه اليوم ؟

ـ سأعترف لك أنني انقلبت 180 درجة عن تنظيراتي الجمالية الأولى . ففي مقدمتي لمجموعتي الشعرية ((طفولة نهد)) سنة 1948 ، كنتُ أعتبر ابتسامة الجوكوندا للفنان ليونارد دافينتشي معجزة المعجزات ، وبستان كرز تقطف منه العين ، ولا تشبع .

بعد هذا ، بأربعين سنة ، لم أعد أرى في ابتسامة الجوكوندا ورداً ، ولا كرزاً ، ولا سيما بعد أن اكتشف النقاد والخبراء العالميون في الرسم أن النموذج الذي نقل عنه ليونارد دافينتشي كان رجلاً له شوارب وعضلات ، وأن الجوكوندا لم تكن في حقيقتها غير أبو عنتر في مسرحيات دريد لحام .

أريد من هذا الكلام أن أقول إنني لم أعد متحمساً للجميل لأنه جميل ، ولكنني صرت من حزب الجمال الذي ينفع .

كنتُ في بداياتي ، أعتبر الكتابة نوعاً من العزف على البيانو ، وأمارس على لغتي رقابة موسيقية شديدة ، كما كان يفعل بول فاليري ، مستبعداً كل لفظة لا تدخل في سياق ((السولفيج)) ، وبالتالي كنت مقتنعاً بأن ثمة لغة خاصة بالشعر ، ولغة أخرى خاصة بالنثر ، وأن كلام الشعراء شئ ، وحوار المقاهي شئ آخر .

في أواخر الستينات تخليت عن كل هذه الأفكار ، وقررت أن أكسر الحدود بين لغة القاموس ولغة الناس ، كما وصلت إلى قناعة بأنه ليس هناك

مفردة شعرية وأخرى غير شعرية ، وأن الشاعر الحقيقي يستطيع أن يحول حتى الإعلانات المبوبة إلى شعر .

*** ما عسى أن يكون مستقبل الشعر الذي يقوم على مشكلات اجتماعية وحضارية معينة ، ثم يأتي يوم تـُحل فيه ، ولا تعود مطروحة ؟**

أتؤمن بأن شعرك سيعيش بعدك طويلاً ؟ أترجو له الخلود ؟

ـ هذه الكرة الأرضية ستبقى حبلى بالمشاكل حتى يوم القيامة . فإذا حلت مشكلة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو سياسية ، جاءت مشاكل أخرى . والمشاكل الجديدة سوف يغطيها كتاب آخرون ، وشعراء آخرون .

أما ماذا سيبقى مني ومن شعري بعد رحيلي ، فأمر لا يستوقفني كثيراً ، لأن كلمة الخلود تشبه البالونات الملونة التي يطلقها الأطفال في الأعياد ، ثم ما تلبث أن تنفجر بعد دقائق من إطلاقها .

*** الجمالية التي أطلقت ((لغة الحب)) في الشعر العربي أواخر الخمسينات وبداية الستينات ، لها جذور بعيدة في القصيدة العربية الجاهلية ، والأموية ، والعباسية ، وصولاً إلى المؤثرات الجمالية الغربية (البرناسية ، الرمزية .. إلخ) ، أي أن هنالك استرجاعاً لحالة ـ حضارية ـ لغوية ، تفترض استجابة النص الشعري لفكرة تتنوع بين مشاعر الحزن والحب .. ولكن هل اختلفت دلالات هذه المشاعر ، وهل اختلفت المرأة .. أو الحب ؟**

- أعتقد أن تجربة الحب التي نقلها الشعراء العرب ، منذ بدايات القرن حتى الآن ، كانت تجربة ثقافية ، ولم تكن تجربة حياتية . فامرأة أحمد شوقي لم تختلف عن امرأة البحتري ، أو ابن زيدون ، وامرأة الجواهري ، أو بدوي الجبل ، أو الزهاوي ، لم تختلف عن امرأة المتنبي أو أبي تمام ؛ وامرأة سعيد عقل ، وإلياس أبي شبكة ، وصلاح لبكي ، لم تختلف عن امرأة بول فاليري ، أو مالارميه ، أو بودلير .

وأنا أتفق معكم ، أن الخطاب الغزلي العربي في النصف الأول من هذا القرن كان حالة استرجاع لأشواق قديمة ، وصبابات قديمة ، وشهوات قديمة ، وأن العاشق العربي موجود في النصوص فقط ، ولكنه غير موجود على فراش الهوى .

أما العاشقات العربيات ، فرغم كونهن قد تعلمن ، وتوظفن ، وسافرن ، ورجعن بأعلى الشهادات الجامعية ، فلا زلن بانتظار ((الخاطبة)) ، ولا زلن بانتظار مكاتيب الهوى يحملها إليهن ((عصفور من الشرق)) لتوفيق الحكيم ، عن طريق النافذة ، لا على طريق البريد .

وباختصار أقول ، إن أكثر حالات الحب لدى شعرائنا لا تزال حالات ذهنية ، افتراضية ، عذرية ، وأنها تجري جميعاً في أنابيب الاختبار ، لا على أرض الواقع .

*** أنت أكثر الشعراء العرب رواجاً ، وبذلك لا تعاني إلا عزلة نسبية ، أو خاصة . لكن يبقى : ماذا يعني رواج الشاعر ؟ ماذا تعني عزلته ؟**

- رواج الشاعر يعني أنه ولود ، وعزلته تعني أنه عاقر .

*** مجلة ((شعر)) التي افتتحت سجالاً تستعاد أطرافه على نحو ما ، كانت المقدمة الفعلية لإدخال مفاهيم جديدة إلى الشعر العربي . وبرزت معها ، على نحو ظاهر ، ((قصيدة النثر)) . فأنت كشاعر رافق مسيرة ((شعر)) والتيار الموازي لها ، وظللت على مقربة حذرة بعض الشئ . كيف ترى إلى هذه التيارات اليوم ، وكيف ترى إلى ((قصيدة النثر)) ؟ ..**

- مجلة ((شعر)) كانت مثل هونغ كونغ ، دخل إليها تجار محترمون ، ودخل إليها مغامرون ، ودخل إليها مهربون . وبرغم ((التجاوزات)) و ((الزعرنة)) التي حصلت ، فإن ((مجلة شعر)) تبقى أجمل سفينة اختبار أبحرت في حياتنا الثقافية .

ولقد سبق لي أن قلت في حفلة تكريم يوسف الخال ، في لندن ، إن يوسف كان قبطاناً لسفينة ، وأنه ليس مسؤولاً عن سُكْر البحارة ، وعربدتهم ، وعن قناني البيرة الفارغة التي تركوها على ظهر السفينة .

كما قلت : إن يوسف الخال كان بطريرك الحداثة ، وأنه غير مسؤول عن القراصنة ، والقرامطة ، والأزارقة ، الذين فتحوا ثقوباً في خاصرة السفينة .

أما ((قصيدة النثر)) فهي أجمل بنت أنجبتها مجلة ((شعر)) ، وإذا كانت لم تتزوج حتى الآن ، فلأن العرسان العرب لا يحبون البنات اللواتي يلبسن الجينز ، ويدخن سجائر المارلبورو ، وبيدهن العصمة .

*** في خارطة الشعر العربي اليوم ، ما الواقع الذي تراه ؟ ماذا يكتب الشعراء ؟ وما نظرتك إلى النتاج الجديد ؟**

ـ أرى امرأة تصرخ على سرير الولادة ، ولكن رأس الطفل لم ينزل بعد .

*** إذا كان صحيحاً أن واقع الشعر العربي يرتبط ، بقدر ما ، بواقع النقد الشعري ، فما هو ، في رأيك ، واقع هذا النقد ؟**

ـ الشعر العربي يمشي في طريق ، والنقد العربي يمشي في الاتجاه المعاكس ، وليس ثمة نقطة لقاء تجمعهما ..

المبدع العربي فوق .. فوق .. والناقد العربي تحت .. تحت .. ونصيحتي لكل شاعر عربي ، يريد أن ينجح ، أن يغسل يده من أكثر النقاد العرب ، لأنهم مجموعة من الميليشيات الثقافية المرتزقة ، التي تباع بدولار وتشترى بدولار .

*** هل الشعر ضروري حقاً ؟**

ـ إذا كانت لديكم بعض الريبة في ضرورة الشعر ، فلماذا أطلقتم عليَّ رصاص أسئلتكم الجميلة ؟ ..

نزار قباني

جنيف 28/ نيسان (أبريل) 1988

كتب الأسئلة في العام 1982 :

سليم بركات / محمد علي شمس الدين

بسام حجار / علوية صبح

محمد أبي سمرا .

لو رشحت نفسي لرئاسة جمهورية الشعر لفزتُ بأكثرية الأصوات ....

حوار مع الشاعر أحمد فرحات ـ مجلة الكفاح العربي ـ بيروت بتاريخ 1984/12/30

*** لنبدأ في حديثنا بداية غير تقليدية . هل تحب ؟**

ـ نعم .. فمن قال لك إني لا أحب مثل هذه البدايات ؟ إن التقليدية تقتلني .

*** كثيرة هي الأسئلة التي طرحت على نزار قباني حول الشعر والمرأة . ما السؤال الذي يراه نزار مهماً جداً ، ولم يُطرَح عليه ؟**

ـ السؤال الذي أحب أن يُطرح عليَّ هو : ماذا نريد من الشعر ؟ أو (لماذا الشعر) ؟ فإذا أجبنا على هذا السؤال نستطيع أن نحل هذه الإشكالية الكبيرة التي وقع فيها الشعر العربي الآن .

أقول إشكالية ، لأنني أحس أن هذا الشعر ، قد فقد إحساسه بالزمان والمكان ، مثل طائرة تعطل فيها جهاز تحديد الارتفاع .

القصيدة اليوم ، تبدو وكأنها عانس ، لا تريد أن تتزوج أحداً .. ولا يريد أحد أن يتزوجها .

إنها قصيدة في المنفى . لم ينفها أحد ، ولكنها هي التي نفت نفسها .

وهذا تحول خطير في تاريخ القصيدة العربية . فبعدما كانت هذه القصيدة تختصر الوطن بأكمله ، ثقافياً ، وقومياً ، وحضارياً ، وفكرياً ، وعاطفياً .. أصبحت بحجم قرص الأسبيرين ، أو حجم الزنزانة الانفرادية .

وبعدما كانت القصيدة العربية ، مؤسسة المؤسسات ، والبرلمان ، والقصر الملكي ، والقصر الجمهوري ، ووزارة الثقافة ، ووزارة الإعلام ، ووزارة العدل جميعاً .. أصبحت مثل المرافئ غير الشرعية في لبنان تمتهن التهريب .

وبعدما كانت القصيدة العربية ، تشعل الثورات ، وتسقط الحكومات ، وتهز العروش ، وتمشي على رأس المظاهرات .. هربت من الجندية . واتخذت مقراً دائماً لها في مقهى (الإكسبرس) في بيروت .

وإذا كان شعراء القصيدة الحديثة لا يعترفون بالأرض ، وبثقافة الأرض ، وبهموم الأرض ، وبلغة الأرض ، وبالذين يمشون على وجه الأرض ، فلماذا يحملون جواز سفر هذه الأرض ؟ ولماذا يكتبون في جرائدها ؟ ..

إنني ألاحظ أن جغرافية الشعر بدأت تنكمش ، ورقعته بدأت تضيق ، والشعب العربي الذي هو من أكثر الشعوب حساسية شعرية ، بدأ (يطفش) ، ويعود إلى دفاتره القديمة باحثاً عن قبر المتنبي ليقرأ الفاتحة على روحه ...

والعودة إلى الدفاتر القديمة ، ليس فيها شئ من الرجعية ، كما قد يخطر ببال البعض ، ولكنها حنين إلى الماء ، والعشب ، واللون الأخضر ، بعد هذا الجفاف العظيم الذي يحاصر حياتنا الشعرية .

مرة أخرى أسأل : ماذا نريد من الشعر ؟

لا نريد منه شيئاً كثيراً . كل ما نريد منه أن يشبهنا .. أن يحمل ملامحنا ، ولون عيوننا ، ونبرة صوتنا ، ونبض شراييننا ، ويكون الناطق الرسمي بلسان أفراحنا وأحزاننا ..

وشعر اليوم ، بكل أسف ، لا يشبهنا لا من قريب ، ولا من بعيد ، إنه يشبه مستشرقاً تعلم اللغة العربية على كبر .

لذلك نشعر بصعوبة كبرى في التفاهم معه .

الحداثة كذبة عمرها خمسة عشر عاماً .

إشاعة عمرها خمسة عشر عاماً .

ورغم جميع من نظروا لها ، وعرَّفوا بها ، وكتبوا عنها ، بقيت إشاعة . لأنها تفتقر إلى النصوص الداعمة لها . كانت تفتقر إلى توثيق .

إن مجرد أن يقول لي الشاعر الحديث : (أنا حديث) لا يكفي .. إذا لم يبرز نصاً شعرياً واحداً يقتنع به العالم .

والعالم العربي ـ حتى كتابة هذه السطور ـ لم يبلع النصوص الحديثة التي يقرؤها ، ولم يستطع أن يتفاهم ، أو يتصالح معها .

قد يكون العالم العربي (دقة قديمة) .. أو متخلفاً ، أو أمياً . أو سطحياً .. كما يروجون عنه . ولكنه أمام النصوص الشعرية الرديئة لا يمكنه أن يكون شاهد زور ...

أرجو أن لا يُفهم من كلامي أنني ضد الحداثة . ولكنني ضد الفلتان الشعري .. كما أنا ضد الفلتان الأمني ..

لا يمكنني قبول التخريب على أنه ممارسة ديمقراطية أو تقدمية . ولا يمكنني قبول أي هذيان مكتوب ، على أنه تفجير في داخل اللغة .. ولا يمكنني الموافقة على قلع أي شجرة من حديقة الشعر ، قبل أن أزرع مكانها شجرة بديلة . لأنني لا أريد أن أموت كالبعير في الربع الخالي .

لقد سئمنا من هذه التعابير المأخوذة من قاموس حرب العصابات ... كتفجير اللغة ، واغتيال الأبجدية ، ووضع عبوة ناسفة تحت قاموس محيط المحيط .. فهذا كلام يقوله كارلوس ، ولا يقوله شاعر مسؤول عن تأسيس المستقبل .

*** المقصود بتفجير اللغة في رأيي هو تفجير للنمطية السائدة في اللغة الشعرية وصولاً للجديد .**

ـ عن أية نمطية تتحدث يا أخي أحمد ؟ أنت تعرف أن الجاحظ وابن المقفع ، والقلقشندي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وجرجي زيدان .. قد ماتوا .. وشبعوا موتاً .

من الذي يعتمد اليوم لغة (ظلال الزيزفون) و (ماجدولين) و (آلام فرتر) ؟ ..

من الذي يكتب بلغة الجواهري غير الجواهري .. وبلغة بدوي الجبل غير بدوي الجبل ؟

ألا تشعر أن لغتنا تتفجر تلقائياً ، دون أن يفجرها أحد . وأننا كل صباح نستيقظ على تحولات لغوية لم تكن موجودة قبل أن ننام . فلا نحن نتكلم مثل آبائنا .. ولا أولادنا يتكلمون مثلنا ..

بعد خمسين سنة ، لن يكون هناك لغة فصحى ، ولغة عامية . ستذوب الجدران الفاصلة بينها مع انتشار التعليم والثقافة .. وسيكون لدينا لسان واحد نستعمله لا لسانان .

فلماذا يصر الحداثيون على استعمال الديناميت ، في حين أن ميكانيكية اللغة العربية الذاتية كفيلة بتفجير سد مأرب ...

من هنا ، أريد أن أقول إن حركة الحداثة في الشعر العربي تكبر بسرعة نموذجية ، من غير استعمال الأسمدة الكيماوية ، واللجوء إلى التلقيح بالأنابيب ..

وفي رأيي أن هذا الشعر قفز خلال الخمسين سنة الأخيرة قفزة نوعية لم يقفزها خلال ألفي عام ...

إنني بطبيعتي مع الولادة الطبيعية ، وضد العمليات القيصرية في الشعر . إن الربيع يبقى تسعة أشهر في مختبره تحت الأرض ، بين القوارير ، وزجاجات الألوان ، والفراشي ، ليصنع زهرة صغيرة ... فلماذا لا نصبر عاماً أو عامين ، لتشكيل قصيدة جميلة ؟

إنني مع التغيير مئة بالمئة . ولكنني لست مع تفجير نفسي ، وقطع شراييني بحجة أنها قد أصبحت خردة ...

ليس بإمكاننا أن ننسف لغة كما ننسف بناية ، وإلا أصبحنا إرهابيين .. لا حداثويين ..

شعراء الأربعينات والخمسينات الذين تسمونهم جيل الرواد ، لعبوا لعبة الحداثة بذكاء ومهارة .. بعد أن درسوا خرائطهم ، وضبطوا بوصلتهم .

كانوا عارفين قواعد اللعبة ، ومتمكنين من أدواتهم ، لذلك لم يضيعوا في البحر كما ضاع شعراء السبعينات والثمانينات ..

هؤلاء ، غيروا مسار قطار الشعر العربي الذي كان يمشي على سكة ضيقة من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة . ولكنهم لم يشعلوا النار فيه

.. ولم يقتلوا ركابه ، أي أنهم أدخلونا عصر الحداثة دون أن يرتكبوا جريمة قتل .. ضد التاريخ ، وضد الذوق العام .

بدر شاكر السياب لم يقتل أحداً باسم الحداثة . ولا أتذكر أنه ظهر على شاشة التلفزيون مرة ، وبيده مسدس .. وقال : (أنا رسول الحداثة ، وكل من لا يتبعني سوف أقتله) .

السياب اشتغل بصمت ، وجدد بصمت ، ومات بصمت .

أما (مافيات الحداثة) في هذه الأيام ، فقد أصدرت حكمها بالإعدام على الشعراء الجاهليين ، والأمويين ، والعباسيين ، والنهضويين .. وعلى كل الشعراء (الماضويين) الذين شاء لهم حظهم العاثر أنهم ولدوا قبلهم بخمس دقائق ...

*** هل نستطيع القول إذن ، أن زمن القصيدة العربية الحديثة لا يزال في بدايته ، ولا يزال قابلاً لمزيد من الانقلابات والمفاجآت ، قد يتصورها الناظر من الخارج ، على أنها تشكل انقطاعاً له ؟**

- تاريخ الشعر هو مجموعة انقلابات . ولولا هذه الانقلابات المستمرة في جسد الشعر ، لتحول إلى جدار من الأسمنت المسلح .

لا يوجد شعر بغير انقلابية شعرية . هذا شئ مفروغ منه . ولكن الانقلابية شئ .. والفوضوية شئ آخر ..

الشاعر الانقلابي ليس قاطع طريق ، وإنما هو رجل لديه رؤى وأفكار ومخططات ، وتصورات إصلاحية يحلم بتنفيذها إذا استلم الحكم ..

وكل انقلاب ليس خلفه رؤية ، ولا يرتكز إلى ورقة عمل ، مغامرة قد توصل بصاحبها إلى حبل المشنقة .

إنني أؤمن أن الشعر هو (نظام) قبل كل شئ . كما للمجموعة الشمسية نظامها ، وللفصول نظامها ، وللدورة الدموية نظامها ، وللموسيقى نظامها ، حتى الفوضى التي تسود الطبيعة في بعض الأحيان ، كالزلازل ، والبراكين ، والطوفانات ، هي جزء من ميكانيكية النظام .

حتى (قصيدة النثر) التي تبدو وكأنها هاربة من بيت الطاعة ، تتمتع بانضباط ومسؤولية قد لا تكون متوفرة في قصيدة الوزن ..

إنني بلا تردد مع كل انقلابي يضيف إلى بيدر الشعر العربي ولو حبة قمح صغيرة ، ويضيف إلى معارفي شيئاً لا أعرفه ، ويضيف إلى أحاسيسي شعوراً جديداً بالدهشة ...

كل من يدهشني هو صديقي . ولن أناقشه أبداً في الشكل . أو في الصيغة ، أو في المصطلح . ليس عندي أي عقدة من عقد البلاغة القديمة ، ولست من حزب القصيدة العمودية .. ولا من حزب قصيدة التفعيلة .. ولا من حزب القصيدة الحرة .. ولا من حزب قصيدة النثر .. أنا من حزب الشعر . من عنده شعر حقيقي ، فسوف آخذه بالأحضان . ولا يهمني أبداً إذا كان يلبس الدشداشة والنعل .. أو يلبس سروال الجينز الأزرق .. أو يلبس أوراق الشجر ...

وإذا كنا قد سألنا (لماذا الشعر ؟) ، فلا بد لنا أن نسأل : (لمن الشعر ؟) ، ومن المستفيد منه ؟

إذا كان الشعر شركة محدودة الأسهم لخمسة أو عشرة أشخاص يجتمعون في غرفة مغلقة ، ويتعاطونه كنشرة سرية ، فهذا يجعله مؤسسة نخبوية ، ويعطيه صفة النوادي الخاصة كنوادي البريدج ، ونوادي العراة ..

أنا شخصياً ضد مثل هذا الشعر . لأنه يعيد الشعر إلى سلطة البلاط والأمراء والنبلاء والخلفاء ، ويرجعه إلى مرحلة (ما قبل الاشتراكية) . وهذا شئ ضد حركة التاريخ ، وضد طبيعة الشعر .

وإذا كان الإقطاع على الأرض قد انتهى ، والإقطاع على جسد الإنسان قد سقط ، فمن الأولى أن يسقط الإقطاع الشعري ، وامتيازات الطبقة المستفيدة من الشعر ، وتتحول القصيدة إلى شاطئ شعبي تسبح فيه كل طبقات الشعب دون تذاكر دخول .

إن الشعر هو ذلك المطر الذي يهطل على الإنسانية كلها ، وتلك الشمس التي تشرق على نافذة الفقير والغني ، والأبيض والأسود ، والمثقف ونصف المثقف ، وعلى الذين يعيشون في ستوكهولم وكابري .. وعلى الذين يعيشون في بنجلادش وزيمبابوي ..

ومثلما أنا ضد التفرقة العنصرية ، فأنا ضد التفرقة الثقافية .

إن مهمتي كشاعر عربي تجعلني مسؤولاً عن كل شجرة ، وكل عصفور ، وكل فلاح ، وكل صياد سمك ، وكل طفل ذاهب إلى المدرسة من طنجة إلى رأس الخيمة ..

هؤلاء هم أولادي في الشعر ، ولن يغمض لي جفن حتى يعود جميع أطفال الوطن العربي ، ويجلسوا معي على مائدة العشاء .

*** اتفقنا على أن من اصطلحنا على تسميتهم بالرواد ، قد حققوا انعطافة هامة على مستوى القصيدة . ونزار من بين هؤلاء الرواد بامتياز . ولكن أنت كنت تبدو دائماً وكأنك على هامش الحداثة وسياقها التاريخي بالمعنى الأكاديمي للكلمة . يعنى أنك كنت دائماً تؤسس لنفسك مساراً خاصاً لا علاقة له بالمسار العام .**

- إن الاستعراضية ليست هماً من همومي . وليس يعنيني مطلقاً في زحمة من يلهثون للحصول على بركة الحداثة ، أن أكون أحد اللاهثين .

هناك من يشتغلون على الحداثة ولا يتكلمون . وهناك من لا يشتغلون على الحداثة ويعقدون مؤتمراً صحفياً يقولون فيه أنهم كانوا يتعشون مع نازك الملائكة عندما كانت تكتب (قصيدة الكوليرا) .. كما أعرف (نسواناً) يقلن في كل مقابلة صحفية تـُجرى معهن ، إن المرحوم بدر كان يكتب لهن كل يوم قصيدة غزل عندما كان طالباً في معهد المعلمين العالي في بغداد ..

أما نازك الملائكة ، فدورها في الحداثة متواضع جداً ، والغداء أو العشاء معها ، ليس امتيازاً أو بطاقة لدخول الجنة ... ولا سيما بعد أن كسرت طبلة التجديد .. ودخلت في سلك الدروشة ...

أما بدر شاكر السياب ؛ فقد كان رحمه الله مستعداً للوقوع في غرام أية ذبابة تدخل من نافذة معهد المعلمين العالي في بغداد .. لذلك فإذا كتب قصيدة غزل لفلانة .. أو لعلتانة من زميلاته في المعهد ، فإن ذلك يعتبر بالنسبة لبدر جزءاً من سعاله اليومي ...

كل ذلك أورده لأقول أن مدعي الحداثة كثيرون ، حتى صارت الحداثة كما سبق لي وذكرت ، (إشاعة) نسمع عنها ولا نراها .

لقد اهتممتُ بمساري الشعري الخاص ، ولم ألتفت لا إلى فوق .. ولا إلى تحت .. ولا إلى اليمين ولا إلى اليسار . كان هاجسي أن أكتشف الدروب التي لم يمش عليها أحد قبلي .. وأستولد الأزهار التي لم يزرعها أحد قبلي .. وأن أحمل جواز سفري الخاص إلى العالم .

وأعتقد أنني ، بعد أربعين سنة من العمل ، استطعت أن يكون عندي محترف صغير ، أعجن فيه السيراميك على طريقتي ، وأخبزه على طريقتي ، دون أن أشغل بالي بما يصنعه الآخرون في محترفاتهم .

وعلى ذكر الحداثة ، أريدك أن تقول لي ما هي ؟ ما هي مرتكزاتها ؟ ما هي مواصفاتها ؟ ما هي خصائصها ؟

لا أريد تعريفاً لها في المطلق . أريد نموذجاً عملانياً .

أريد نصاً حداثوياً استطاع أن يتفاعل مع الذوق العربي العام ، ويثير الدهشة ، ويغطي هموم الناس في هذا الوطن .

على صعيد الثرثرة الأيديولوجية ، ومزايدات المقاهي الثقافية ، هناك كلام كثير عن الحداثة . ولكن ميدانياً وعلى الأرض .. (ما في حدا .. لا تندهي ما في حدا ..) كما تقول مطربتنا فيروز .

*** ولكن في رأيي - أستاذ نزار - أن القصيدة تبقى عبارة عن تجريب دائم . يعني ليس هناك قصيدة نفصلها على نموذج معين ، ونقول : هذه هي الحداثة ، أو هذا النص هو شاهد عليها . هناك تجريب دائم . هناك مغامرة دائمة في اللغة .. وفي الشعر .. وأنا أعتقد أنك ستوافقني على هذا الكلام لأنك ذات يوم قلت (دعونا نلعب) .**

- يا أخي ، لقد جربتم برؤوسنا خمسة عشر عاماً .. وحان الوقت أن تبحثوا عن مختبر آخر لتجاربكم ..

حان الوقت لكي تقولوا لنا ماذا وضعتم بعد خمسة عشر عاماً من الحمل .. صبي .. أم بنت ..

صحيح أنني قلت ذات يوم (دعونا نلعب ..) ولم أتراجع عن قولي . ولكنني أريد أن أضيف أن جميع الألعاب في الدنيا ، بما في ذلك ألعاب الأطفال ، لها أصول وقواعد ..

فالعبوا كما تشاؤون . ولكن لن نسمح لكم أن تغشوا في اللعب . ولن نسمح لكم أن تخفوا (الجوكرات) تحت الطاولة .. وأخيراً لن نسمح لكم أن تهدروا خمسة عشر عاماً في التنقيب عن الشعر في جسد الإنسان العربي ، دون أن توفقوا باستخراج قطرة شعر واحدة من حفرياتكم .

*** ولكن على ذكر الشعراء التجريبيين ، كان هناك دائماً موهوبون وطفيليون . أشجار ورد .. وأشجار عليق ..**

ـ هذا صحيح . ولكنني ألاحظ أن أشجار العليق صارت أطول من أشجار الورد !! .

*** هذه مسألة في التاريخ الشعري العربي وتاريخ كل الشعوب . ويكفي لأمة أن يكون فيها خمسة شعراء .. أو شاعر واحد .**

ـ لا أختلف معك على أن الكيفية أهم بكثير من الكمية . ولكن الذي حصل أن ظاهرة الرداءة صارت الأصل ، حتى صارت الحداثة مقترنة بنماذجها (التعبانة) أكثر من اقترانها بالنماذج الجيدة .

إنني رجل أصولي وخارج على الأصول في الوقت ذاته . انقلابي ومتشبث بجذوري ...

*** لو كنت خارجاً على الأصول ، لما كنت تكلمني بطريقة أصولية .**

ـ ولماذا تغضب إذا كلمك إنسان بطريقة أصولية ؟ أنت شاعر وناقد وتحضر لدرجة الماجستير في الأدب . وهذا يفرض عليك أن تكون أصولياً لتستطيع أن ترى الأشياء بعين أكاديمية ، وتميز بين الأبيض والأسود ، وبين المحارة واللؤلؤة ، وبين الشاعر والبهلوان .

أن تكون أصولياً ، ليس معناه أن تبقى مدقوقاً كالمسمار في الحائط ، ولا أن تكون وتداً في خيمة . وإنما معناه أن تكون جسراً يربط بين قارة الماضي ، وقارة المستقبل ، وأن تكون تلك المحطة التاريخية التي تتلاقى فيها القطارات القادمة من كل مكان .. والمسافرة إلى كل مكان ..

إن الأصولية هي جهاز المناعة الذي يمنعنا من أن نكون هلاميين ، وهوائيين ، وعدميين .

هل تعرف أن بيكاسو ، وسلفادور دالي ، وسان جون بيرس ، كانوا من أكبر الأصوليين وأكبر الانقلابيين أيضاً . وأنه إذا لم يكن الفنان أصولياً كبيراً ، فلا يمكنه أبداً أن يكون انقلابياً كبيراً ...

*** نفهم مما طرحته ، أن الحداثة الشعرية العربية لم تستطع أن تتواصل مع الجماهير العربية ، وبقيت في (المنفى) . ولكن الفن عموماً ، ولدى جميع الشعوب المتقدمة حضارياً هو فن نخبوي .**

ـ هذا ليس صحيحاً . فالاتحاد السوفييتي دولة متقدمة حضارياً ، ومع ذلك فالشعر فيه يتجه إلى شعوب الاتحاد السوفييتي كلها ، وليس للنخبة المثقفة (الإنتلجنسيا) في موسكو ولينغراد .

إن الشعب في موسكو يقف في الطابور ساعات طويلة ليحصل على تذكرة دخول إلى أمسية شعرية يقيمها الشاعر يفتشنكو .

والشعب العربي في دمشق ، أو بغداد ، أو الخرطوم ، يعتبر الأمسية الشعرية عرساً من الأعراس ، ومهرجاناً قومياً يحرص أن لا يفوته .

ولا أدري لماذا يذكرني مصطلح (الشعر النخبوي) بمصطلحات الكانتونات ، والفيديراليات ، والكونفيديراليات ، والدوقيات ، ودول ملوك الطوائف ..

إنه نوع من الحكم الذاتي أو الانفصالي ، يريدون أن يطبقوه في الشعر .. كما يطبقونه فى السياسة .

وإذا كنت أقاوم نظام (الكانتونات) و (الجيتويات) في السياسة ، فأنا أشد شراسة في مقاومتي للكانتونات الشعرية .

إن الشعر هو رغيف الخبز الساخن الذي يجب أن يوزع مجاناً على جميع المعذبين في الأرض . أما النخبة التي تأكل (الكافيار) وسمك السومون المدخن ، فلن يسأل الشعر عنها سواء غابت أم حضرت .

إن الشعر ، ولا سيما في عالمنا العربي المشتت والممزق والضائع ، هو رسالة يبعث بها الشاعر إلى كل بيت . أما الشاعر الذي يكتفي بمخاطبة جيرانه في الحارة من على البلكونة .. فسوف يبقى شاعر الحارة ...

* في كثير من الأمسيات الشعرية التي اشتركت بها أنت مع شعراء عرب مبرزين ، كانت الجماهير تتدافع على نحو هائل ، سواء كان في المغرب ، أو في دمشق ، أو في السودان ، أو في أي مكان .

جيل النيوكلاسيكية ـ عمر أبو ريشة مثلاً ـ يعتبر الشعر الحديث مؤامرة على اللغة والحضارة العربية ، فأنتم كرواد سرتم في الخط ، ولم تأبهوا لهذه الاتهامات ، وكان يواكبكم تأييد شعبي عارم . أريد أن أصل إلى نقطة ، وهي أن نزار قباني الذي كسر النظرة التقليدية ، وبرهن أن قصيدته الجديدة هي قصيدة لها شرعيتها ، ولها حضورها الجماهيري والفني في آن .

من هنا ، أنا أدعو نزار قباني ، إلى أن يعتبر أيضاً أن مغامرات التجريب الحاصلة الآن ، هي أيضاً قابلة لأن تكوكب حضورها الشرعي والشعري أيضاً ..

ـ لسنا مختلفين أبداً على احتضان كل صوت واعد ، وكل تجربة تحمل معها ماءً وعشباً وسنابل قمح ..

إنني ليبرالي أكثر مما تتصور ، يا أحمد ، بل أنا مجنون ليبرالية . ولا أريد أن يقال عني ، ذات يوم ، أنني أغلقت نوافذي في وجه عصفور يغني جيداً .

والحق أنني لا أتأخر عن إعطاء مقعدي ، لأي شاعر يستطيع أن يؤدي دوري . فأنا أفرح بولادة شاعر جديد كما أفرح بولادة نجمة .

طالما صفقت للخيول التي تركض جيداً . ولم أقف يوماً في وجه حصان جميل الصهيل ، ذهبي الحوافر .

غير أني - وأقولها بصراحة - لا يمكن أن أجامل أحداً على حساب الشعر . ولا يمكن أن أسمح لحصان قليل الفطنة ، بليد الحركة ، كان يجر محراثاً في إحدى المزارع ، أن يشترك في الأولمبياد .

*** ما هو المعيار الشعري الذي يؤكدك ؟**

- يؤكدني عيون من يقرأونني ومن يسمعونني . إنهم المرايا التي أرى بها وجهي على طبيعته . وفي بعض الأمسيات الكبرى ، أشعر أنني لو رشحت نفسي لرئاسة الجمهورية في ذلك البلد ، لفزت بأكثرية الأصوات .

كل قارئ أو مستمع هو صوتٌ انتخابي . وبالطبع صوت يعطيه صاحبه باختياره وحريته المطلقة ، دون تدخل وزارة الداخلية وأجهزة المخابرات .

إذن ، فالجمهور هو جائزتي الكبرى ، وهو الذي يحميني ، ويقويني ، ويمنعني من السقوط بين أسنان السلطة .

طبعاً .. الحداثيون لا يعجبهم هذا الكلام ، لأنهم يعتبرون أن الجمهور متخلف ، وأمي ، وسطحي الانفعالات ، وأن طبلة تجمعه ، وطبلة تفرقه ...

إنني أعرف عقدة الحداثويين من الجمهور ، وأعرف منطقهم الذي هو نفس منطق الثعلب الذي لا يستطيع أن يصل إلى عنقود العنب .. فيقول إنه حامض ...

وفعلاً ، إن الجمهور العربي حامض جداً بالنسبة لبعض الشعراء الذين يتلقطون بذباب المقاهي ليسمع شعرهم .. ولكنه يعتذر بكثرة المشاغل .

مرة أخرى أقول : إن الجمهور هو لجنة الامتحان التي يقف أمامها الشاعر ، فإما أن تعطيه العلامة الكاملة ، وإما أن تعطيه صفراً ..

الجمهور هو البوصلة ، وبغير هذه البوصلة ، لن يتمكن الشاعر من تحديد المنطقة الجغرافية التي هو فيها ، ولن يستطيع أن يعرف أين الشرق ، وأين الغرب ، وأين الشمال ، وأين الجنوب .

جمهوري ، ليس جمهوراً من المراهقين ـ كما يتقولون ـ ولكنه قطاع عريض جداً من الناس ، يجمع الوزير إلى رئيس الجامعة ، إلى الموظف ،

إلى معلمة المدرسة ، إلى السكرتيرة ، إلى الممرضة ، إلى سائق سيارة الأجرة ، إلى كناس البلدية ...

أستطيع أن أجمع في يدي الأكاديمي ونصف الأكاديمي ، والمثقف ونصف المثقف ، والرسام ، والمغني ، والصيرفي ...

كل هؤلاء هم رعيتي . أعاملهم بحب وديمقراطية ، ولا أطبق قواعد البروتوكول عليهم ، فأضع الوزير في الصف الأول ، وسائق التاكسي في الصف الأخير .. فالناس جميعاً متساوون تحت مظلة الشعر .

إذن ، فالشعر يا صديقي ، ليس حفلة (زعبرة) وكرنفال (تجليط) ..

(المزعبر) يستطيع أن يقف على المسرح خمس دقائق ، عشر دقائق ، ربع ساعة على الأكثر .. ولكنه لا يستطيع أن يقف أربعين سنة .

المهم ، أن يكتشف الشاعر المفتاح . مفتاح بيت الشعر . وبكل مرارة أقول إن أكثر شعرائنا أضاعوا مفاتيح بيوتهم .. وناموا في الشارع ..

منذ سنتين ، جاءني الشاعر سليم بركات ، وقال لي : نريد في (دار النورس) أن نصدر لك مختارات شعرية تتوجه إلى الأطفال .

قلت له : لكن ، يا سليم ، أنا ما عندي شعر للأطفال .

قال لي : بل عندك كثير .. كثير .. أترك لي مهمة الاختيار .

وبالفعل غاب سليم عني شهراً كاملاً ثم عاد حاملاً من شعري مختارات شعرية أذهلتني . فقد كانت مكتوبة للأطفال .. وللأطفال فقط ..

وصدرت المختارات عن (دار النورس) في إطار فني رائع .

وعندما كان الأطفال بين سن 8 و 12 عاماً يأتون إليَّ في معرض الكتاب الذي ينظمه النادي العربي في بيروت ، لأوقع لهم على كتاب المختارات ، كنت أدخل في حوار معهم (لأنني لا أريد أن تمر هذه التجارب دون أن آخذ منها درساً) .

كنت أسأل الطفل : أنت ، حبيبي ، لماذا تقرأ شعري ؟

فيجيبني بنبرة طفولية وعفوية :

(لأنك ، يا عمو ، بتشبهني) ! ...

كلمة (بتشبهني) هذه .. تساوي عندي كل كنوز الدنيا . والواقع أنه كان يريد أن يقول أن لا الفرزدق يشبهه .. ولا الحطيئة يشبهه .. ولا امرؤ القيس يشبهه .. ولا أحمد شوقي يشبهه .. إنما (عمو) نزار قباني يشبهه ..

هذا أعظم تعريف للشعر سمعته من فم طفل ...

إذن (فالشعر هو أن نقول كلاماً يشبه الآخرين) .

* لا خلاف معك حول وظيفة الشعر ، أو عملية توصيله إلى أكبر حشد ممكن من الناس . لكن في المقابل ، ثمة مفارقة رهيبة حول هذا الموضوع بالذات . فثمة أقلية نادرة تستمع إلى المطرب الفلاني ، وهناك حشد هائل من البشر يزحف لسماع مطرب سخيف كأحمد عدوية مثلاً . فهل المقياس هنا على مستوى الغناء والموسيقى نستطيع أن نسحبه على الشعر ؟ فنقول مثلاً إن هذا الموسيقار لم يستطع أن يصل ، لذلك فإن فنه ضعيف ، بينما هذا الفنان مهم .. مهم لأنه خاطب مزاج الناس ، ودغدغ قشرتهم السطحية ؟

ـ أولاً ، أنت تأتي بمثل هابط جداً اسمه أحمد عدوية لتدين ذوق الجمهور . لماذا تبدأ من أسفل السلم لإصدار الأحكام ؟ على صعيد الموسيقى يمكنك أن تبدأ بمارسيل خليفة ، الذي استطاع أن يجمع حوله في أحد ملاعب بيروت الرياضية خمسين ألف مستمع .

يمكنك أن تبدأ بزياد الرحباني أو بالشيخ إمام .. بل يمكنك أن تبدأ بفيروز والرحابنة وعبد الحليم حافظ ..

الخمسون ألفاً الذين ذهبوا لسماع مارسيل خليفة ، لم يذهبوا ليحركوا خصورهم ، أو ليترنحوا طرباً . فموسيقى مارسيل لا تحرك الخصور ، ولا توزع حشيشة الطرب ، ولكنهم ذهبوا ليحركوا عقولهم وضميرهم السياسي . ذهبوا ليعيشوا هذه (الحداثة الموسيقية) التي لم يألفوها .

إذن ، فالحداثة الحقيقية والأصيلة يمكن أن تكون (شعبية) لا (نخبوية) كما تقولون . يمكنها أن تخترق ، وتتواصل مع الناس ، وتصبح جزءاً من الفولكلور الشعبي .

مارسيل خليفة وزياد الرحباني يمثلان (الحداثة) التي وجدت مفتاحها الشعبي ، واكتشفت المعادلة التي تجمع الخاص والعام ، و (الإنتلجنسيا) مع الدراويش ..

هذا على صعيد الموسيقى ، أما على صعيد الشعر ، فإن محمود درويش ومظفر النواب يمثلان أيضاً الحداثة الشعرية التي وجدت مفتاحها الشعبي .

محمود درويش استطاع بموهبته الفذة ، أن يخترق جدار الجماهير ، ويزرع الثورة الفلسطينية في كل بيت من الخليج إلى المحيط .

ومظفر النواب ، هذا الكربلائي الحنجرة ، الشفاف كدمعة فاطمة الزهراء ، استطاع هو الآخر أن يكتشف مفتاح الحزن العربي ، ويقرع أجراس الثورة والغضب في ليل المدن العربية النائمة .

إذن ، الحق ليس دائماً على الحداثة ، وإنما على المحدثين ، أو على بعض المحدثين حتى أكون عادلاً وموضوعياً في أحكامي .

الحداثة التي تستحق اسمها تستطيع أن تضئ . أن تشعل دم الجماهير .. أن تحرضها ..

*** أنت في رأيك أن وظيفة الشعر تحريضية ؟**

ـ نعم .. نعم .. وظيفة الشعر تحريضية ، انقلابية ، تغييرية . وظيفته أن يحرض الإنسان على نفسه ، على جلده ، على عظمه ، على تاريخه ، على أوكار الوطاويط المعششة في داخله .

الشاعر يأتي ليغير وجه العالم . فإذا بقي العالم (على حطة يدك) بأفكاره العتيقة ، وقناعاته العتيقة ، وكتبه العتيقة ، وأمثاله العتيقة ، وحكمه المأثورة . فما هي الفائدة من الشاعر ؟ إن أي كرسي من الخشب يكون عندئذ أهم منه .

*** إذن .. فلنلجأ إلى الخطاب السياسي ...**

ـ لا .. لا .. الخطاب السياسي مثل خطبة الجمعة . في حين أن القصيدة تدخل دم الناس ، وتبدأ بالتوالد ، والتناسخ . فالشجرة تصبح غابة ، والنهر يصبح بحراً ، والقمحة تصبح بيدراً ، والنجمة تصبح قطيع نجوم .. والشرارة الصغيرة تصبح ثورة ..

إذا نفيت عن الشعر صفته التحريضية ، تحول إلى كلام فارغ يشبه الشعر الذي يؤرخون به ولادة صبي .. أو يكتبونه على شواهد القبور .

*** المناسبة لا تصنع شعراء .**

ـ أي مناسبة ؟

*** يعني إذا كان محمود درويش ـ وهنا لنكن صرحاء ، أنا مسؤول عن كلامي هذا ـ محمود درويش صحيح أنه شاعر حساس ، ومن الأسماء المهمة في خارطة الشعر العربي الحديث . ولكن ساهمت القضية الفلسطينية أو المناسبة الفلسطينية إلى حد كبير في إطلاقه ...**

ـ اسمح لي أن أصحح التعبير . فالقضية الفلسطينية ليست مناسبة ، وإلا كان الشعر المكتوب عن الجنوب اللبناني هو مناسبة أيضاً .

ومحمود درويش ليس شاعر (المناسبة) الفلسطينية ، ولكنه فلسطين كلها ، بزيتونها ، وكروم عنبها ، وبحرها ، وبيارات برتقالها .

محمود أعطى القضية الفلسطينية أكثر مما أعطته ، ونشرها على كل كوكب ..

ولأنه شاعر كبير وموهوب ، فقد كبرت القضية الفلسطينية على يديه ، في حين أنها صغرت على يدي غيره . إذن فالقضية الفلسطينية وحدها ـ على أهميتها وقداستها ـ لا تكفي لإطلاق شاعر تنقصه الموهبة . محمود درويش صنعته موهبته وحدها .. ولم يصنعه أحد ...

*** إنني أحترم نزار قباني الشاعر ، وأعتبره فعلاً من الرواد الذين جعلوا اللغة أكثر شفافية ، ونقلوها من حال التخضرم التي ظلت مع السياب ، أو قبله البريكان ، وجعلوها لغة نقية شقراء . أنا أعترف بهذه المسلمة لنزار قباني وبشئ من التقدير الكبير .**

ولكن أيضاً ، فليسمح لي الأستاذ نزار بالقول إنه اتكأ على مشكلة كبيرة في المجتمع العربي هي مشكلة المرأة . يعني المرأة العربية بما هي جوع جنسي ، وعلى إيقاع هذا الجوع عزف نزار طويلاً .. ونجح .. ولكنه استقطب الكبار والصغار ، المراهقين وغير المراهقين في عموم الخارطة العربية . وهذا التجييش من حوله تمحور حول نقطة ، هي هم المرأة العربية في علاقتها مع الرجل .

ـ إذا لم يتكئ الفنان على قضية ما .. فعلى أي شئ يتكئ . على الهواء ؟ أم على التخيل والتجريد ؟

إنني لا أستورد المواد الأولية التي أستعملها في شعري من القمر . ولا أخترع عالماً كعالم الحشاشين أسكنه وأكتب عنه . إن بضاعتي كلها محلية ، والتراب الذي أعجن منه نماذجي هو تراب دمشقي ، ولبناني ، وعراقي ، ومصري ، وأردني ، وخليجي ، وسوداني ، وشمال إفريقي ...

والمرأة التي تقول إنني اتكأت عليها .. لم تكن فرنسية ، أو إنكليزية ، أو دانمركية . وإنما كانت من حي (القيمرية) في دمشق .. أو من حي (الغورية) في القاهرة .. أو من حي (الأعظمية) في بغداد .. أو من حي (الأشرفية) في بيروت .

إنني لم أخترع شيئاً من بنات أفكاري . ولكنني منذ فتحت عيني على الدنيا ، رأيت امرأة تولول بين أسنان رجل يمضغها ، ويُنكِش بعد الطعام أسنانه ..

ارتعبتُ كثيراً من همجية المشهد ، وحين سألتُ أبي : شو القصة ؟ قال لي وهو يبرم شواربه :

((المرأة دائماً هي أصل البلاء .. هي التي دخلت بين أنياب الرجل ، فأكلها .. وإذا كنتَ تريد رأيي ، ورأي البوليس ، ورأي المحاكم أيضاً .. فإن الحق عليها ..)) .

منذ ذلك التاريخ عرفت أن الحكم النهائي على المرأة قد صدر عن محكمة الذكور ، وأنه غير قابل للاعتراض أو الاستئناف أو التظلم لدى القاضي ، لأن القاضي نفسه أكل زوجته ، ونكش أسنانه بعد الطعام .

هذه هي القضية التي اتكأت عليها .. وأنا لا أقص عليك حلماً أو كابوساً .. وإذا كنت لا تصدقني ، فافتح باب أي بيت ، أو باب أي خيمة في الوطن العربي التي تشكل أسنان الرجل حدوده الطبيعية . افتح أي باب .. وسترى المشهد إياه ...

إن قصائدي عن المرأة ليست أفلام (بورنو) ، ولا مشاهد مركبة على طريقة (الميكساج) .. ولكنها وثائق اتهام تحمل تواقيع سبعين مليون امرأة عربية ، في الدعوى التاريخية الشهيرة التي أقامتها النساء على الرجال منذ عشرة آلاف سنة ، ولا تزال نائمة في الجوارير ، تنتظر فرج الله ..

*** اسمح لي ، أستاذ نزار ، أن أكون أكثر جرأة معك . هناك شعراء مثل أدونيس مثلاً همه النصية الحضارية . القصيدة عنده عبارة عن نص حضاري تتشابك فيه هموم الإنسان العربي في التاريخ الحاضر والمستقبل . يعني عمل توليفي لكل ما يعتمل في الذات العربية وطرحها كجسر شعري إلى المستقبل . بينما نزار طرح قضية مهمة هي المرأة وظل في إطارها أو في شرنقتها .**

- مقارنتي بأدونيس أو بغير أدونيس غير واردة .

فأنا شاعر مثل مدينة الفاتيكان ، أو إمارة موناكو ، لي سيادتي وأعلامي ، وأختامي ، وسفرائي ، ووزرائي ، وتمثيلي الدبلوماسي .

إنني متمسك جداً بخصوصيتي ، ولا أرى ضرورة لكي أرى الأشياء بعيون شاعر آخر . فالشعراء هم مجموعة من العدسات اللاقطة التي تختلف بؤرها . فإذا كان صديقي أدونيس يستعمل العدسات البعيدة المدى في رؤية العالم . فإنني أستعمل عدسة (الزووم) . فإذا اختلفت الصور التي التقطناها .. فلأن عدساتنا كانت مختلفة ، والزوايا التي وقفنا فيها كانت مختلفة .

وأود هنا أن أسأل : لماذا نعتبر الكتابة عن همومنا الجنسية من المحرمات . إننا نقف على أرض جائعة جنسياً . والرجل فيها جائع جنسياً أكثر من المرأة .. وأناني ، وسفاح ، ونرجسي أكثر منها .

إن الجنس هو هذا الذئب الأسود الذي يعوي على أبوابنا ليلاً ونهاراً ولا يتركنا ننام ، أو نفكر ، أو نكتب ، أو نمارس عملنا بشكل طبيعي . ولقد سبق لي أن قلت إن تحررنا السياسي والثقافي مرتبط بتحررنا الجنسي .

إن أوروبا تحررت من عقدها الجنسية واستراحت ، ودخلت سباق الفضاء . أما نحن فلا نزال مستعدين لقتل عشرين قتيلاً .. للوصول إلى فخذ امرأة ..

طبعاً .. إن كتاباتي عن المرأة ليست نهاية طموحاتي . ولكنني أعتقد أنه لا بد لشاعر ما ، أو لكاتب ما ، أن يتصدى للمشكلة بشجاعة . وأعتقد أنني حطمت ـ في حدود إمكانياتي ـ جزءاً من الخرافة الكبرى .

*** ما ردك على الذين يقولون إنك (سلــَّعت) المرأة ؟**

ـ الذين يقولون هذا الكلام لم يقرأوني جيداً .. لأنني لو اشتغلت في (تسويق المرأة) أو (تسليعها) أو (تعليبها) لكنت اليوم أكبر ملياردير في العالم .

ولكنني مع الأسف ، تاجرتُ بالنار حتى احترقت .. فلا المرأة استدعت فرقة الإطفاء لإنقاذي ، ولا الرجل - الذي بيني وبينه ثارات قديمة - رضي أن يأخذني بسيارته إلى قسم الطوارئ ...

هناك كثيرون يعتقدون أنني طالبت بتحرير المرأة من أنياب ومخالب الرجل لأمتلكها أنا .. وأنني نسخة طبق الأصل عن شهريار ، أو دراكيولا ، أو جمال باشا السفاح ...

ألقاب ما أنزل الله بها من سلطان ألصقت بي ، ولكن الذين يعرفونني جيداً يعرفون أن (شهريار القباني) هذا .. ليس عنده شفرة حلاقة لذبح النساء ، وليست عنده الشجاعة لقتل عصفور ، وأنه في آخر الليل ، ينام على سرير منفرد كأسرة المستشفيات .. أو السجناء ..

*** لندع الشهريارية جانباً . لقد لفتني في حديثك ما قلته من أنك ضد التجريد ، مع أنك في الماضي كنت تقول بأن الغموض فيه كثير من الجمال . والتجريد هنا يدخل في باب هذا الغموض الضروري للجمال . فما تعليقك ؟**

- في المرحلة الثقافية والسياسية التي نحن فيها ، أعتقد أن التجريد سلعة كمالية لا حاجة لنا بها . فمواجعنا واضحة ، وأحزاننا واضحة ، وتخلفنا واضح . وحين يكون خنجر إسرائيل داخلاً في خاصرتنا حتى العظم ، فما تنفعني التورية والمجاز والتعتيم ؟

وحين تكون رقبة الإنسان العربي في حبل المشنقة ، فأي خدمة يمكن أن يقدمها له سان جون بيرس مثلاً ؟

لنعد إلى صديقنا أدونيس . إنه بكل تأكيد شاعر كبير ، ومؤسسة قائمة بذاتها . ولكنني أسأل بمحبة كم واحداً من هذا الشعب العربي يستطيع أن يستوعب أدونيس ؟ كم واحداً يستطيع أن يرافقه في رحلة الحدس والتجريد والماورائيات ، دون أن يسقط من التعب ؟ .

لو كان أدونيس يكتب للشعب البريطاني ، أو للشعب الفرنسي ، لكان الأمر طبيعياً .. ولكنه يكتب لعالم عربي لا يزال في منتصف الطريق بين الثقافة والأمية ، بين النهار وبين الليل ، بين الوعي واللاوعي .

وإذا كانت الكتابات التجريدية تستطيع أن تغطي خمسة بالمئة من مجموع الشعب العربي ، فماذا نفعل بالـ 95 بالمئة الباقية ؟ .

هل نسقطها من حسابنا ، أم نحاول أن نأخذ بيدها قليلاً ، ونصبر عليها قليلاً ، ونتسامح معها قليلاً ، حتى تكتمل بنيتها الثقافية .

الشعراء الروس يذهبون إلى (الخولكوزات) أي المزارع الجماعية ، ليقرأوا شعراً على الفلاحين يكون على مستوى مداركهم ، ومستوى استيعابهم الثقافي . أي أنهم ينحنون قليلاً ، ويتنازلون قليلاً عن عنفوانهم الثقافي ، ليجلسوا مع الفلاحين على الأرض . مايافسكي كان أيضاً يقرأ شعره في مقاهي موسكو .. وفي ساحاتها العامة .

وأعتقد أن على الشعراء العرب أن يسلكوا ذات الطريق .. وأن يقبلوا الشعب العربي كما هو .. لأن الكتابة لهذا الشعب هي قدرنا .. ولا يمكننا استيراد شعب من إسكانديناڤيا لنقرأ له شعرنا ...

*** أنت هنا تطرح مشكلة تربوية ثقافية ، مختلفة عما نتناقش فيه . فعندما تكون نسبة الأمية مرتفعة جداً على المستوى العربي ، إضافة إلى نسبة الأمية الثقافية ، وهي أخطر في نظري من الأمية الأبجدية . فكيف نحل هذه الإشكالية ؟ .**

- إنني لا أطرح مشكلة تربوية . إنني أطرح قضية الشعر . كيف نتعامل معه .. وكيف نوصله إلى الآخرين .

إن المهم عندي كشاعر أن أصل إلى الناس كائناً من كانوا .. أنا لا أستطيع أن أنتظر عملية التعليم الكامل للمجتمع العربي حتى أكتب شعري وأنشره .. فربما تأخذ العملية مئة سنة أو أكثر ...

فماذا تقترح عليَّ أن أفعل في هذه الفترة الانتقالية . هل تريدني أن أبقى عاطلاً عن العمل ؟ .

*** في أي اتجاه ، أستاذ نزار ؟**

- في كل الاتجاهات . أنا مفروض فيَّ أن أرفع الذوق العام ، وأخرج السواد الأعظم من ترابيته إلى آفاق أخرى .

إذا رفعتُ هذا السواد عشرة سنتيمترات عن الأرض ، فإنني أعتبر هذا إنجازاً . إن كلمات الشاعر لا تذهب في الهواء . فأنا بعد أربعين سنة من العمل الشعري أشعر أنني نجحت في تدريب الناس على الإصغاء للشعر ، وعلى جعله عادة من عاداتهم اليومية .

استطعت أن أكون حنجرة الذين لا يستطيعون أن يصرخوا .. ودموع الذين لا يستطيعون أن يبكوا .. وأحلام الذين لا يستطيعون أن يحلموا ...

استطعتُ أن أكتب بلغة شعرية لا أثر فيها (للعنطزة) والتعالي .. والتشاوف .. ورفعتُ الكلفة نهائياً بين الناس وبين الشعر .

*** وهل تحريضك هذا ، آتى ثماره ؟ .**

ـ طبعاً .. طبعاً ..

*** كيف تعاين هذا الثمار ؟**

ـ ثماري ، أقطفها بيدي كلما ذهبت إلى مدينة عربية لأقرأ شعري . ما حدث لي في السودان ، في دمشق ، في بغداد ، في الكويت ، في أبو ظبي ، في الشارقة ، في الأردن ، في تونس ، في المغرب ، في الجزائر ..

هذا هو المعيار الذي أقيس به انتصاراتي . فحين يسمعك عشرة آلاف شخص في غابة من غابات السودان ، وتدق من حولك الطبول ، تشعر بأنك واحد من اثنين . شاعر أو قديس .

إن أعظم انتصار في الدنيا ، ليس انتصار الإسكندر المقدوني ، ولا انتصارات هانيبعل ، أو نابوليون بونابرت .. ولكنه انتصار القصيدة .

* ثمة شعراء ، أستاذ نزار ، ظلمهم الإعلام . هناك شاعر مهم في رأيي ما زال حتى الآن مغموراً من ناحية الإعلام ، هو الشاعر العراقي حسب الشيخ جعفر . كيف تعلل هذه الظاهرة ؟

- الإعلام لا يصنع الشعراء . قد يجملهم ، ويعطرهم ، ويكحلهم .. ولكنه لا يستطيع أن يجعل من المكنسة عروساً . غير أني أريد أن أشير هنا إلى فن أصبح أساساً في النجاح الفني والاقتصادي ، هو فن العلاقات العامة **Public Relations** . وفي هذا العصر لا يمكن أن تنطلق سلعة تجارية ، أو أسطوانة ، أو مسحوق صابون ، أو غسالة كهربائية ، أو تلفزيون ملون .. إلا إذا كان خلفه دائرة علاقات عامة .

والشاعر إذا أراد أن ينجح ، وينطلق ، ويتألق فإن عليه أن يتقن فن العلاقات العامة ، تماماً كالمغنين العالميين الذين لا يتحركون في رحلاتهم إلى الخارج إلا ضمن مخطط إعلامي يضعه مستشاروهم لشؤون العلاقات العامة .

أدونيس مثلاً ، شاعر يتقن جيداً فن العلاقات العامة ، فهو لا يتوقف عن الحركة في خدمة شعره ، فمن بيروت ، إلى باريس إلى لندن إلى موسكو ، إلى واشنطن ، إلى أي مكان يرى أن وجوده فيه ضروري .

ولو أن أدونيس كان أقل حركة لما كانت له هذه الأهمية .

الشاعر اليوم ، لا ينتظر العالم كي يأتي إليه ، بل عليه أن يذهب إلى العالم . لا يستطيع الشاعر في هذا العصر ، أن يبقى قاعداً في خيمته كزهير بن أبي سلمى ، ثم يبيض قصيدة كل سنة .

الشاعر اليوم بحاجة إلى سكرتيرة تنظم له مواعيده ، وتتلقى رسائله الهاتفية ، وتفتح له بريده .. كما يفعل أي رئيس وزراء .. أو أي مدير مصرف .

* انطلاقاً من قول بوشكين (أيها الشاعر أنت المحكمة العليا لذاتك) . نزار قباني ، كيف ينقد نفسه كشاعر ؟

- إنني أجلس أمام ورقة الكتابة كما يجلس تلميذ أمام لجنة الامتحان . دائماً هناك خوف في داخلي أن أكون اليوم أقل من البارحة ، وأن تكون القصيدة التي كتبتها قبل شهر ، أحسن من القصيدة التي أكتبها الآن .

هذا الخوف لازمني منذ بداياتي الأولى . ولا يزال يلازمني حتى اليوم . ولم أطمئن إلى هذه الحالة المرضية التي أنا فيها ، إلا عندما رأيت الموسيقار

الكبير محمد عبد الوهاب يقرأ (آية الكرسي) خلف الكواليس ، قبل أن تغني له أم كلثوم لحنه الأول .

هذا الخوف أمام الجديد ، أسميه المسؤولية . والمسؤولية هي هذه المراقبة العقلية الصارمة التي تحمي الفنان من الطيش والحماقة والغرور ، وتذكره في كل لحظة أن عليه أن يحترم تاريخه .

وربما من حسناتي ، أنني في كل لحظة قادر على قياس حجمي الشعري بموضوعية تامة . فلا أتصور نفسي ديكاً .. أو طاووساً .. ولا يدفعني الغرور إلى اعتبار نفسي فتى الشاشة الأول ، ومغني الجماهير الذي لا تغيب عنه الشمس .

وإذا كانت الإمبراطوريات تزول ، والدول تزول ، فإن الشاعر الحكيم هو الشاعر الذي يعرف كيف ينسحب من المسرح ، قبل أن يُطفئوا الأضواء عليه ..

ولكن هل يستطيع الشاعر أن يقدم استقالته من الشعر بمحض إرادته ؟ أعتقد أن الجمهور هو الذي يقرر هذه المسألة .

وأنا في اللحظة التي أشعر بها أن الجمهور الذي كنت أغنيه بدأ يتململ في مقاعده .. فسوف ألملم أوراقي .. وألبس معطفي .. وأنسحب .

إنني شاعر لا يؤمن بالاغتصاب بكل أنواعه . واغتصاب الكلمات لا يقل بربرية وتوحشاً من اغتصاب النساء ..

*** ألا تخاف ، يا نزار ، من النقد المستقبلي المعياري ؟**

- أبداً .. أبداً .. ولماذا أخاف ؟ فما دمتُ قد غطيت عصري تغطية شعرية كاملة ، فما سيقوله نقاد المستقبل عني لا يشغل بالي . لأن لكل عصر موازينه ومعاييره ..

يسألونني دائماً عن الخلود . الخلود كلمة كبيرة جداً على الكائن البشري الذي حياته ليست أطول من فيلم سينمائي قصير .

ليس من خالد إلا الله .. كل الملوك ، والأباطرة ، والجنرالات ، والطغاة ، والغزاة ، صاروا غباراً .

يضحكني بعض الشعراء الذين يقولون لك - في تبرير عدم انتشارهم - : نحن لا نكتب لهذا العصر ، وإنما نكتب للعصور التي سوف تأتي . شعرنا شعر مستقبلي ..

وأنا أسأل هؤلاء : إذا لم تكونوا موجودين في الحاضر ، فكيف ستكونون موجودين في المستقبل ؟ .

بعد مئة سنة ، أو خمسمئة ، أو ألف سنة .. لا نعرف ماذا سيحصل على صعيد الشعر .. والكتابة .. والثقافة ..

يجوز أن يصبح الكتاب حبة صغيرة نبتلعها قبل أن ننام .

وشعر الحب ، ما مستقبله بعد ألف سنة ؟

يجوز أن تنتهي مؤسسة الحب ، أو تقفل أبوابها ، أو تشهر إفلاسها .

يجوز أن يأتي (جنس ثالث) لا يعرف كيف يحب .. ولا يعرف أن يفرق بين ثغر الحبيبة .. وبين إشارة المرور الحمراء .. وبين حضنها وبين حضن الموتوسيكل ...

كل شئ جائز . لذلك من الحكمة أن يكون الشاعر واقعياً ، ولا يعتمد كثيراً على قراء المستقبل ، لأنهم لا يزالون في عالم الغيب .

*** هل تبتهج بجمهورك ، وتتمتع بحال النجومية التي أنت بها ؟ .**

- أبتهج ابتهاجاً عظيماً ، كما يبتهج الحصان عندما يربح السباق ، ويحصد الميداليات الذهبية ..

هناك ناس يسكرون بالويسكي ، وناس يسكرون بالعَرَق ، وناس يسكرون بالفودكا .. أنا سكرتي الكبرى هي جمهوري .

عندما يتحول خمسة آلاف أو عشرة آلاف مستمع إلى خاتم في يدي ، أشعر أني ملك الملوك .

* قبل قليل تكلمت عن ناحية مهمة جداً هي سلوك الشاعر . هل يخطط نزار قباني لدماثته ، أم هو دمث بالسليقة ؟

- أنا طفل يا أحمد . طفل يلعب على ورقة كتابة . ولا أحد يستطيع اختراع طفولته ، أو شراءها من محل لبيع الألعاب .

ليس هناك شئ اسمه تخطيط للدماثة ، كما توضع خطط التنمية ، ومشاريع السنوات الخمس . فإما أن يكون الإنسان غليظاً .. وإما أن يكون لطيفاً .. وليس هناك على حد علمي مدرسة لتعليم الرقة والعذوبة .. كالمدارس التي تعلم قيادة السيارات .

إن من طبيعة الأشياء أن يكون الشاعر رقيقاً . وإلا كان عليه أن يصبح مدير بوليس .

واللافت عند بعض شعرائنا العرب هو لعبة (الدكتور جيكل والمستر هايد) التي يلعبونها بإتقان . فبينما تراهم على ورقة الكتابة ملائكة بمنتهى العذوبة والشفافية ، تجدهم في سلوكهم اليومي ، وتصرفاتهم قبيحين كالشياطين .

*** نزار ، الذي يستطيع أن يعيش من خلال وضعه الاقتصادي الجيد في أجمل مدينة ، وأجمل بقعة في العالم . لماذا هو متمسك ببلد كلبنان يتجاذبه الخراب من كل صوب ؟**

ـ أشكرك على هذا السؤال ، فبرغم كل ما كتبته عن بيروت ، أشعر أنني لا أزال مقصراً معها . علاقتي يا أحمد ببيروت علاقة عشق كبير . وأريد أن أفرق بين من اتخذوا من بيروت (صاحبة) لهم ، يشربون معها كأساً .. وينصرفون .. وبين من عشقوا بيروت حتى نخاعهم الشوكي .

وأنا ، بالرغم مما يقال عني ، بأنني أجمع المدن كما أجمع النساء ، فأنا شاعر أحادي . أحب مدينة واحدة .. وامرأة واحدة ..

بيروت بالنسبة لي هي الجغرافيا كلها . جغرافية الشعر .. وجغرافية الأرض . أطفش منها أحياناً وألتجئ إلى باريس ، أو جنيف ، أو لندن ، أو واشنطن . ثم أرحل من هذه المدن كلها ، وأعود إلى حبيبتي بيروت ، فأجدها تلبس الكيمونو الحريري الوردي .. وتنتظرني على العشاء ..

أطفش من الشانزليزيه .. وأعود إلى (زاروبة) بيتنا في حي مار إلياس . أطفش من ساحة الكونكورد وأعود إلى ساحة (رياض الصلح) .. أطفش من (برج إيفل) وأعود إلى (برج أبي حيدر) ..

هل هذا معقول ؟ هل هذا منطقي ؟ طبعاً عندما يكون المرء عاشقاً حتى نخاعه الشوكي يصبح اللامعقول معقولاً .. واللامنطقي منطقياً .

إنني لا أقيس المدن بطولها وعرضها وعظمة أوتوستراداتها ، وفخامة فنادقها ومطاراتها . إنني أقيسها بقدرتها على تحريضي شعرياً .

ولأن بيروت تبللني ، بأمطار الشعر ، وتشعل بي شهوة الكتابة ، فهي عندي أعظم من نيويورك .. وأهم من طوكيو ..

لا أتذكر أن بيروت ضايقتني في يوم من الأيام .

لا أتذكر أنها (زعلتني) ..

لا أتذكر أنها استجوبتني كما تفعل أكثر النساء .. (فين رايح يا أستاذ ؟) .. (أين كنت يا أستاذ ؟) .. (ما هذا الأحمر على قميصك يا أستاذ ؟) ..

بيروت لم تتلصص عليَّ من ثقب الباب ، ولم تفتش جيوبي وأوراقي ، ولم تطبق عليّ الأساليب (المخابراتية) ....

كانت تضع ركوة القهوة أمامي .. وتقول لي : عندما تحتاج إليَّ .. فنادني ..

بيروت مدينة جبارة . ففي حين كانت الصواريخ تتطاير فوق رؤوسنا ، والبنايات تنقلع من أساساتها ، كانت المطابع تدور ، والكتب تتوالد كالفطر ، وكنا نقضي أياماً بكاملها في قبو المطبعة ، نراقب البروفات ، ونلاحق الضمة ، والكسرة ، والفتحة ..

هذه هي معجزة بيروت .. إنها مدينة ترفض موتها . ففي ذروة اشتعال الحرب الأهلية ، كانت بيروت تطبع خمسين كتاباً جديداً كل يوم ، في حين لا تستطيع باريس أو لندن أو نيويورك في زمن السلام ، أن تدخل هذه المغامرة الثقافية الكبرى .

وتسألني : لماذا لا تعيش في لندن ؟ لماذا لا تسكن باريس ؟ ماذا أفعل هناك ؟ أجلس على مقهى من مقاهي الرصيف .. وأقرأ جريدة (لوموند) .. وأبكي على ضياع الأندلس ؟

لا في لندن أستطيع أن أكون (شكسبير) .. ولا في باريس أستطيع أن أكون بول فاليري .. أو شارل بودلير .

أما في بيروت ، فأستطيع أن أكون نزار قباني ..

ثم إنني ضد جميع المنافي . والتسكع على أرصفة العالم ليس مهنتي . هناك ناس يحملون وطنهم في حقيبتهم ، ويهربون عندما تنطلق أول رصاصة ...

وهناك ناس وطنهم موجود في دفتر شيكاتهم .

وهناك ناس يعتبرون الفنادق بديلاً لأوطانهم ..

أنا شخصياً لا أستطيع أن أفعل ذلك . فعندما اضطررت إلى الرحيل مع أولادي بمركب شحن إلى قبرص ، فوجئت وأنا أفتح حقيبتي في الفندق أن الحشيش البحري على شاطئ (عين المريسة) كان يغطي كل قمصاني ..

*** بعيداً عن أي متاجرة استهلاكية ، بدأت حركة المقاومة في الجنوب اللبناني تقنع العالم أن للدم ثقافته . هل يعتقد نزار أن ما يجري في الجنوب هو الرد الحقيقي على الهزائم المتكررة التي نتخبط فيها منذ سنوات طويلة على مستوى الوطن العربي ؟**

ـ ما يجري في الجنوب هو الشمس . وكل ما حوله على امتداد الوطن العربي عتمة . ما يجري في الجنوب هو الحقيقة ، وكل ما عداه غزوات إذاعية ، وحروب دونكشوتية لا يموت فيها أحد سوى الشعب .

منذ 1948 ، ونحن نتلقى الهزائم على رؤوسنا ، حتى صارت جزءاً من إفطارنا الصباحي .

المقاومة الجنوبية الآن هي الفرح الحقيقي في تاريخنا المضرج بالحزن .

وأهم ما في المقاومة الجنوبية أن الاستشهاد فيها صار معادلاً للحياة ، وأن المقاتل الجنوبي صار يتزوج الموت كأنه يتزوج حبيبته .

كل ما أرجوه أن تبقى المقاومة في الجنوب محتفظة بنضارتها وشبابها ، وأن تبقى الثورة ثورة . لأن أكثر الثورات العربية تحولت مع الأسف

الشديد ، إلى مؤسسات حكومية تشتغل بالمعاملات الورقية ، والشؤون الإدارية ، حتى صارت نصف الثورات العربية محفوظة في الملفات ..

إنني موافق على ما تقوله من أن للدم ثقافته . وأعتقد أن حركة المقاومة الجنوبية ستكون مصدر ثقافتنا الجديدة ، ومصدر كل إبداع جديد ، وشعر جديد ، وموسيقى جديدة .

ولكنني لا أريد أن تصبح المقاومة الجنوبية مثل (قميص عثمان) يلبسه أنصاف الموهوبين ، أو أرباع الموهوبين . من عنده شئ يقوله بمستوى المقاومة الجنوبية فليقله .. وإلا فنرجوه أن يستريح ويريح .

*** لنتكلم عن جائزة نوبل . هل خامرك شعور بأن تستيقظ ذات يوم ، على تلفون من الأكاديمية السويدية يقول لك : مبروك .. لقد أعطيناك جائزة نوبل .**

ـ يا أخي .. شيلوا من دماغكم قصة جائزة نوبل .. واستريحوا . أنا شخصياً شايلها من بالي تماماً .. لأنني أعرف مسبقاً أن كل الخيول العربية خارج هذا السباق .

هذه الجائزة جزء من الحرب الباردة بين المعسكرين .. ورشوة سياسية لكل (تحريفي) يخرج من الاتحاد السوفيتي ، ويشتم النظام الشيوعي .

هل من المعقول أن البلاد العربية كلها لم تنجب من عصر النهضة إلى اليوم ، كاتباً أو مفكراً أو شاعراً عربياً يستحق جائزة نوبل ، من رفاعة الطهطاوي ، إلى محمد عبده ، إلى جمال الدين الأفغاني ، إلى طه حسين ، إلى جبران خليل جبران ، إلى ميخائيل نعيمة ، إلى الطيب صالح ، إلى نجيب محفوظ ، إلى توفيق الحكيم ، إلى يوسف إدريس ..

إنني على يقين بأن شعرنا أهم من شعرهم ، وبعض رواياتنا أهم بكثير من رواياتهم . لكن جلودنا السمراء لا تعجب على ما يبدو رجال الأكاديمية السويدية .

وما دامت الدول الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، بدأت تنسحب من منظمة اليونسكو ، بحجة أن دول العالم الثالث تسيطر عليها ، وأن (البرابرة) أصبحوا أكثرية فيها .. فلماذا لا تأخذون العبرة من هذه المؤسسة الثقافية العالمية التي توقفت الولايات المتحدة والدول الغربية عن تمويلها لأن فيها عرباً وأفارقة ويساريين وغاضبين .. ولأن الثقافة في تصورهم هي الثقافة البيضاء .. أو الشقراء .

*** كيف يعاني نزار قباني من تطور القصيدة عنده ، أقصد كيف يتحقق الانقلاب الشكلي والمضموني لدى نزار ؟**

ـ صعب أن أدخل في تفاصيل كيمياء القصيدة ، فكيمياء القصيدة عملية معقدة جداً ، وليس لها نظام تسير بموجبه ، أو روزنامة تتقيد بها .

(هي) مزاجية جداً ، وكاذبة في مواعيدها جداً ، ومحتالة جداً . تنتظرها من الشرق ، فتأتيك من الغرب .. أو لا تأتي أبداً ..

و (هي) المرأة الوحيدة بين النساء التي تخطب الرجل وتتزوجه ويحبل ويلد منـها .. وهو آخر من يعلم .

القصيدة تلعب بنـا كما تريد . ننتظرها على المكتب ، فتدخل علينا في غرفة النوم . نخطط لاستقبالها في الصالون ، فنجدها تأخذ (دوشاً) في الحمام . نضعها في الفراش ونغطيها في الشتاء . فنجدها عارية تحت المطر في الشارع العام .

ليس لها مكان معروف تتردد عليه . فهي في كل الأمكنة ، ولا تعطي عنوانها لأحد . وليس في بيتها تلفون ، ولا صندوق بريد ..

كاذب من يقول لك إن القصيدة تزوره كل يوم ، وتتناول إفطار الصباح معه . وكاذب من يقول لك إن القصيدة أقامت معه شهراً كاملاً في أحد الفنادق .

وكاذب من يقول لك أنه رأى القصيدة في حالة عري كامل ..

القصيدة لا تسكن مع أحد أكثر من خمس دقائق .. ثم تتركه ..

والقصيدة لا تخلع ملابسها الداخلية دفعة واحدة أمام شاعر .. ولكنها تفعل ذلك بالتقسيط .. كما تفعل كل امرأة ذكية مع حبيبها .

ربما تقول لي إن هذا الجواب ليس علمياً لتحولات القصيدة ، وكيفية تشكلها في مختبر النفس .

صدقني . أنا لا أعرف ما يجري تحت جلدي .

فلا بالشكل أفكر ، ولا بالإيقاع أفكر ، ولا بالتفاصيل أفكر ، ولا باللغة أفكر . فجأة .. تنشق الأرض وتطلع القصيدة معطرة ، مكحلة ، مفلفلة ، معصفرة ، وتجلس على حافة السرير ، وتقول لي : (هالو .. أنا زوجتك ..) .

سامحني مرة ثانية ، إذا كان جوابي ليس علمياً .

ولكن ما علاقة العلم بتكوين القصيدة ؟

أنا لا أملك مصنعاً للألبسة الجاهزة حتى أقول لك من أين نستورد القماش ، وكيف نقصه ، وكيف نخيطه ، وما هو عدد العمال الذين يشتغلون في المصنع ، وما هي الموديلات الأكثر رواجاً عندنا ..

كل ما أعرفه أن طبيعة الشعر تشبه طبيعة الزلزال .

ومن ذا الذي يستطيع أن يكتب تاريخ زلزال ؟؟

*** كيف ينظر نزار إلى عوامل المد الديني ، وكيف تقومه ، وهل أنت تخاف من نتائجه ؟**

- الدين عدل وديمقراطية وشورى وأخلاق وخير . وأنا لا أخاف من دين يحترم فكري وإنسانيتي ويدخل في حوار ديمقراطي معي ، بعيداً عن أي تعصب ، أو تزمت ، أو قهر .

الحركات الدينية ، أو الأصولية ، هي ردود فعل لإفلاس الحركات السياسية والحزبية . ففي غياب العمل السياسي المبرمج والمنظم ، تحرك الدين ليسد الفراغ .

والحركات الدينية ، كانت صمام الأمان ، للخروج من عنق الزجاجة التي حبستنا فيها الأنظمة الأوتوقراطية والفردية . وسقوط أنور السادات على أيدي رجال الدين كان سقوطاً حتمياً للتخلص من الفكر الفردي والاستبدادي والمقامر . بعد أن عطل السادات كل المؤسسات الدستورية ووضع مصر كلها في السجن .

إذن ، فالدين يمكن أن يكون عاملاً إيجابياً في حركة النضال الشعبية ، وأن يصحح كثيراً من الانحرافات في حياتنا . شريطة أن يكون هذا الدين مستنيراً ، منفتحاً على أفكار العصر ، متجدداً ، وقابلاً للحوار ، ومتفاعلاً مع ما حوله من مستجدات .

أما إذا بقي الدين في شرنقته ، لا يقبل أن يخرج منها ، ولا يقبل أن يناقشه أحد في حرفية النصوص ، فسوف يتحول بدوره إلى ديكتاتورية أخرى كبقية الديكتاتوريات التي تسود المنطقة .

*** نقل شعرك إلى العديد من اللغات . هل استطاعت هذه النقلة أن تعطي وجه نزار الشعري إلى العالم غير العربي ؟**

ـ سبق لي أن قلت إن الشعر العربي عظيم ، ويملك كل اللياقات الجسدية والروحية ليسافر إلى العالم . فلماذا لا نشجعه على السفر ؟ كفانا نقرأ شعرنا على بعضنا ، ونصفق لبعضنا ، ونصرخ : (أحسنتَ .. أعِد .. يا سلام .. هائل .. مش معقول ...) . إن الأنتولوجيات التي صدرت في أوروبا وأميركا والاتحاد السوفيتي لعدد من الشعراء المحدثين ، كانت ناجحة جداً . وعلينا أن نستمر في هذه التجربة ، لأن العالم ليس لديه الوقت ليبحث عنا . علينا نحن أن نبحث عنه .

هناك لغات أوروبية تليق بترجمة الشعر أكثر من غيرها . فالفرنسية والإيطالية والإسبانية ، لغات قادرة على نقل رفيف الأحاسيس في القصيدة العربية أكثر من الإنكليزية والألمانية والروسية .

تجربتي مع اللغة الإسبانية كانت تجربة مثيرة ، فقد ترجم المستشرق الإسباني المعروف بدرو مونتافث مختارات من شعري إلى الإسبانية صدرت في كتاب عنوانه (أشعار حب عربية) وقد استقبل الجمهور الإسباني هذه النصوص المترجمة بحماس كبير ، ذكرني بالحماس الذي كان يستقبل به الجمهور العربي قصائدي .

أما الترجمة الإنكليزية التي قامت بها مؤسسة (بروتا) التي تشرف عليها الشاعرة والناقدة سلمى الخضراء الجيوسي ، لعدد كبير من الشعراء العرب المحدثين ، فقد كانت من أدق وأجمل الترجمات . والسبب

في نجاحها يعود إلى أن بعضاً من الشعراء الأميركيين شاركوا في مراجعة هذه الترجمات .

إن ترجمة الشعر من لغة إلى لغة مغامرة مشحونة بالمخاطرة ، لأن لكل لغة أسرارها وشخصيتها وحساسيتها الخاصة .. وحتى تكون المغامرة ناجحة ، فإن الذي يتولى عملية الترجمة ، يجب أن يكون شاعراً أو مسكوناً بالحساسية الشعرية .

*** لماذا أنت تنظر للغة الشعراء الشباب ولقصائدهم بأنها فاقدة للأصول . أنا أرى أن أصولهم قائمة في الموروث الشعري .**

ـ أرجو أن لا تعمم كلامي على كل الشعراء الشباب . فأنا أقرأ بشغف كبير شعر محمد علي شمس الدين ، وحسن العبد الله ، وشوقي بزيع .

هؤلاء في نظري (أصلوا) الحداثة .. ولم يبهدلوها .. فجذورهم ضاربة في أعماق الشعر العربي ، وموروثهم الشعري حافظوا عليه ، ولم يبيعوه في المزاد العلني .

إذا كانت الحداثة الشعرية هي هؤلاء ، فأهلاً بهم وبها . وأنا أرضى أن أوقع اسمي تحت أي قصيدة لهم دون أي تردد .

أما الكتابات الهيستيرية التي تملأ صفحات الثقافة في الجرائد اليومية ، فهي مسوخ شعرية غير صالحة للحياة .

إنني غير متعصب لقديم ضد حديث ، أو لحديث ضد قديم ، ولكنني لا أسمح لأحد أن يغتال تاريخي .

*** الرواد هؤلاء . منهم من بقي يراوح مكانه ، ومنهم من تجاوز نفسه ، هل توافقني على هذا الكلام ؟**

ـ جداً ..

*** وهل تنصح الذين يراوحون بالتوقف عن كتابة الشعر ؟**

ـ بكل تأكيد ، الشاعر لا يستطيع اغتصاب الجمهور اغتصاباً . القصيدة المغتصبة ، كالقبلة المغتصبة .. كالمرأة المغتصبة .. هي محاولة مستحيلة .

على الشاعر أن يكون لديه (ترمومتر) يقيس به حرارته الشعرية .. أو صحته الشعرية .. فإذا نزلت حرارته عن الصفر ، فإن عليه أن يذهب إلى غرفة العناية الفائقة .. ويترك الشعر .

ليس ثمة خديعة في موضوع الشعر أبداً .

ومثلما ليس هناك إكراهٌ في الدين ، فليس هناك إكراهٌ في الشعر .

وعلى الشاعر الذي لم يعد يملك اللياقة الشعرية للظهور على المسرح ، أن ينسحب برضاه .. وإلا سحبته شرطة النجدة من رجليه ..

خذ مثلاً بلند الحيدري . أعلن في جميع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية أنه توقف عن كتابة الشعر .. ثم عاد ليكتب ..

إنني لا أؤمن بإصدار البيانات حول كتابة الشعر .. أو الاستقالة منه . فالشاعر لا يستقيل بإرادته من الشعر .. إنما يُقال منه ..

الجمهور وحده هو صاحب السلطة . وهو الذي يضع الشاعر في رئاسة الجمهورية .. أو يضعه في السجن ..

*** في كتابك (100 رسالة حب) تقول إنك تركت مواقعك القديمة لتخرج إلى برية قصيدة النثر ، حيث السماء أرحب ، والحرية تـُقطف بالأصابع . وتضيف : وهكذا تجدني أتحرك باستمرار وأعجن كالأطفال على الشاطئ الرمال بيدي بحثاً عن أشكال أتجاوز بها تاريخي الشعري نفسه . فهذا الكلام على المستوى الفني ، أفهم منه أن هناك تغييراً دائماً ، تجريباً دائماً على مستوى الشعر . إذن استناداً إلى هذا الكلام ، ماذا تعني (بخصوصية نزار التي لا أغيرها) . فالخصوصية هي لغة أيضاً ، وهي هوية شعرية ؟ .**

- الخصوصية هي البصمات الخاصة لكل شاعر . هي رائحته الخاصة وعلاماته المميزة .

والخصوصية ليست وقفاً على القديم ، كما أنها ليست وقفاً على الحديث . ففي القديم كان هناك خصوصية للمتنبي ، وخصوصية لأبي تمام ، وخصوصية لأبي نواس ، وخصوصية لعمر بن أبي ربيعة ، بحيث تستطيع إذا أسمعوك بيتاً من الشعر لواحد من هؤلاء ، تستطيع أن تقول : هذا فلان .

خصوصيتي ، إذن ، هي ما يميزني عن الآخرين . كطول قامتي ، ولون بشرتي ، ولون عينيّ . وهذه الخصوصية أبقى دائماً محتفظاً بها سواء كتبتُ شعراً ، أم كتبت نثراً ، أم كتبت مقالة سياسية .

وقد كان الناس يقولون عن مقالاتي السياسية الأسبوعية إنها قصائد سياسية .

أما بعض شعر الحداثة الذي نقرؤه ، فهو مخلوق بلا ملامح ، بحيث لا تستطيع أن تميز بين أنف هذا الشاعر ، وبين أذن الشاعر الآخر .. وبين رأس فلان .. وأقدام فلان ..

إذن ، فأنا حين أقول لك إنني لا أغير خصوصيتي ، فمعنى هذا أنني لا أغير فصيلة دمي ، لأن هذا غير ممكن طبياً .. وغير ممكن شعرياً ...

*** أستاذ نزار ، أنت تعرف أنه كان إلى جانب رواد الشعر ، أصوات شعرية مهمة كانت تشكل (نشازاً) كبيراً للرواد . وكان يوسف الخال مثلاً في مجالس (مجلة شعر) يمانع أن ينشر لهم ، ثم فيما بعد بدأ ينشر لهم . وتحديداً هنا تجربة أنسي الحاج و (النشاز) الذي كان أنسي يفتعله ، أعطى أنسي حضوره الشعري المميز . والحقيقة أنه استطاع أن يكون صوتاً شعرياً متميزاً على مستوى الخارطة الشعرية العربية . أنت ما رأيك بتجربة أنسي ؟**

- أؤيدك مئة بالمئة فيما ذكرته عن أنسي . فهو من (التاريخيين) . في حركة الحداثة ، بل هو أهم أولئك التاريخيين وأشجعهم .

وأقول (أشجعهم) ، لأن كتابة قصيدة النثر في الخمسينيات ، كانت تعادل صعود أرمسترونغ إلى القمر .. في تلك الأيام من الخمسينيات ، كان الكلام عن قصيدة النثر أو كتابتها نوعاً من (التابو) .

ولكن أنسي (فعلها) ، رغم ألوف اللعنات التي نزلت فوق رأسه . وحين أصدر أنسي مجموعته الأولى (لن) لم يجرؤ أحد منا أن يقول له (يعطيك العافية) بصوت عال ، حتى لا تتساقط الحجارة فوق رأسه .

اليوم ، صارت كتابة قصيدة النثر أسهل من شرب زجاجة (كولا) .. فإذا كانت قصيدة النثر قد وصلت إلى شاطئ السلامة ، فإن الفضل يعود إلى هذا البحار الشجاع الذي اسمه أنسي الحاج ، وإلى بحار ثان رافقه في اجتياز البحر .. هو محمد الماغوط .

*** سأسرد أسماء شعرية هي رموز في خارطتنا الشعرية العربية الحديثة ، طالباً منك رأياً صريحاً ومكثفاً بها .**

- تفضل ..

*** بدر شاكر السياب ؟**

- أخذ حجماً مبالغاً فيه على خارطة الحداثة . فشعره الأول مدرسي وتقليدي كشعر الرصافي والزهاوي .

ولكن اتصاله بالحداثة اللبنانية ، وبجماعة مجلة (شعر) فتح أمامه الأبواب ، فغير بسرعة ملابسه القديمة ، ونزل إلى الملعب وفي يديه (أنشودة المطر) .

وربما كان مرضه الطويل ، وميتته المأساوية سبباً في التعاطف معه ، وتسليط أضواء النقد على أعماله ..

*** يوسف الخال ؟**

ـ بطريرك الحداثة في الخمسينات ، و (الدينامو) الذي كان وراء اشتعال أكثر الكواكب الشعرية ، ليس لديه ادعاءات شعرية عريضة ، وأهم قصيدة كتبها في حياته هي (مجلة شعر) ...

*** أدونيس . أين تضعه على خريطة الشعر . وما هي نقاط الالتقاء والافتراق بينكما ؟**

ـ أدونيس شاعر كثير المهارات . باع نار القلب ، واشترى حجر الفلاسفة . كتب نصاً شعرياً لم يُكتب من قبل . ولكنه رغم كثرة مقلديه ظل بلا تركة ولا ورثاء .

هاجر منذ زمن من سواحله الأولى المفروشة بالعشب والطفولة وقواقع البحر ، واختار السباحة حيث لا يسبح الآخرون .

كل واحد منا مقتنع بطريقته ، وكل واحد منا مقتنع بجمال صوته .. وبما أعطاه الله ..

هو مقتنع بـ (مفرد بصيغة الجمع) ، وأنا مقتنع بصيغة منتهى الجموع . هو مهتم بالنخبة ، وأنا مهتم بأصغر ذرة تراب على الأرض العربية . هو مهتم بالتجريد ، وأنا مهتم بالتشخيص . هو يحاضر في الغرف المغلقة .. وأنا أغني في الهواء الطلق . هو يحبني .. وأنا أحبه .. رغم أننا نتكلم على موجتين شعريتين مختلفتين .

*** أنسي الحاج ؟**

ـ كان اللاعب الرئيسي الذي دخل ملعب الحداثة في الخمسينات ، وحصد كل الميداليات الذهبية ، أبو قصيدة النثر بغير منازع ، وهو الذي وضع مع محمد الماغوط الحجر الأول في بناية هذه القصيدة .

*** خليل حاوي ؟**

ـ المحتوى القومي العربي الوحدوي في شعره هو الذي كرّسه . ولم يلعب ورقة شعرية جديدة على طاولة الحداثة .

*** شوقي أبو شقرا ؟**

ـ له قماشة مختلفة عن شعراء (مجلة شعر) ، ويتحدث بلغة تشبه لغة الأطفال والمجانين والحشاشين . تنتظره من الشرق ، فيأتيك من الغرب . ساخر ، وكاريكاتوري ، وفيه شئ كثير من غرابات سلفادور دالي ...

*** توفيق صايغ ؟**

ـ لم يسجل أي هدف شعري في ملعب الحداثة . وإنما بقي لاعباً عادياً لم تساعده الريح وسوء الحظ على التفرد ..

* عصام محفوظ ، وفؤاد رفقة ؟

ـ لم يتخذا الشعر قدراً لهما ، وإنما اعتبراه نشاطاً هامشياً يأتي بعد الصحافة والتدريس . والشعر يريد فدائيين لا متطوعين .

يعجبني عصام محفوظ ناقداً وقارئاً ذكياً للنص ، ولا سيما في كتاباته الأخيرة التي حاور فيها كتابنا الراحلين كمارون عبود وعمر فاخوري وغيرهما .

* عبد الوهاب البياتي ؟

ـ هو (حكواتي) الشعر العربي ، والواشي الكبير ، والمرأة المطلقة ، وابن آوى الذي يهاجم في الليل أعشاش الشعراء ، ويسرق بيضهم ، ويخنق فراخهم .

توقف عن قراءة الشعر وكتابته منذ عشرين عاماً ، وأصبح عانساً ، وعاقراً ، وتفرغ ليشوي زملاءه الشعراء على نار نفسه المريضة .

لو كنتُ مسؤولاً ، لحاكمته بتهمة رمي الزبالة في الحدائق العامة .

*** جبرا إبراهيم جبرا ؟**

ـ جبرا مثقف كبير . وفنان كبير بعشرات المواهب .

دوره لا يزال دوراً مؤثراً ومستمراً في حياتنا الثقافية على أكثر من صعيد : الرواية ، النقد الأدبي ، الترجمة ، الشعر ، وقبل كل شئ دراساته المعمقة للفن التشكيلي العراقي .

أهم ما في جبرا استمراريته ، وانضباطيته ، وعقله المنظم . ففي حين تبعثر كل التلاميذ في مجلة (شعر) بقي جبرا التلميذ الوحيد الذي يكتب فروضه المدرسية بانتظام ، ويتقدم إلى الامتحانات في مواعيدها ..

*** سعدي يوسف ؟**

ـ أحب هذه الرطوبة والنداوة في شعره .. وهذه المائية التي تتغلغل في مفاصل أبجديته .

إنه من جيل الرواد بكل جدارة . ولكنه هو والشاعر حسب الشيخ جعفر غير مكترثين على ما يبدو بفن العلاقات العامة .

قصائدي وحدت العرب أكثر من جامعة الدول العربية ...

حوار مع هدى المر . مجلة (المجلة) لندن 5 - 1 - 85 .

*** منذ سنين ، وسفينتك دائخة في عرض البحار . طوراً تلاحقك أسماك القرش ، وطوراً تلاحقك أسماك الحزن ، وتارة تلاحقك مراكب القراصنة . ألم تجد حتى الآن مرفأك ؟**

ـ سؤالك يذكرني بفيلم قديم رأيته من تمثيل آفا غاردنر ، وجيمس مايسون اسمه (الهولندي الطائر) . وقصة الفيلم تدور حول رجل حكمت عليه الأقدار أن يبقى مبحراً ملايين السنين ، دون أن يكون له الحق أن يشيخ .. أو يتعب .. أو يموت .. أو يستقر في مرفأ من المرافئ ...

وكان شرط الآلهة الوحيد على (الهولندي الطائر) للخلاص من اللعنة التي تلاحقه ، أن يجد امرأة تحبه ، وترضى أن تصعد معه إلى ظهر السفينة الملعونة ، وتشاركه طوافه اللا مجدي في جميع المحيطات ، وتقبل بإرادتها أن تبحر معه ، وترسو معه .. وتموت معه ..

قصة (الهولندي الطائر) هي قصتي باختصار .

فلا مرفأ من المرافئ يقبل دخولي إليه .. ولا أسماك القرش ترضى أن تصالحني .. ولا العاصفة ترضى أن تكون لطيفة معي .. ولا القراصنة يقبلون مناقشتي . وأخيراً .. لا امرأة قابلتها لديها الاستعداد لتحبني إلى درجة تقبل معها أن تصعد إلى سفينة الأشباح التي أركبها ، وتبحر إلى آخر العمر معي .. وتموت معي ..

إنني لا أقول هذا الكلام مللاً أو ضجراً .. ولا أقوله استجداء لمرفأ يأويني .. أو امرأة تحميني .. وأرجو أن لا تعتبروا كلامي إعلاناً مبوباً لاستثارة

دموع النساء ، أو دموع أسماك القرش .. فأنا طول عمري كنت وحيداً على مركب الشعر .

صحيح أن سفينتي ثـُقبت أكثر من مرة ، وغرقت أكثر من مرة ، ونهشتني حيتان البحر أكثر من مرة ، وخطفتني جنيات البحر أكثر من مرة .. لكنني كنت أجد نفسي دائماً وحيداً على ظهر السفينة ، أعقم جراحي بملح البحر ، وأداويها على الطريقة البدائية ، وأرتب سريري بنفسي ، وأطهو طعامي بنفسي ، لأن أكثر الجنيات اللواتي عرفتهن غير متحمسات لدخول المطبخ .

أن تكون وحيداً ، لا يعني أن تكون رجلاً متوحشاً ، أو مريضاً ، أو سوداوياً ، أو هارباً من العالم .

أن تكون وحيداً ، يعني أن تنسحب من ضوضاء العالم لتصغي إلى موسيقى نفسك . وموسيقى النفس موسيقى جميلة جداً لمن عنده الوقت لكي يصغي إليها . فالمقاهي ، والشوارع المزدحمة ، والشواطئ المكتظة باللحم البشري ، تثير عندي نوعاً من الحساسية والاختناق .

عندي قدرة خارقة على أن أبقى في غرفتي شهراً ، وشهرين ، وثلاثة ... دون أن أشعر بالحنين إلى ضجة السيارات ، ورائحة البنزين .

وما دام معي قلم .. وورقة .. وفكرة تشغلني .. فأنا مِلكٌ حقيقي . وما دمت أستطيع أن أنام على صدر ورقة بيضاء .. فلماذا أبحث عن فنادق أخرى ؟؟

في طفولتي ، كانت أمي تدخل عليَّ ، فتجدني مستلقياً على ظهري ، وعيناي مسمرتان في سقف الغرفة . فتسألني : هل أنت ساخن ؟ هل ضربك أحد ؟ هل تخانقت مع أحد ؟ هل طفل بمثل سنك يكلم السقف والجدران ؟

في تلك السنين الأولى من الطفولة ، لم تكن أمي تستوعب العلاقة بيني وبين جدران البيت . ولم تكن تعلم أن أعظم الكتابات في الدنيا هي التي كتبها السجناء على جدران سجونهم ..

وكبرتُ .. وظلت علاقتي بالجدران من أعظم وأمتن العلاقات . فإذا دخلتُ إلى مطعم ، ولم أجد طاولة خالية قرب الجدار ، خرجت من المطعم ، وبقيت بلا عشاء ..

أما عن المرافئ ، فهي آخر ما أفكر فيه . فالمرافئ هي رموز الثبات والطمأنينة والسلامة . المرافئ هي نهاية طموح المراكب . هي ملجأ العجزة للمراكب التي تعبت ، وأحيلت على المعاش .

والشعر هو مغامرة بحرية خارقة .. وصدام مستمر مع اللون الأزرق .. وصراع مع المجهول واللا منتظر ..

إن القصيدة العظيمة هي التي تدخل البحر دون أن تحمل (مانيفستو) ، أو بوليصة تأمين . أما الشاعر الذي يخاف دوار البحر ، وينظر كل دقيقة إلى ساعته ، ويسأل : هل وصلنا إلى الإسكندرية ؟ هل وصلنا إلى مرسيليا ؟ هل وصلنا إلى هونج كونج .. فهو سائح أميركاني مستعجل لا يفرق بين البحر الأبيض المتوسط وطبق البيتزا .. وبين متحف اللوفر .. ومطعم الوينبي ..

*** ولكن .. هل أنت سعيد على هذا المركب المجنون الذي ليس له مرفأ معلوم .. ولا موعد معلوم .. ولا اتجاه معلوم ؟**

ـ المرافئ المعلومة لا تثير شهيتي . فأنا الذي أكتشف مرافئي . أنا الذي أخترعها . وإذا كان مركبي مجنوناً ـ كما تقولين ـ فإن هذا العالم كله مجنون . والعالم العربي الذي أنتمي إليه ، هو سيد المجانين . سياسته مجنونة ، وتصرفاته مجنونة ، وخلافاته مجنونة ، وإذاعاته مجنونة ، وتلفزيوناته مجنونة ..

وأنا ـ شئتُ أم أبيت ـ جزء من هذا العالم العربي . جزء من تاريخه ، جزء من غضبه ، جزء من الزلازل التي تتجمع في أحشائه ، جزء من انتصاراته ، وهزائمه ، وانهياراته العصبية ..

إنني لا أستطيع أن أكون شاعراً سويسرياً ، أو سويدياً ، أو دانمركياً .. فهؤلاء ليس عندهم (صبرا) و (شاتيلا) و (الشياح) و (رأس النبع) و (معتقل أنصار) .. ولا يأكل الغزاة الإسرائيليون برتقالهم ، وليمونهم ، ويسرقون مياههم ، وينسفون بيوتهم كما يشعلون سيجارة .

هؤلاء الشعراء ليس لديهم مشكلة تتعلق بالحاضر أو المستقبل ، بأولادهم أو بأحفادهم ، بمرضهم أو بشيخوختهم .

أما أنا كشاعر عربي ، فقصبة تهزها الرياح ، وعصفور لا وطن له .

الشاعر السويسري غير مهتم بخلافات (أبي عمار) مع (أبي موسى) ، وخلافات البصريين والكوفيين في الشأن اللغوي ، وخلافات أصحاب المذهب الشافعي مع أصحاب المذهب الحنفي في شؤون الشريعة .

والشاعر السويسري لا تهمه (بوابة المتحف) إذا فتحت أو إذا أغلقت ، ولا يعرف شيئاً عن (خط ماجينو) الذي يفصل بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية ، ولا يعرف لماذا يُغلق مطار بيروت الدولي فجأة ، فيضطر اللبنانيون إلى السفر إلى قبرص ، سباحة .

وبالطبع ، لا يعرف الشاعر السويسري ، شيئاً عن حرب الخليج ، أو حرب البوليساريو ، أو حرب الفصائل الفلسطينية مع بعضها ، وعن أسماء الميليشيات التي تتقاسم لبنان كأنه تركة موروثة عن أبيها . ولا يدري من أطلق اسم (سويسرا الشرق) على بلد كلبنان يتعامل سكانه مع بعضهم بالبلطة .. والساطور .. والمسدسات الكاتمة للصوت .

أما الشاعر العربي فهو زبون دائم في فندق الجنون .. وما دام أصحاب الفندق كلهم عرباً .. ومموّلوه عرباً .. وطباخوه عرباً .. فإلى أين يتجه الشاعر العربي ، وجميع الفنادق العربية محجوزة لرجل غامض يستعمل عدة جوازات مزورة اسمه (القمع) .

إن الشاعر العربي لا يستطيع أن يحبس نفسه في أنبوبة معقمة من الجراثيم ، في بيئة ملوثة ، ولا يستطيع أن يشم الهواء فوق كوم من النفايات ، ولا يستطيع أن يقول إنني لا أحب اللون الأحمر في منطقة غارقة بالدم حتى الرُكَب .

إن الشاعر العربي هو الوارث الشرعي لأحزان كربلاء .. وأهميته تتجلى في قدرته على زراعة شجرة ورد ، في غابة من المتفجرات .

وهكذا ، فإن صراخ الشاعر العربي صراخ مبرر ، وجنونه جنون شرعي ، لأن كل ما حوله يدفعه إلى الصراخ والجنون .

*** أنت شاعر الجماهير المسموع الصوت ، المزروع على امتداد الوطن العربي . منذ زمن طويل لم تقرأ شعرك على الناس ، كما كنت تفعل في الستينات ، ماذا حدث لحنجرتك ؟**

- لم يحدث شئ لحنجرتي . ولكن الذي حدث أنني لا أستطيع في هذه الحرب اللبنانية التي تفترسنا ، أن ألقي شعري على (خطوط التماس) .. ولا أن أقيم أمسية شعرية بين خرائب (الأسواق التجارية) .. ولا أن أغني على منبر من أكياس الرمل ، والأسلاك الشائكة ...

إن قراءة الشعر هي طقس من طقوس العبادة . ولا يمكن ممارسة العبادة في ظل السلاح .

أما العالم العربي ، فهو مشغول كالديكة ، بنزاعاته العشائرية ، وحواره اليومي بالأسنان والأظافر ، بحيث ليس لديه وقت لقراءة الشعر أو لسماعه .

والحقيقة أن الشعر هو سفير المحبة إلى الشعوب العربية والعالم ، فإذا كانت الأنظمة لا تستطيع أن تتفق مع بعضها ، فليتركوا للشعراء هذه المهمة .

وإنه ليسعدني ويشرفني أن أقول إن قصائدي جمعت الشعوب العربية ، ووحَّدتها ، أكثر مما فعلته جامعة الدول العربية منذ تأسيسها .

*** أنت مثار لجدل كبير في العالم العربي .. فبعضهم يحب شعرك حتى الموت .. وبعضهم يكرهه حتى الموت ..**

بعضهم يخبئ شعرك تحت وسادته .. وبعضهم يرميه إلى النار .. أين أنت من هذه الحرائق ؟

ـ أنا كأستاذي أبي الطيب المتنبي أنام ملء جفوني عن شواردها .. الذين يحبونني أشكرهم مرة .. والذين يكرهونني أشكرهم خمسين مرة ..

والسبب أن الذين أشبعوني ضرباً .. ولكماً .. وعضاً .. إنما فعلوا ذلك ، لأنني كسرت شيئاً ما في ضمائرهم ، وأضرمت النار في ثيابهم ، وأفكارهم ، وعاداتهم المكتسبة ، وربما لأنني نزعت ورقة التوت عن أجسادهم الشاحبة .. والمشوهة ..

وحين رأوا أنفسهم في المرآة .. صرخوا .. وربما لأني أضأتُ شمعة في ليل جاهليتهم ، وحين فاجأهم النور خافوا .. لأن نور الحقيقة فضاح ...

إنني أعترف أنني شاعر صدامي ، لا يتنازل ، ولا يساوم ، ولا يقبل أنصاف الحلول .

أعترف أيضاً أنني شاعر لا يغش بورق اللعب ، ولا يلبس الملابس التنكرية .. ولا يمسح الجوخ لأية سلطة أو أي سلطان ..

وأخيراً .. أعترف لكم أن الباطنية ليس مهنتي ...

إنني أكتب لوجه الكتابة ، ولا أريد مكافأة من أحد .. ولا رشوة من أحد .. ولا أريد جائزة نوبل ...

إن جائزتي الكبرى هي هذا الشعب العربي العظيم ، الذي يلتف حول شعري ، ويعطيني القوة والعنفوان ، ويحميني بصدره ، ويعطيني المناعة كي لا أكون شاعر النظام .. أو شاعر (الباب العالي) .

إنني أستمد سلطتي من أعلى السلطات ، وهي الشعب . فالشعب وحده هو الذي يصنع شعراءه ، والشعب وحده هو الذي يسقطهم إذا خانوا قضية الشعر ، وشرف الكلمة .

والشعب العربي بمنتهى الذكاء والحساسية الشعرية ، وهو يستطيع أن يفرق بسهولة بين الشاعر والبهلوان ..

إنني شاعر أكتب بأصابعي العشر .. وإذا لزم الأمر أكتب بأسناني .. وأظافري ...

أما الشعراء الذين يكتبون بخمس أصابع .. أو بثلاث ... ويتركون بقية أصابعهم في الجارور ، ويظهرون بوجهين .. ويتكلمون بصوتين .. فإن الجمهور العربي سوف يكتشف نفاقهم وازدواجيتهم ، ويضربهم بالنعال العتيقة .. ويختم أفواههم بالشمع الأحمر .

الشعر ، هو عملية استشهاد حقيقية ، والذين لا يعرفون كيف يموتون على ورقة الكتابة .. فالأفضل لهم أن يبحثوا عن مهنة أخرى ...

*** نزار قباني . لماذا الشعر ؟**

ـ اسمحي لي أن أجيبك بسؤال معاكس . فأقول :

ولماذا الشمس ؟ لماذا الكواكب ؟ لماذا السحاب ؟ لماذا المطر ؟ لماذا الشجر ؟

الشعر جزء من التركيب البيولوجي للشعب العربي ، جزء من نبضه وتنفسه وحرارته وجهازه العصبي .

والشعر ، هو هذه المياه الجوفية المخزونة في داخل الإنسان ، والتي ننتظر الفرصة لتتفجر كالطوفان من أعماق الأرض المالحة .

والشعر ، هو هذه الطبقة السميكة من ملح البحر التي نغطي بها أجسادنا حتى لا تتعفن .

والشعر ، هو البوصلة التي يستعملها الإنسان العربي في هذا التيه العظيم ، ليصل إلى نوافير الماء وبساتين النخيل .

والشعر ، هو هذا الصراخ الذي نطلقه في وجه الليل حتى يصير صباحاً .. وفي وجه اليباس حتى يصير اخضراراً .. وفي وجه السجون حتى تصير حدائق .. وفي وجه الخنجر حتى يصير وردة ...

والشعر ، هو هذا الانقلاب الذي يقوم به الشاعر في داخل اللغة ، وفي داخل القناعات الثابتة ، من أجل تغيير صورة الكون .

والشعر ، هو هذا السلاح السري الذي يدافع به الشعب العربي عن نفسه ضد القهر والظلم والاستبداد .

والشعر أخيراً .. هو راية الحرية التي يسلمها شاعر لشاعر آخر . وهو انتصار اللون الأزرق على المعتقل .. وانتصار شجرة الياسمين على حبل المشنقة ..

*** بيروت . أوجعتك كثيراً .. وأبكتك كثيراً .. خلال سنوات الحرب ، حتى فكرت مراراً أن (تطلقها) .. وتبحث عن مدينة أخرى تسعدك وتريح أعصابك . ولكننا كلما كلمناك في الهاتف من لندن ، وجدناك مرابطاً في بيروت . ما هي قصتك مع بيروت ؟ ولماذا تحب المدن التي تعذبك ؟**

- قد أكون مصاباً بعقدة (الماسوشية) أي تعذيب الذات . وكأي رجل يغضب من امرأة يحبها .. يحمل حقيبته ، ويلبس معطفه ، ويضرب الباب ضربة قوية .. ويحلف أغلظ الأيمان أنه لن يعود ..

وما أن يصل إلى أول منعطف ، حتى يدور على كعبه 180 درجة مئوية .. ويدعي أنه نسي في البيت فرشاة أسنانه .

والحقيقة ، أنني كنت أخترع ألف عذر لأعود إلى بيروت .. مرة لأنني نسيت فرشاة أسناني .. ومرة لأنني نسيتُ معجون الحلاقة ، ومرة لأنني نسيت علبة الكلينكس .. ومرة لأنني نسيتُ حبوب الضغط ..

وكلما رأتني بيروت من نافذة البيت عائداً .. ضحكت ضحكة ساخرة ، وقالت : أنتم الرجال عقلكم صغير .. تقيمون الدنيا وتقعدونها على رأس امرأة تعشقونها .. ثم تعودون إلى صدرها نادمين .. مستغفرين ..

والحقيقة ، أنني كنت أعود إلى بيروت ، لا من أجل فرشاة أسناني ، فالصيدليات ملآى بكل أنواع فراشي الأسنان .. ولا من أجل رباط عنق .. أو منديل ..

كنت أعود إلى بيروت ، لأن قطع علاقتي معها ، يعني قطع جميع شراييني ، فعندما تصبح امرأة أو مدينة جزءاً من دورتنا الدموية .. ومن قهوتنا الصباحية .. وجزءاً من حركة الدقائق والثواني .. فإن هجر هذه المدينة ـ المرأة يساوي هجر الحياة ، ويعادل الانتحار ...

إن بيروت أعطتني جرعة من الحرية عجزت أي مدينة أخرى أن تعطيني إياها . لذلك أجد صعوبة كبرى في التفاهم مع المدن الأخرى .

إن ميكانيكية الكتابة عندي صارت مرتبطة ببيروت . وعندما أتركها أنسى القراءة والكتابة .

وأذكر أنني كنت أنزل في فندق (برنس دي غال) في باريس ، عندما طـُلِب مني أن أكتب مقالي الأسبوعي لإحدى المجلات العربية الصادرة في باريس ، وظننت أن الجلوس على مقهى من مقاهي الرصيف في جادة الشانزيليزيه سيفجر براكين الكتابة في صدري . ولكنني رجعت إلى فندقي بخفي حنين .. وقد تأكدتُ بعد هذه الحادثة ، أن برج (أبي حيدر) و (برج البراجنة) و (برج المر) في بيروت ، تحرضني على الكتابة أكثر مما يحرضني (برج إيفل) في العاصمة الفرنسية الجميلة .

*** هناك علاقة مصيرية بينك وبين الحزن ، حتى لا نقول بينك وبين الموت . بدءاً من هزيمة حزيران (يونيو) ، إلى موت ابنك توفيق ، إلى موت زوجتك بلقيس ، إلى عملية القلب التي أجريت لك في أميركا ، إلى آخر هذا المسلسل الدراماتيكي المثير .**

هل تعتقد أن هذه الأحداث هي التي فجرت ينابيع الغضب والحزن في أعماقك ، وحولتك من شاعر (يكتب شعر الحب والحنين ، لشاعر يكتب بالسكين) ، كما تقول في قصيدتك المشهورة (هوامش على دفتر النكسة) ؟

- التراجيديا هي أساس المسرح الإغريقي . فالبطل ملاحق دائماً بالبروق ، والرعود ، والصواعق . وأنا دفعت ثمن الشعر باهظاً من صحتي وجسدي وروحي .

وأنا لا أعترض على الأقدار ، ولا أناقشها فيما خططته لي . فأنا أعرف أن الشاعر مخلوق سريع العطب ، واستثنائي ، لذلك لا بد أن تكون جراحه استثنائية ، وأحزانه استثنائية ، وموته استثنائياً .

إن كتابة الشعر بحد ذاتها هي عمل انتحاري .. وكل كلمة نكتبها على الورق تقصر من أعمارنا . ومع ذلك ندخل التحدي ، ونقبل الرهان .

لو كنتُ بقالاً ، أو شيالاً ، أو تاجر خضراوات ، أو بائع قطع غيار للسيارات ، لكنت ربما أكثر طمأنينة وسعادة .

ولكن الطمأنينة هي مقتلي ، ومقتل الشعر أيضاً .

وأنا أفضل ألف مرة أن يغيروا لي ثلاثة شرايين في قلبي ، على أن أكون رئيس مجلس إدارة المصرف المركزي .

إن كل واحد في الدنيا يدفع ثمن حرفته . وأنا احترفت الشعر ، وأنا متأكد من أنني سأدفع الفاتورة ، وفائدة الفاتورة أيضاً .

ثم إنني شاعر أمسك بكرتين ناريتين مشتعلتين ، هما شعر الحب .. وشعر السياسة ..

وفي هذه المنطقة العربية التي يقتلها العطش والجفاف وتشتهي نسمة الحرية ، ممنوع عليك أن تلعب بكرة واحدة ، فكيف إذا تجرأتَ ولعبتَ بالكرتين ؟

الشعر هو كرة النار التي لعبتُ بها أربعين عاماً .. ورغم أنها أحرقت أصابعي .. وأحرقت أعصابي .. إلا أنني لم أزل أمارس رياضتي يومياً . ولا أفكر أبداً أن أخرج من المباراة .

*** بين أول مجموعة شعرية كتبتها (قالت لي السمراء) التي صدرت عام 1944 وآخر مجموعة شعرية (الحب لا يقف على الضوء الأحمر) التي صدرت عام 1983 مسافة زمنية بعيدة . ما هو الفارق في مفهوم الحب بين أول مجموعة وآخر مجموعة ؟ وهل الحب بقي على عنفه واندفاعته الأولى ، أم أنه فقد كثيراً من حماسه وجنونه ؟**

ـ هذا سؤال غير علمي . فالإنسان لا يمكن أن يبقى مزروعاً في مكانه أربعين عاماً كالشجرة .. أو كعمود الكهرباء ..

أشكالنا تتغير .. أفكارنا تتغير . لغتنا . مفرداتنا . طريقة كتابتنا . كلها تتغير .. وإلا لم يعد ثمة فرق بيننا وبين الحجر .

الشعر هو نهر عظيم يتدفق باستمرار ، ويتغير باستمرار . ولا أستطيع أن أتصوره تمثالاً من البرونز في إحدى ساحات روما ، أو عموداً من أعمدة بعلبك .. أو مسلة فرعونية في معبد الكرنك .

والحب .. ليس سمكة سردين محفوظة في علبة . ولكنه سمكة قزحية الألوان تجوب البحار السبعة ، وليس لها وطن محدد ، ولا عنوان معروف .

إن الفتى في السادسة عشرة ، يتحرك باتجاه رائحة الأنوثة ، كما تتحرك النحلة باتجاه الأزهار .

وفي العشرين والخامسة والعشرين ، يبدأ الرجل يرصد تكوين المرأة الخارجي ، ويركز على تقاطيع جسدها ، وزينتها ، وعطرها ، وأناقة ملابسها .

وبين الثلاثين والأربعين .. يتوقف الرجل عن الاهتمام بتكوين المرأة الجسدي ، ليهتم بتكوينها العقلي .

وفي الخمسين ينضج الحب كفاكهة استوائية ، وتتراجع الانفعالات السطحية ، والنزوات الصبيانية ، وفي هذه المرحلة لا بد للمرأة لكي تنجح في الامتحان من أن تكون ذاكرت دروسها جيداً ، وعرفت جغرافية الرجل وتاريخه جيداً .

* أحياناً يتكلم نزار قباني ، وكأنه محامي المرأة الأول ، وأحياناً يوحي لنا بأنه رجل كبقية الرجال ، يتكلم كشهريار .. ويتصرف مع النساء كشهريار .. ما هي حقيقة نزار قباني ؟

- شهريار مظلوم . وأنا مظلوم معه . فهو لم يكن ذلك السفاح الرهيب الذي يقتل النساء ، ويمتص دماءهن . فشهريار مثلي ، ومثل كل الأطفال ، يحب أن يسمع القصص قبل أن ينام . وعندما اكتشفت شهرزاد هذه النقطة الطفولية في طباعه ، استثمرتها بذكاء المرأة ، فاستسلم لها وأحبها ..

شهريار ، إذن ، رجل فنان وطفل . أي أنه يبحث عن امرأة تثير خياله وفضوله .. وتتركه معلقاً على حبال الأسئلة .

أما المرأة البليدة ، الثقيلة الدم ، المطفأة الروح ، الميتة الأحاسيس ، التي كانت تنام إلى جواره كجدار من الجليد .. وتشخر .. فقد كان يذبحها من شدة الغيظ والملل . وأنا أعطيه كل الحق . ولو كنت مكانه لذبحتها ..

صحيح أنني كنتُ محامي النساء ، ولا أزال ، ولكنني لا أسمح لنفسي ولا يسمح لي القانون ، أن أدافع عن امرأة متلبسة بجريمة الغباء ، أو الثرثرة ، أو التسلط ، أو موت الأنوثة ..

ماذا أستطيع أن أفعل لامرأة لا تريد أن تكون امرأة ؟ ماذا أستطيع أن أفعل لامرأة لم تفكر بتغيير ملابسها ، أو تغيير أفكارها وكلامها ، ومنطقها ، وجلستها ، وضحكتها .. بعد خمسين عاماً على زواجها ؟

ماذا أستطيع أن أفعل لامرأة تدخل مع أثاث البيت ، وتقيم علاقتها الزوجية مع السجادة .. والكرسي .. والخزانة .. والسرير .. والكومودينة .. لا مع الرجل الذي تزوجته ..

*** المرأة التي يمكن أن يحبها نزار قباني اليوم ، من هي ؟**

- إنني في موضوع المرأة سهل .. وصعب ..

سهل ، لأن مطالبي منها طفولية . فقطعة شوكولاتة تفرحني .. ولمسة حنان ترضيني ..

وصعب ، لأنني في الحب لست وحدي ، بل معي شريك عزيز عليَّ جداً ، هو الشعر . أي أننا (اثنان) لا واحد .

فعلى المرأة الفدائية التي ترضى أن تكون حبيبتي أن تحبني أنا وشريكي معاً .. أي أنا والشعر .

ولقد فشلت علاقاتي مع أكثر النساء ، لأنهن كن يعتبرن الشعر (ضرة) لهن . أما أنا فلا أستطيع أن أتعامل مع امرأة تعادي الشعر أو تكرهه ، أو تعتبر أن فساتينها .. وخواتمها .. وأساورها .. أهم منه . أنا لا تهمني فساتين المرأة .. ولا (خشاخيشها) .. ولا (دشاديشها) . كل ما يهمني أن تتصالح مع شعري ، وتكون صديقته ..

من كان حبيب الشعر فهو حبيبي .. ومن كان عدو الكلمة الجميلة فهو عدوي ، ولو كان ملكة جمال العالم .

هذه هي شروطي . قد تكون شروطاً همايونية .. أو بوليسية .. أو فاشستية .. أو نازية .. ولكنني لا أتخلى عنها .

سامحيني على صراحتي وقسوتي . فأنا أدافع عن النساء اللواتي يستأهلن الدفاع عنهن . أما النساء اللواتي ليس لهن قضية ، ويتساوى لديهن الماء والخشب .. والصيف والشتاء .. والرجل وبلاط الحمام .. وقصيدة الشعر .. وصحن (التبولة) ..

إن امرأة بهذه المواصفات ، لا أتعاطى معها ، ولا أدافع عنها ، وإنما أرسلها إلى السجن ..

*** نزار قباني ، الذي كانت المرأة محور حياته ، ومحور شعره ، هل يستطيع الآن أن يعيش دون امرأة ؟**

- لا تتصوري أنني أعيش في زنزانة انفرادية . وأن وجود (امرأة ما) هو الوسيلة الوحيدة لإطلاق سراحي .

هذه صورة مضخمة جداً لواقعي . فأنا لا أعيش في العراء أو في المنفى .. ثم إن (امرأة ما) لا تحل قضيتي . فإذا لم أجد هذه الواحدة الاستثنائية

الفريدة UNIQUE التي تغطيني بالعشب والياسمين والورق الأخضر .. فإنني أفضل أن أبقى في الزنزانة ..

ففي الزنزانة ، أستطيع على الأقل أن أقرأ ، وأكتب ، وأفكر ، وأدخل في حوار حميم مع نفسي ، وأستحضر جميع نساء الأرض .

*** دور نزار قباني . بعضهم يعتبره دوراً رائداً ومؤثراً . وبعضهم يعتبره دوراً هامشياً . كيف يقيم نزار قباني شعر نزار قباني ؟ وما هي الإضافات التي أضفتها إلى ديوان الشعر العربي ؟**

- إنني لا أدعي أنني نابوليون بونابارت الشعر . ولا أدعي أنني فتحتُ العالم . ولكنني أقول بكثير من الغرور ، وقليل من التواضع ، أنني جعلت الشعر خبزاً شعبياً يأكله الجميع .. وعملة رائجة يتداولها الجميع .. وأنني استطعت أن أخترق بشعري جميع حواجز اللغة ، وحواجز البلاغة القديمة ، والقوالب الجاهزة ، وأسوار القواميس العالية ، كاسراً بذلك جدار الخوف الذي كان يقوم بين الناس وبين الشعر .

الشعر الذي يخاطب الناس من (فوق) لا يسمعه أحد .. ولا يكترث به المارة في الشارع ..

وربما كانت مشكلة الحداثة هي مشكلة الديمقراطية في مخاطبة الناس . فهناك اليوم سوء تفاهم كبير بين الشاعر الحديث وبين الناس . هو يصرخ في وادٍ ، وهم يعيشون في وادٍ آخر .

هو يدعي أن الجمهور غبي ، وأمي ، ومتخلف ثقافياً وعقلياً . والجمهور يحس أن الشاعر مستشرق أجنبي يتكلم لغة أخرى .

إنني لا أعتقد أن هناك أزمة شعر ، وإنما أزمة شاعر عجز عن اكتشاف المعادلة التي توصل صوته إلى الناس .

إن الشعر هو فن التوعية لا فن التعمية . ولا سيما في بلادنا التي تحتاج إلى ضوء نجمة تضئ ليلها الطويل ، وإلى كلمة جميلة تنقلها من مرحلة أهل الكهف .. إلى مرحلة الفضاء .

بالنسبة لتقييم شعري ، أترك ذلك لسواي . لكنني أشعر أن شعري استطاع أن يغطي هموم الناس القومية والعاطفية من الخليج إلى المحيط ، وأن كلماتي التي نثرتها على تراب الوطن العربي منذ أربعين عاماً ، أصبحت غابة من الشجر ، وبيدراً من القمح ، يأكل الناس منه ويطعمون أولادهم .

*** لكل فنان عصره الذهبي ، يكون فيه في أوج تألقه وعطائه . هل ما زال نزار قباني في نفس مرحلة التوهج والعطاء . أم أن زلازله بدأت تنحسر ؟**

ـ العصر الذهبي لا يستمر لأحد . لا للإمبراطوريات ، ولا للحضارات ، ولا للنساء ، ولا للرجال .

إن قوانين الطبيعة لا تسمح لأحد أن يبقى خالداً في الزمان والمكان . فلا الزهرة مسموح لها أن تعيش أكثر من أيام ، ولا القمر مسموح له أن يبقى مضيئاً طوال الشهر ، ولا الشجرة مسموح لها أن تزهر وتثمر في كل الفصول . والشاعر هو جزء من هذا النظام الدقيق الذي يحكم العالم والكائنات . ولا يمكنه أن يدعي أنه شمشون الجبار .. أو أنه (دوريان جراي) ذو الجمال الأبدي ، كما في قصة أوسكار وايلد .

إنني لا أستطيع أن أزعم أن زلازلي وانفجاراتي التي أطلقتها في الخمسينات والستينات لا تزال على عنفها .

ترى هل أستطيع أن أكتب اليوم (هوامش على دفتر النكسة) و (خبز وحشيش وقمر) و (قصائد متوحشة) و (يوميات امرأة لا مبالية) و (الرسم بالكلمات) بالزخم القديم ذاته ؟

إنني أشك بذلك . فما كتبته أيام الجنون والنزق والتهور ، لا أستطيع أن أكتبه الآن . إن رقابة العقل على أعمالي تشبه الرقابة على الصحف والكتب أكرهها .. ولكنني لا أستطيع أن ألغيها ..

إن ملامح نزار قباني اليوم ، فيها من ملامح نزار قباني الأمس ، ولكن بعد المرور على مصفاة العقل .. وما أتعس الشعر الذي يضطر إلى المرور بالمصفاة !!

*** في مجموعتيك الشعريتين (كتاب الحب) و (قاموس العاشقين) قلت إنك تريد أن تصنع قصيدة عربية مكثفة وقصيرة تتخلص من الثرثرة الشعرية العربية ، والزوائد الدودية .**

فهل هذه (القصيدة ـ التلكس) هي نوع من إيثار السهولة ، أم أن لك تفسيراً آخر لهذه التجربة ؟

ـ تجربتي في (كتاب الحب) و (قاموس العاشقين) ليست تجربة هينة ولا سهلة ، كما تتصورين ، فالإيجاز أصعب بكثير من التطويل .

عندما يكون لديك مئة متر من القماش لتفصيل بدلة ، فإنك تتصرفين على راحتك ، وتأخذين وقتك ، لأن القماش الكثير والفائض عن اللزوم ، يسمح لك أن تقصي ، وترمي ، وتترحرحي إلى درجة البطر .

أما إذا كان لديك متران من القماش لتفصيل بدلة ، فعندئذ تظهر شطارة الخياط ، وقدرته على إيجاد التوازن بين القماش ومقاييس الجسد .

الكلام الكثير في الشعر ليس في مصلحة الشعر . والثرثرة كانت دائماً ضد الشخص الثرثار . القصيدة الجيدة لا تحسب بالفدادين أو بالكيلومترات ، بل بقدرتها على الإضاءة السريعة ، كما يضئ البرق الدنيا بثانية ..

ثم إن هذا العصر هو عصر التلكس والأقمار الصناعية ، لا عصر إلياذة هوميروس ، وألفية ابن مالك ، ولا عصر الملاحم والمعلقات . إنه عصر طائرة الكونكورد .. لا عصر عربة الكارو ..

لذلك ، فإن ما فعلته هو عملية تحديث ، توخيت منها أن أكتب للناس قصيدة تشبه إيقاع حياتهم . وربما لم تتعود الأذن العربية بعد على هذه البرقيات الشعرية القصيرة ، لأنها لا تزال مرتبطة تاريخياً بالمواويل .. والمقامات .. والموشحات .. ولكنني أعتقد أن الأذن العربية سوف تتطور مع الزمن بحيث تنتقل من مرحلة الربابة إلى مرحلة البيانو .. ومن مرحلة (قفا نبكِ) .. إلى مرحلة الميلوديا ..

* في هذه الفترة الرديئة التي يمر بها العالم العربي ، هل تعتقد أن الشعر أصيب بالعدوى ، ودخل هو الآخر في عصر الانحطاط ؟ أم أنه لا يزال قادراً على أن يلعب دوراً في حياة الأمة ؟

- لا يمكن فصل الشعر عن بيئته ، ولا الثقافة عن إطارها التاريخي . ففي هذا الزمن العربي الردئ ، لا يمكن للشعر أن يبقى في خيمة أوكسجين حتى لا تصيبه الجراثيم . إن صحة الشعر من صحة الوطن . وما دام الوطن العربي يعاني من الحمى ، والهيستيريا ، والانهيارات العصبية ، فإن صحة الشعر تعبانة جداً .

غير أن هذه المرحلة المرضية من تاريخ الأمة العربية لا يمكن أن تستمر ، لأنها حالة شاذة . ولا بد للضمير العربي أن يصحو ، وللوجدان القومي أن يتحرك ، وللإنسان العربي أن يجد نفسه بعد هذا الضياع الطويل .

والشعر في هذه المرحلة المالحة ، مصاب بالإحباط والقنوط ، ولكنه لم يصل إلى مرحلة اليأس . إنه قادر دائماً أن يفجر الماء من أعماق الصخر ، ويخترع النجوم في عز الظلام ، ويزرع الورد الأبيض في الأرض الخراب .

إن الشعر يجب أن يبقى واقفاً على قدميه ، ويجب أن يستمر في المقاومة ، والدفاع عن المثل العليا ، لأن الشعر إذا سقط ، سقط معه جهاز المناعة في جسد الأمة العربية .

إذن .. ممنوع على الشعراء العرب أن يستقيلوا .. أو يهربوا .. أو يستسلموا .. أو يسقطوا في اللون الأسود .. لأن كلماتهم الرائدة ستقرر مستقبل هذا الوطن .

*** مرة أخرى ، نعود لنسألك عن بيروت . ما هي أهميتها بالنسبة لمصيرك ، ومصير الشعر كله في العالم العربي ؟**

ـ لا شعر بغير بيروت . ولا كتاب شعر يمكن أن يصدر عن غير بيروت . ولا شاعر يمكن أن ينطلق إلى العالم ، إذا لم تطلقه بيروت .

هذا ما أثبتته السنوات العشر الماضية . فحين مرضت بيروت ، مرض الشعر في المنطقة العربية كلها .

هذه ليست شهادتي فقط ، وإنما هي شهادة التاريخ لهذه المدينة العظيمة التي احترقت مطابعها أكثر من مرة ، ومكتباتها أكثر من مرة ، ومستودعات الورق فيها أكثر من مرة ، وظلت تنبض شعراً وثقافة وفكراً .

ولقد صار الشعر جزءاً من صادرات لبنان ، كما التفاح والكرز والبرتقال . ولا أعتقد أن بلداً في العالم يباهي بأن الشعر هو ثروته القومية إلا لبنان .

أما بالنسبة للعشق الذي يربطني ببيروت ، فهو عشق يدخل في باب الخرافات ، وهو عشق أكبر من أن يقال بكل اللغات التي أعرفها :

كلماتنا في الحب ، تقتل حبنا

إن الحروف تموت حين تـُقال ..

بيروت كانون الثاني (يناير) 1985

أنا الذي أممتُ الشعر العربي ..

حوار مع الأستاذ لامع الحر - مجلة الشراع بتاريخ 20 أيار (مايو) 1985 .

*** منذ أربعين سنة وأنت تحمل صليبك .. وتحاول أن تنقذ الإنسان بالشعر . آمن بدعوتك كثيرون .. وكفر بك كثيرون .. وصدر بحقك أكثر من مذكرة توقيف .. وخصصت جائزة قيمتها عشرة آلاف دولار .. لإلقاء القبض عليك حياً أو ميتاً ... ألا تشعر بالخوف من اعتقالك ؟ .**

- ليس هناك سجن في العالم يكفي لاعتقال الكلمة . ثم إن الدولارات ، أو البترو - دولارات .. إذا كان بوسعها أن تلقي القبض على ثدي امرأة فرنسية أو سويدية .. وإرغامها على دخول بيت الطاعة ...

فإن القصيدة لا تعطي جسدها بعشرة آلاف ، أو مئة ألف ، أو مليون دولار .. وليس لها طموح في مغازلة أعضاء منظمة الأوبيك ... وهي ترفض بكل تأكيد دخول بيت الطاعة .

كل الشعراء الذين دخلوا إلى بيت الطاعة ، تحولوا إلى مماسح .. أو إلى أحذية .. أو إلى (بيبي - سيتر) لأولاد الباب العالي .

إن ضرب رأس القصيدة لا يعني موت القصيدة . وخلافاً لقواعد علم التشريح ، فإن القصيدة المقطوعة الرأس ينبت لها عشرة رؤوس مكان الرأس الأول ..

السياف مسرور ليس شخصية خيالية في كتاب ألف ليلة وليلة . إنه لا يزال حياً يرزق يتمنطق بسيفه ، ويراقب كل جريدة ، أو مجلة ، أو مطبوعة ، أو كتاب يصدر عن المطابع العربية .

السياف مسرور ، ليس شخصاً مجهولاً ، ولكنه يشغل منصب مدير عام في وزارة الإعلام ... أو رئيساً لقسم الرقابة .. أو وزيراً للثقافة ..

السياف مسرور يلبس عشرات الأقنعة الثقافية . وكلنا يعرف اللعبة .
وتسألني : ألا تخاف السياف مسرور ؟ .

وبكل صدق أقول لك ، إن السياف مسرور هو الذي يشعر بالخوف والارتباك أمام القصيدة ... فهي تدخل عليه بكل فتنتها وذكائها وغرورها ... فلا يعرف كيف يقرؤها .. من اليمين إلى اليسار .. أو من اليسار إلى اليمين .. أو من فوق إلى تحت .. ولا يعرف أين مكان القنبلة .. أفي حقيبة يدها .. أم في النفق السري الذي يصل ما بين النهدين ...

حتى الكلاب البوليسية المدربة على اكتشاف القصائد الممنوعة .. تعجبها رائحة هذه القصائد ، فتخالف التعليمات المشددة الصادرة لها .. وتنبح ضد الحكومة ...

هذا يؤكد أن القصائد كالقطط بسبع أرواح .. وعلى السلاطين أن يتذكروا أن الكلمات نباتات شيطانية تتكاثر في أقسى الظروف .. وتطلع من تحت الشراشف .. والمخدات .. وسجاد الكرمان الممدود في غرف نومهم ...

لا أحد يستطيع أن يلقي القبض على قصيدة ... فالقصيدة لغم مؤقت .. وكل الذين حاولوا اعتقال الشعر ، انفجر بهم كما انفجرت سناء محيدلي بالقافلة العسكرية الإسرائيلية ، في لحظة من أبهى لحظات البطولة .

* إذن .. أنت تفهم الشعر عملاً انتحارياً ..

- نعم .. نعم .. الشعر هو عمل انتحاري بامتياز . ولا أستطيع أن أتصور قصيدة (تمشي من الحائط إلى الحائط .. وتقول : يا ربي السترة ..) .

إن ورقة الكتابة ليست رقاقة من العجين نصنع منها قالب كاتو ...

إنها دائرة النار التي ندخل فيها .. ولا نعرف إذا كنا سنخرج منها .. أم سنتحول إلى رماد ..

كل كتابة شعرية لا تنطلق من هذه الرؤية الانتحارية تكون (طق حنك) .. وكل كاتب يخاف على نعومة يديه من جروح المعركة ... خير له أن يقعد في بيته ، ويمارس الأعمال المنزلية .. كأية خادمة سيرلانكية ...

نحن لسنا بحاجة إلى (شعراء سيرلانكيين) ... يمسحون الأرض .. أو يمسحون كرامتهم وجباههم بالأرض . لقاء مئة دولار أميركي بالشهر ..

إنني لستُ ضد العمالة الأجنبية ، فيما يتعلق بقطاع الخدمات .. ولكنني ضد العمالة الأجنبية في قطاع الفكر والثقافة .

على الكاتب العربي أن يتوضأ قبل أن يلامس ورقة الكتابة .. وأن يخلع نعليه قبل أن يدخل عليها ..

إن ورقة الكتابة ليست حانة .. ولا ملهى .. ولا مبغى .. ولا سوقاً للأوراق المالية .. ولا مزاداً علنياً للمغامرين والمضاربين .. والرجعيين .. والانتهازيين ، والمرتزقة ...

إن ورقة الكتابة هي بيت الكاتب .. فإما أن يحول هذا البيت إلى بيت عبادة .. أو يحوله إلى بيت دعارة ...

من هو الكاتب الانتحاري ؟ .

الكاتب الانتحاري هو الذي كان يأخذ في المدرسة صفراً في مادة الحساب .. هو الذي يتزنر بحزام من المتفجرات ... وينسف كل أوكار المشعوذين .. والنصابين .. والشعوبيين .. ويهدم قصور ملوك الطوائف فوق رؤوسهم .. هو الذي يبيع كل ملذات الدنيا وإغراءاتها بقشرة بصلة .. هو الذي يكتب على قماشة كفنه .. إذا لم يجد دفتراً يكتب عليه .. هو الذي يأتيه بيان حسابه المصرفي .. في آخر كل شهر .. وعليه بالخط الأحمر كلمة (مديون) ...

وتمنحه وزارة الداخلية جواز شفر جديداً وعليه كلمة (ملعون) ... ويتلقى في عيد ميلاده 150 مليون وردة من الشعب العربي ، وعليها بطاقة بغير توقيع تقول : (نحبك .. نحبك .. نحبك ...) .

هل تعرفون الآن لماذا اخترت أن أكون شاعراً انتحارياً ... لا شاعراً (سيرلانكياً) ؟ ...

هل تعرفون لماذا اخترت الحرية ؟؟؟ .

*** العالم العربي يمشي على حقل من الألغام . وحرب القبائل على أشدها ، والغرائز أطفأت قناديل العقل ، والتاريخ في مأزق ...**

فإلى أين يتجه قطار الشعر .. ومن الذي يقوده ؟

ـ قطار الشعر كما قطار السياسة ، بلا قائد ... ولا ناظر محطة .. ولا مفتش للتذاكر ...

والركاب جميعاً إما مهاجرون .. أو مهجرون .

إنهم يحملون معهم أطفالهم ، وحقائب أحزانهم .. ويسافرون من محطة تحترق .. إلى محطة في طريقها إلى الاحتراق ...

والشعر ، هو أكثر الركاب حزناً ، لأنه أشدهم حساسية ، وأكثرهم قدرة على النبوءة ..

لذلك يجلس الشعر ساكتاً ، وأمامه زجاجة بيرة ساخنة ... وساندويشة مورتاديلا مقددة .. وجريدة جميع أخبارها وعناوينها مقددة ...

الشعر يعرف أن الرحلة عبثية .. وأن القطار بلا سائق ... وأن الوقود شارف على النهاية .. والصبر شارف على النهاية .. وأن المحطة القادمة ربما لاحت بعد خمسين عاماً .. وأن الأطفال الذين ولدوا في القطار .. سوف يتزوجون .. ويشيخون .. وهم في داخل القطار ..

والشعر يعرف أن المسلحين سوف يهاجمون القطار .. ويسرقون مقاعده .. وشبابيكه .. وأساور النساء .. وساعات الرجال .. ويشربون الحليب المتبقي في (بيبرونات) الأطفال ...

ولكن الشاعر لا يستطيع أن يكذب .. ويخترع محطات وهمية .. لذلك يبقى ساكتاً .. وأمامه زجاجة البيرة الساخنة التي صار طعمها كطعم بول البعير ....

لا تؤاخذوني إذا استعملت تعابير غير شعرية في وصف القطار .. فرائحة البشر بعد أحد عشر عاماً من السفر الطويل صارت روائح غير بشرية .. وروائح كلماتهم وأفكارهم لم تعد روائح بشرية .. والمسافرون في القطار الملعون ، نسوا ثقافتهم ، ولغتهم ، وحضارتهم وأصبحوا يتحاورون مع بعضهم .. بالزئير .. أو بالنهيق .. أو بالعواء ...

إنني أدلي بشهادتي هذه باعتباري أحد المسافرين الذي حبستهم الأحداث في قطار الشعر طوال أحد عشر عاماً .

إنني لا أخترع الأحداث والوقائع ، وإنما أسجل مشاهداتي وانطباعاتي يوماً فيوماً ، ولحظة فلحظة .. عما كان يجري داخل الممرات والمقاصير .

وإذا كان السرد دراماتيكياً وتراجيدياً ، وإذا كان الراوي متوتر الأعصاب ، فلأن قطار الشعر العربي لم يكن قطاراً سماوياً يمشي فوق الغيم والكواكب .. وإنما كان قطاراً يحمل في أحشائه ملايين المعذبين في الأرض ، ويبحث عن محطة للحرية يتوقف فيها .. وعن أرض للحب والعدل والديمقراطية يتجه إليها ..

قطار الشعب العربي تعرض لأكثر من حادثة سطو .. وأكثر من عملية تفتيش .. وأكثر من عملية غزو .. ولم يتورع قاطعو الطريق من سرقة عجلاته .. والصفارة التي ينفث بها دخان أحزانه ...

وباختصار .. إن قطار الشعر العربي دخل إلى الكاراج ... وهو بحاجة إلى أكثر من قطعة غيار ...

ولكن وزارات الاقتصاد والتخطيط في البلاد العربية ألغت كل إجازات الاستيراد المتعلقة بقطع غيارات القطارات .. والسيارات ... والدراجات .. والكلمات .. والأغنيات .. والفراشات ... وكل ما يمكن أن يقفز .. أو يطير .. أو يسافر ...

فسفر القطارات ، وسفر الكلمات ، فيهما هدر للعملة الصعبة ، واستنزاف للثروة القومية .

والله المعين على ما تصفون ...

*** إذن فالشعر في نظرك في مأزق .**

- ليس الشعر وحده في مأزق . بل الثقافة كلها في مأزق .. والعقل العربي على وجه الخصوص في مأزق كبير .

لا يمكن فصل الشعر عن إطاره التاريخي ، والسياسي ، والاجتماعي ، والحضاري . فهو نتيجة ومحصلة ، وليس جزيرة معزولة عن محيطه الكبير .

العالم العربي ، يمر في حالة جنون ، وفوضى ، وتشرذم ، وضياع لا شبيه لها . فكيف يمكن أن نطلب من الشعر أن يكون جميلاً في مهرجان من القبح .. وأن يكون قديساً .. في غابة من الشياطين ... وأن يكون صادقاً بين طوابير من الكاذبين ... وأن يكون مؤمناً بين جيوش من الكافرين .. وقومياً .. في مستنقع من الشعوبيين ...

لكن الناس لا يعترفون بكل هذه الإحباطات والمعوقات ، ولا يقبلون من الشاعر أي عذر سواء كان عذراً صحيحاً أو عذراً عائلياً . فهم يعتبرونه المحارب والقائد .. الذي لا يستطيع أن ينسحب من المعركة ... أو أن يستقيل من دور البطولة الذي أسندته الجماهير إليه ...

ويذهب آخرون إلى أن الشاعر هو المخلص الذي لا بد أن يموت على صليب الشعر من أجل إنقاذ البشرية .

وأنا في أعماقي أتعاطف مع الموقف الأخير ...

*** أي الميتتين في نظرك أروع . الموت على صدر قصيدة .. أم الموت على صدر امرأة ؟؟ .**

ـ طبعاً .. الموت على صدر قصيدة .. لأنه أكثر طمأنينة ، وأكثر ديمومة .. مع الاعتذار من جميع نساء العالم .

*** لو طـُلِب منك أن تـُعرِّف نزار قباني . شاعراً وإنساناً فماذا تقول ؟**

ـ في كتابي (قصتي مع الشعر) الذي سجلت فيه سيرتي الذاتية قلت إن علاماتي الفارقة الثلاث هي الطفولة ، والثورة ، والجنون ....

ومهما يكن فإن تعريف الشاعر مهمة مستحيلة .. لأنه (حالة) متحركة .. وليس مسماراً مدقوقاً في الحائط ...

*** يقول الجاحظ : ((إن الشعر فضيلة العرب)) . هل ما زال كذلك .. أم أن لديك رأياً آخر ؟**

ـ لو قدر للجاحظ أن يعيش في عام 1985 ، ويقرأ شعر هذه الأيام ، ويتعرف على شعراء هذه الأيام معرفة شخصية .. لتراجع عن رأيه ...

وأعتقد أن الجاحظ كان يقصد بكلمة الفضيلة .. القيمة . وأن الشعراء هم حفظة القيم الكبرى ، وأن الشعر هو موقف أخلاقي من النفس ومن الآخرين ...

فهل تنطبق هذه الصورة الجميلة التي رسمها الجاحظ على سلوك بعض شعرائنا ومناقبيتهم ، ومواقفهم إزاء بعضهم ؟ ..

بكل أسف أقول إن شعراء العصر العباسي الذين عناهم الجاحظ كانوا أشد طهراً .. فقد كانوا ينتقدون القصيدة نقداً منهجياً .. دون أن ينهشوا لحم صاحب القصيدة ، ويتهموه بالجاسوسية والعمالة والقبض من وكالة الاستخبارات المركزية .

هذا كلام العاجزين والمعقدين والضعفاء .. لأن الشاعر الواثق بنفسه ومن أداته الشعرية .. لا ينزل إلى هذا المستوى الشارعي في نقد الشعر .

*** قلت على أثر ردود الفعل حول قصيدتك (خبز وحشيش وقمر) أن ((العمائم نفسها التي طالبت بشنق جدك الرائد المسرحي أبي خليل القباني طالبت بشنقي . والذقون المحشوة بغبار التاريخ التي طلبت رأسه طلبت رأسي)) .**

هل تحدثنا عن هذه المعركة الشهيرة ، والمعارك الأخرى الهامة في حياتك الأدبية . ولا سيما المعركة الأخيرة مع بعض الأدباء والصحافيين المصريين ؟

- لا أدري لماذا كتب الله عليَّ أن أخرج من معركة شعرية لأدخل في معركة شعرية أخرى . هل هذه هي طبيعة الشعر ؟ أم هي طبيعة الشاعر الذي يرفض أن يكون مغنياً في الكورس الجماعي .. ورأساً بين رؤوس الماعز .

منذ عام 1944 ، حين نشرت مجموعتي الشعرية الأولى ، بدأ صدامي مع الرجعيات .. والرجعيات في العالم العربي أكثر من الهم على القلب .. فهناك رجعية دينية .. وهناك رجعية ثقافية .. وهناك رجعية سياسية .. وهناك رجعية نفطية .. ولا أدري لماذا اختارتني هذه الرجعيات دون سواي من الشعراء لتصفي حسابها معي ..

لم تبق تهمة كبيرة لم تلصق بي .. ابتداء من الانحلال ، إلى الزندقة ، إلى التعهر ، إلى الإباحية ، إلى قلة الأدب .. إلى إفساد أخلاق الشباب العربي ... وانتهاء بالتآمر على الوطن ، والخيانة العظمى ..

وقد وصل الأمر ببعضهم أن اعتبرني المسؤول الأول عن هزيمة حزيران 1967 ، كأنني أنا الذي كنتُ أقود المعركة من غرفة العمليات .

الرجعية الدمشقية عام 1954 التي كانت لا تعرف من الشعر غير شعر السلف الصالح .. لم تكن على استعداد لسماع شعر هذا الولد الطالح والبودليري الصوت .. الذي هو أنا ...

حملوا الفؤوس .. والبلطات .. وحبال الشنق .. وأرادوا أن يشنقوني في (ساحة الشهداء) في دمشق .. لأنني هاجمت هذا المجتمع المسطول الذي يؤمن بالتواشيح .. وضوء القمر .. وأكل القضامة .. وقرقشة بذور البطيخ . والتمسك بالحصول على أربع زوجات ... من سن الأربع عشرة وما تحت .. عملاً بأصول الدين الحنيف .. والتوقف عن إنجاز أي عمل بانتظار يوم القيامة ..

في تلك الأيام ، وفي مدينة محافظة مثل دمشق .. كان مثل هذا الكلام كبيراً .. وكبيراً جداً ... ومن حسن حظي أنني كنت عند نشر القصيدة أعمل دبلوماسياً في لندن ... ولو كنت في دمشق لربطوني بسيارة أجرة .. وجرجروا جثتي في الطرقات ..

ورغم الخوف العظيم الذي اعتراني ، وأنا أتصور نفسي مشنوقاً في إحدى ساحات دمشق .. فقد تولد عندي إحساس باطني (بالتحرش) .. بكل الأشياء (الأنتيكا) .. وبكل الأفكار (الأنتيكا) .. وبكل الرجال التاريخيين المحفوظين في متحف التقاليد الشعبية ... تحت طبقة سميكة من (النافاتالين) ...

رغبة التحرش هذه ، أدخلتني في ألف ورطة وورطة ... وجعلت كل قصيدة أنشرها مدانة سلفاً ... وجعلت (صوفتي حمراء) عند أكثر الرقابات العربية ... حتى أنني حين أدخل مجتمعاً ، ويريدون أن يعرفوا بي يقولون : ((هذا الذي فصَّل من جلد النساء عباءة ....)) إشارة إلى بيت من أبيات قصيدتي (الرسم بالكلمات) ...

ويبدو لي أنني أصبحت (شاعر الفضيحة) على صعيد الحب والسياسة جميعاً .. وأنني سوف أظل ملاحقاً ومتهماً ، سواء كتبت .. أم لم أكتب ..

أما الإخوة المصريون ، فقد قامت قيامتهم عليَّ ، لأنني قلت إن الثقافة في مصر ، بعد عصر العمالقة ، أصبحت في يد أحمد عدوية !!!

لقد قال أستاذنا توفيق الحكيم عن الثقافة المصرية في عصر الانفتاح أكثر مما قاله مالك في الخمر ... مؤكداً أن القيم الثقافية في مصر ، أصبحت في يد (السباكين) .. وأن راقصة واحدة في شارع الهرم تجبي من فلوس (النقوط) في ليلة واحدة أكثر مما يدخل على توفيق الحكيم ونجيب محفوظ من حقوق التأليف في 25 سنة ...

هذا الكلام أقسى بألف مرة من كلامي ، ولكن الوسط الثقافي في مصر ترك توفيق الحكيم ، واستلمني أنا .. لأن توفيق الحكيم هو ابن البلد ، وابن البلد له حصانة دبلوماسية ككل السفراء .

والغريب أن إخوتنا في مصر ، يسمحون لأنفسهم أن يقولوا عن ثقافتهم ، ما لم يقله مالك في الخمر .. في حين لا يسمح (للغرباء) أمثالنا .. أن يقدموا مداخلة صغيرة في موضوع الثقافة المصرية .. فهل الحقيقة داخل روما .. هي غير الحقيقة خارجها ؟

وأريد أن أسأل : متى كان ممنوعاً على المثقفين المصريين أن يناقشوا الشأن الثقافي العربي ، وينتقدوه ؟

أليس العالم العربي ، وحدة ثقافية متكاملة ؟ أم أن الإخوة المصريين لهم رأي آخر ؟

إن الهبوط الثقافي ليس وقفاً على مصر وحدها . فالعالم العربي كله يمر في حالة هبوط ثقافية ، وسياسية ، وقومية ، لا وصف لها .

فلماذا خرج الزملاء في القاهرة على موضوعيتهم ، وهم الذين أشبعوا الانفتاح الثقافي في مصر ، كتابة .. ورسماً .. وكاريكاتوراً .. ونكتة .. حتى سقط مضرجاً بدمائه ...

ثم إنني حين أتحدث عن جيل العمالقة ، طه حسين ، والعقاد ، والمازني ، والحكيم ، فإنني لا أقفل الباب في وجه الجيل الثاني والثالث من الأدباء والصحافيين والمفكرين الكبار ، كنجيب محفوظ ، ويوسف إدريس ، والدكتور زكي نجيب محمود ، والدكتورة بنت الشاطئ ، وكامل الشناوي ، وخالد محمد خالد ، ولويس عوض ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ومحمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين ، ولطفي الخولي ، ومحمود السعدني ، وصلاح عبد الصبور ، وأحمد عبد المعطي حجازي ، ورجاء النقاش ، وأمل دنقل ، وصلاح جاهين ، وأحمد فؤاد نجم ، وعبد الرحمن الأبنودي .. وغيرهم .. وغيرهم من قائمة المبدعين والمفكرين .

نحن نعرف أن مصر هي (أم الدنيا) ، وهي تعرف أننا حبها (قد الدنيا) .. ولكننا نرجو من أصدقائنا المصريين أن لا يبالغوا في النرجسية وعبادة الذات ، لأن فرض (الأستذة) بالإكراه ، ليس من أخلاق العلماء والمثقفين ..

فشمس الإبداع قد تطلع مرة من القاهرة .. ومرة من بلاد الشام .. ومرة من بلاد ما بين النهرين ..

وليس ضرورياً ولا مستحباً ، أن نقول إن شمس الإبداع هي مصرية ، أو سورية ، أو لبنانية ، أو عراقية ، أو فلسطينية ، أو جزائرية ..

فهذا الكلام الفئوي والإقليمي تجاوزه الزمن .. كما تجاوزه الفكر العربي الوحدوي .

*** نزار الحقيقي ، أين يلتقي وأين يختلف مع نزار قباني الشاعر ؟**

ـ الحق مطلب من مطالب الشعر . وكذلك الحقيقة . وإذا كنت قد تعلمت من كلية الحقوق كيف أدافع عن قطاع صغير من الناس ، فقد علمني الشعر أن أكون محامي الإنسانية كلها .

المحامي يتولى عادة الدفاع عن عشرة .. أو عشرين .. أو خمسين مظلوماً .. في مدينته ، أو قريته ، أو حارته .. أما الشاعر فيضع نفسه تحت تصرف المظلومين بصرف النظر عن لونهم ، وجنسهم ، وجنسيتهم ، وديانتهم ، وطائفتهم ، ولغتهم .

إنه يطارد الظلم الواقع على الإنسان في أي زاوية من زوايا الأرض ..

وفي حين يدرس المحامي في الليلة ملفاً واحداً ..

فإن الشاعر يدرس في قصيدة واحدة ملف البشرية كلها .

*** ما هي سلبيات عملك في السلك الدبلوماسي ، وإيجابياته ؟**

ـ سلبيات عملي في السلك الدبلوماسي هي أنه حولني إلى قميص منشى .. وفكر منشى .. وعقل منشى .. وحذاء لمّاع ..

الدبلوماسية وضعت على رأسي قبعة من قبعات العصر الفيكتوري .. وأخذت طفولتي .. وشيطنتي .. وسراويلي القصيرة .

في الدبلوماسية كنت مثل تلميذ معاقب مطلوب منه أن يقف 21 سنة على قدم واحدة ...

وعندما استقلت من الدبلوماسية عام 1966 ، بقيت منقوعاً في البانيو الساخن شهراً كاملاً .. لأتخلص من خدر رجلي .. وأعطيت قبعة الملكة فيكتوريا إلى أولادي ، فوضعوا فيها قطة البيت الحبلى وحولوها إلى مستشفى ولادة ...

أما إيجابيات العمل الدبلوماسي ، فهي أنه أعطاني تذكرة سفر حول العالم ... وكاميرا تصوير .. وألف فيلم ملون .. وحقيبة ملآى بالدفاتر والأقلام .. وطلب مني أن لا أعود إلا وقد صورت القارات الخمس .. وملأت جميع الدفاتر التي أعطاني إياها ...

وشهد الله أنني لم أضيع وقتي ، فكنت في الصين صينياً ، وفي إسبانيا إسبانياً ، وفي لندن إنكليزياً .. وفي تايلاند تايلاندياً .. وفي الهند كنت مهراجا هندياً ...

وعندما عدتُ من رحلتي الطويلة التي استغرقت عشرين عاماً ، حمضت الأفلام التي التقطتها .. ونقلت الملاحظات التي سجلتها .. والقصائد التي كتبتها .. وتأكدت ، وأنا أقلب أوراقي ، وأتأمل مجموعة العصافير ، والأسماك ، والغزلان ، التي اصطدتها ، أن ثقافة الرحيل هي أهم الثقافات ...

* بعد أربعين سنة من النضال الشعري ، كيف يقوم نزار قباني تجربته ؟

- مثلما (أمم) عبد الناصر قنال السويس .. أممت أنا قصيدة الشعر . ومثلما أنهى حكم الباشاوات على الأرض .. أنهيت أنا حكم النظامين ، والنجارين ، وشعراء الأضرحة والجنائز والكتاتيب ...

كسرتُ طبقية الشعر .. وأعلنت الشعر (جمهورية شعبية ديمقراطية) ووضعت جميع الخلفاء والأمراء الذين كانوا يعتبرون الشعر أملاكاً خصوصية لهم .. في السجن ...

أزلتُ الكلفة بين الفرزدق ورامبو .. فجعلت الفرزدق يشرب نبيذ بوردو .. وجعلت رامبو يشرب العرق الزحلاوي .. ويأكل (التبولة) و (الكبة النية) .. أزلت جدار الخوف بين الشعر والناس ، وأنهيت غلاظة القواميس ، ولعبت مع الأطفال بكرة الشعر ، وشربت معهم البيبسي كولا .. وفتحت

للعصافير مدرسة صيفية لتعليم فن الشعر .. فتخرجت في أوائل نيسان وهي تحمل دكتوراه في الشعر ..

صممتُ على دخول منازل وخيام وأكواخ 150 مليون عربي .. ودخلتها .. جلستُ معهم على الأرض بكل بساطة . شاركتهم الخبز .. والقهوة .. والحزن .. والفرح .. والحرية .. وأهديت للنساء دواوين شعري ، فأصبحت عيونهن خضراء .. وبنفسجية ...

خلصت اللغة العربية من البروتوكولات .. والرسميات .. وجعلتها تلبس (الشورت) .. وتركب الدراجة ...

آخر انتصاراتي في بيروت أن كل سائق سيارة (سرفيس) يطلب من ركابه أن يسمعوا شريطاً يضم آخر قصائدي ...

هذه حادثة شعرية لا تحدث في لندن .. ولا في باريس .. ولا في نيويورك .. ولكنها تحدث في بيروت .. بارك الله ببيروت .. وأعاد إليها ابتسامتها الضائعة ...

*** ذات يوم حاولت الصحافة أن تسرقك من الشعر .. حدثنا عن هذه التجربة . هل تعتقد أن الصحافة تغتال الشعر ، أم تعتقد أن الصحافة والشعر يكملان بعضهما ؟ .**

ـ الصحافة حوت كبير .. والشعر سمكة صغيرة .. وبكل صراحة أقول لك إن الإقامة في بطن الحوت ، ليست سعيدة ولا مريحة ..

والحيتان على أنواع . ففيها الحوت الشاطر ، وفيها الحوت الماكر ، وفيها الحوت التاجر .. وفيها الحوت المثقف .. وفيها الحوت الأمي .. وفيها الحوت النفطي .. ورغم تعدد أنواع الحيتان ، فإنها تلتقي في شهوة الافتراس ...

وعندما خرجتُ من بطن الحوت ... واستعدتُ حرية السباحة في المحيط الكبير .. تأكدت أن الشاعر يجب أن يبقى طليقاً ، وحراً في تفكيره وحركته ومواقفه ، لأن الصحافة مهما كانت اغراءاتها ، هي نوع من الاعتقال والارتهان ..

لا شك أن الصحافة ، بما تملك من إمكانيات الانتشار السريع ، تستطيع أن تطرح الشاعر طرحاً أسبوعياً أو يومياً ...

ولكن هل هذا الظهور اليومي أو الأسبوعي هو في مصلحة الشاعر ؟ لا أعتقد . فالظهور المتصل ، يفقد الشاعر تألقه وبريقه ويحوله إلى إعلان مبوب ...

إن الشاعر الذكي هو الذي يعرف أين يظهر .. ومتى يظهر .. ومتى يغيب .. ومتى يحضر ..

عليه أن يبقى محتفظاً بسريته ، وأن يترك الناس في حالة الدهشة والتوقع ، وأن يبقى دائماً في المنطقة الموجودة بين الضوء وبين العتمة ...

أما الظهور بمناسبة أو بغير مناسبة ، فإنه يحوله إلى عارضة أزياء .. أو مسحوق للغسيل ...

* نزار قباني بعد بلقيس زوجة وقصيدة . إلى أية امرأة وأية رؤيا يطمح ؟

- مطامحي شعرية وليست نسائية . لا وجود للمرأة عندي إلا بمقدار ما تعطي من شعر ، أو تتحد برؤاي وطموحاتي الشعرية .

لا تنفع معي أية امرأة - مهما كانت جميلة - إذا لم تدخل عليّ دخول القصيدة .. ولم تكن مغتسلة بالشعر من رأسها حتى أصابع قدميها ..

الشعر يأتي أولاً في نظام الأولويات عندي .. ثم تأتي المرأة في حاشيته الملكية ..

لا أستطيع أن أحدد من هي المرأة - الشعر . ولكنني أعتقد أنها الذرة التي تنشطر بين يديك إلى ملايين الذرات .. والمرأة التي تتحول وأنت جالس معها إلى ملايين النساء .. والقصيدة التي تحاول أن تكملها .. ولكنها تمنعك من كتابة البيت الأخير .

هي المرأة التي تسافر معها إلى القمر .. ومن هناك تبعث باستقالتك إلى الأرض .

هي المرأة التي تلتصق بك كالقطة المنزلية الأليفة ، عشرة ملايين سنة .. وعندما تطلب منك الإذن بالذهاب .. تطلب إليها تمديد إقامتها ..

هي التي من كثرة أسمائها ، لا أعرف ماذا أسميها ...

*** نزار قباني ، شاعر سياسي في حديثه عن المرأة . وليست الدعوة إلى تحريرها إلا من قبيل الرغبة الجامحة في تحرير الوطن . ما وجه العلاقة بين جسد المرأة ، وجسد الوطن ؟**

ـ الجسدان واقعان تحت الاستعمار ، ويعانيان القهر والقمع والابتزاز .

جسد المرأة محاصر منذ آلاف السنين حصاراً طروادياً رهيباً ، والرجل يتعامل مع هذا الجسد ، كما يتعامل إقطاعيو القرون الوسطى مع الأرض . فهو السيد ، المالك ، المطلق التصرف ، الذي يحمل وكالة عامة ببيع المرأة ، وشرائها ، واستثمارها ، وتشغيلها ، والزواج منها دون موافقتها .. وطلاقها دون موافقتها .. ومنعها من تعلم القراءة والكتابة ، ومن السفر ، ومن ممارسة حقها الانتخابي .. ومن مغادرة (بيت الطاعة) .

وجسد الوطن ، هو الآخر ، يتحرر من اعتقال قديم ليدخل في اعتقال جديد ، ويتخلص من كرباج الأجنبي ، ليتلقى ضربات الكرباج الوطني ..

الوطن ملازم بيته ، فهو لا يتردد على المقهى ، ولا يعلق على خبر في جريدة ، ولا يجيب على التلفون .. ولا يكتب رسالة ..

الوطن نسي غريزة الكلام ، بعد أن حولوه إلى حيوان غير ناطق ..

إذن ، فجسد المرأة وجسد الوطن لهما قضية واحدة ، وعليهما أن يعلنا الثورة معاً .. وأن يحطما أبواب معتقلهما معاً ...

*** تعود من حين لآخر إلى القصيدة العمودية ، كيف تفسر عودتك إلى الأصول ، وأنت شاعر انقلابي ؟**

ـ ومن قال لك إن الانقلاب ليس له أصول . إن الانقلابي الذي لا يحمل في رأسه مخططاً ، يتحول إلى قاطع طريق .. أو رئيس عصابة .

كل عمل انقلابي يجب أن يكون وراءه برنامج عمل ، ورؤية ، سواء كان الانقلاب سياسياً ، أو عسكرياً ، أو شعرياً .

إن القصيدة العمودية بالنسبة لي هي خيار من بين الخيارات . وهي لا تأخذ عندي صفة الجبر والإلزام . وإنما هي محطة اختيارية أقف عليها ، أو لا أقف عليها ، حسب مشيئتي .

*** نزار قباني ، الحريص على الموسيقى في الشعر ، لجأ في بعض دواوينه إلى قصيدة النثر . ضارباً بعرض الحائط التفعيلة ، والعروض والأعاريض . كيف تفسر لنا ذلك ؟ وهل قصيدة النثر هي ابنة شرعية للتراث ، أم أنها نتاج غربي جملة وتفصيلاً .**

- موسيقى الشعر ليست محصورة في الستة عشر بحراً التي بوبها ونسقها الخليل بن أحمد الفراهيدي . موسيقى الشعر أوسع وأشمل من هذا بكثير . فعلم العروض الذي درسناه في المرحلة الثانوية ، ليس سوى قطرة صغيرة في المحيط الكبير الذي هو الموسيقى . قد تكون قصيدة النثر خالية من النظام الموسيقي الذي ألفناه في القصيدة العربية .. ولكنها ليست خالية من الموسيقى بشكلها المطلق .

إنني لا أعتقد أن قصيدة النثر هي نتاج غربي ، ففي القرآن الكريم تشكيلات نثرية تتفوق على أي نص شعري ، كما في سورة مريم ، وسورة الرحمن . وقصار السور .

فلنترك للشاعر حرية البحث عن صياغات وتشكيلات جديدة ، لأن في اللغة العربية إمكانيات جمالية وميلودية لا حصر لها .

إنني ضد أي شكل شعري يتحول إلى وثن .. فالأشكال لا تخلق الإنسان ، وإنما الإنسان هو الذي يخلق أشكاله .

فلنعط الفرصة لقصيدة النثر كي تجرب حظها .. فإذا نجحت أخذت مكانها في تاريخ الشعر العربي .. وإذا فشلت فسوف يستمر البحث عن الجديد ، ولن يتوقف الشعر العربي عن مغامراته وطموحاته .

*** الحداثة هاجس كل المبدعين في محيطنا العربي . إلى أية حداثة تنتمي . وأين تتفق أو تختلف مع حداثة الآخرين ؟**

ـ في خضم (الحداثات) العربية التي صارت أكثر من الهم على القلب .. أفضل أن أنتمي لحداثتي الخصوصية .

فأنا لا أريد أن أفجر اللغة .. ولا أن أبول على التراث ... ولا أن أشنق المتنبي لأنه أصبح (دقة قديمة) .. ولا أريد أن أتبع الموضة الشعرية لعام 1986 التي تقتضي أن يكون الفاعل منصوباً .. والمفعول به مرفوعاً .. ولا أريد أن أترك فندق التاريخ .. حتى لا أنام في الشارع .

أريد أن أصل إلى المستقبل ، دون أن أبصق على الماضي ..

وأريد أن أتشكل في رحم الأصولية ، كما تتشكل اللؤلؤة في داخل المحارة .

وأريد أن أستلم الحكم في جمهورية الشعر .. دون أن أقتل أحداً من الشعراء القدامى ، أو المعاصرين ..

وأريد أن أجعل الشعر رغيفاً يأكله الجائعون ، وثوباً يلبسه المحرومون ، وجزيرة يلتجئ إليها الخائفون ..

ولأن حداثتي ديمقراطية وشعبية وبعيدة عن البروتوكولات والفكر الاستعراضي .. فإنني أتفاهم بسهولة مع العشب ، والأرانب البرية ، والأطفال .

* كيف يتعامل شاعرنا مع الجمال الأنثوي الباهر ؟

- كما تتعامل الفراشة مع الشمعة ....

* لماذا يفضل نزار قباني الليل على النهار ؟

- حتى أتفرغ لعيون فاطمة ....

* باعتقادك لماذا خسر العالم الحديث إحساسه بالحب ؟ ....

- لأنه حمار ....

*** لو قابلت امرأة جنوبية ، ماذا تقول لها ؟**

- أقبل يديها من الوجه والقفا .. وأقول لها : شكراً يا أمي ...

*** هل تستطيع اللغة العربية الحديثة أن تساير الحضارة الحديثة بكل متفرعاتها وتفاصيلها ؟**

- بكل تأكيد تستطيع .. إذا كان وراءها عقل لغوي حديث ومتطور .

وأحب أن أذكرك بهذه المناسبة ، أن كلية الطب في جامعة دمشق ما زالت تدرس الطب باللغة العربية منذ ثلاثين سنة ، بنجاح كبير ..

ثم إن اليابانيين دخلوا عالم الألكترونات باللغة اليابانية .. ولم يستعيروا لغة أخرى ..

*** كيف تتصور وضع المرأة الأكثر ملاءمة للحضارة ؟**

- تواجه المرأة حضارة اليوم بالعقل ، والحرية ، والمسؤولية . فبالعقل تعيد اعتبارها ككائن بشري ، وتصحح وضعها الإنساني .

وبالحرية ، تخرج من قانون الرق والتبعية ، ومن تسلط الذكور على جسدها ، وفكرها ، وقراراتها .

وبالمسؤولية ، تتعادل مع الرجل في الحقوق والواجبات ، وتصير امرأة نافعة .. لا امرأة جميلة فقط ..

*** نزار قباني فقد ابنه الشاب ، وزوجته التي أحب . فكان كبيراً في ألمه . ماذا علمك الحزن ؟**

ـ عندما رحلت بلقيس جاءتني من الموسيقار محمد عبد الوهاب برقية قصيرة جداً ، تتضمن بيت شعر لأمير الشعراء شوقي يقول ((وأنبغُ ما في الحياة الألم)) .

أي أن الحزن هو الذي يصنع الإبداع ، أما الفرح فهو سطحي وعاقر .

إن أروع الآثار العالمية ، من شعر ، ورواية ، وتصوير ، وموسيقى ، نضجت وتخمرت في رحم الحزن .

لذلك أعتبر الحزن معلمي وصانعي ، في حين أنا معلم الفرح وصانعه ..

*** الشعر يعيش حالة انحسار ، لكنك تبقى الأكثر رواجاً . من أين تستمد هذه الجماهيرية التي يفتقر إليها معظم شعرائنا الحديثين ؟**

- أنا الأكثر رواجاً .. لأنني الأكثر صدقاً .. والأكثر براءة .. والأكثر طفولة من جميع زملائي ..

أنا لم أخاطب الناس من بلكونة بيتي في الطابق الخامس .. وإنما نزلتُ إليهم .. وسلمت عليهم ، وسألت على أحوالهم وأحوال أولادهم .. ووزعت عليهم مجموعة من كتبي وعليها توقيعي .

إن محبة الناس هي مهنتي .. ولا أعتقد أن العجرفة والعنطزة الثقافية الفارغة .. وكتابة الفوازير والكلمات المتقاطعة توصل الشاعر إلى أي مكان ...

*** سموك شاعر المرأة . عن أية امرأة كتبت .. وماذا قدمت لها على صعيد تحررها ؟ .**

- هذا سؤال تطرحه على المرأة .. فإذا كانت لك حبيبة فاسألها ماذا قدمت لها ...

إنني أقول - بغير غرور - إنني موجود في كل كافيتريا يلتقي بها رجل عربي بامرأة عربية ..

* يرى بعض الذين لا أوافقهم في الرأي طبعاً ، أن نزار قباني يتحدث عن طبقة معينة من النساء المرفهات والبورجوازيات . وينسى أو يتناسى النساء الكادحات المجرحات الأيدي بأشواك الحياة .. ماذا تقول ؟

ـ إنني لا أخترع نسواناً من عندي . إنني أكتب عمن أعرف . ولكنني أؤكد لك أن كل النساء اللواتي كتبت عنهن هن من نساء الطبقة الوسطى .. ولسن من آل هابسبورغ .. أو آل ميديسي .. أو من حفيدات قيصر روسيا ...

* أليست الدعوة إلى تحرير المرأة من باب الجنس فقط دعوة ناقصة ، وبحاجة إلى إعادة نظر ؟

ـ الجنس هو عقدة الأفاعي في المجتمع العربي ، وهو أساس صداعنا المزمن ..

وأنا أعتقد ـ وربما كنت على خطأ ـ أن ثورة الجائعين إلى الخبز ، يجب أن تكون متزامنة مع ثورة الجائعين إلى الجنس .

* يلاحظ أنك انصرفت انصرافاً شبه نهائي إلى الشعر السياسي . كأن المأساة التي نعيش جعلتك أكثر التصاقاً بالواقع . فهل هذا الخيار إرادي أم غير إرادي ؟ ولماذا غيرت مسارك ؟

- لا يُسأل الموجود في داخل البحر ، لماذا هو مبلل ، وهل صراعه مع الأمواج إرادي أم غير إرادي .

إن السياسة امتصت كل كمية الأوكسجين الموجودق في فضاء العالم العربي . والكاتب مضطر أن يتنفس الهواء الذي يحيط به ، رغم ارتفاع نسبة ثاني أوكسيد الكاربون فيه ، وإلا مات اختناقاً .

أما عن الواقع ، فأنا أكثر الشعراء التصاقاً بواقعي ، سواء كان هذا الواقع عاطفياً أو سياسياً .

ولو لم أكن ملتصقاً بواقعي ، لاختفيت من خريطة الشعر من زمان بعيد .

*** المقاومة الوطنية اللبنانية غيرت مفاهيم ، زعزعت قيماً ، وزرعت مفاهيم وقيماً جديدة ، وعرّت الأنظمة ، ورسخت أهمية قدرة الجماهير في عملية التغيير . ما هو موقف شاعرنا الكبير منها ، كيف تعامل معها ، وماذا باستطاعته أن يقدم لها ؟**

- المقاومة الجنوبية هي قيامتنا . هي ولادتنا .. هي ليلة قدرنا .

قبلها ، كنا 150 مليوناً من المعاقين .. ننام في قاووش واحد .. ونأكل في قاووش واحد .. ونقضي حاجتنا في قاووش واحد ..

الشعر كان أيضاً معاقاً قبل المقاومة الجنوبية ، وكانت الثقافة هي ثقافة الثرثرة .. و (طق الحنك) ... والكافيتريات .

أنا شخصياً كنتُ أعيش كغابرييل ماركيز في (مئة عام من العزلة) .. وفجأة انفتحت أمامي (بوابة النهار) فخرجت لأكتب (السمفونية الجنوبية الخامسة) ..

طبعاً أنا لا أدعي أنني بقصيدتي (السمفونية الجنوبية الخامسة) قد فتحت القسطنطينية .. ولكنني قدمت دفعة على الحساب .. من دين المقاومة الجنوبية علينا ..

*** لو ترك السؤال الأخير لنزار قباني ، فماذا يقول ؟**

ـ أقول إنني أحلم أن ألف جسدي بحزام من القصائد ـ على طريقة الانتحاريين الجنوبيين ـ وأهدم أسوار المدن التي يسكنها ملوك الطوائف ...

20 أيار (مايو) 1985

نزار قباني .. يدفن زمان الوصل بالأندلس ..

حوار مع الأستاذ ياسين رفاعية - جريدة النهار - بيروت - بتاريخ 1988/3/17 .

* بين مدينة وأخرى ، حيث لا تهدأ عن الترحال . هل تبحث عن بديل لبيروت ؟

ـ لا بديل لبيروت سوى بيروت . كما لا بديل لامرأة نحبها سوى هي .. إنني لا أتعاطى البدائل في المدن والنساء .. ولا أؤمن باستعمال مدينتي المفضلة ، أو حبيبتي المفضلة كدولاب احتياط . هذا يجري في أسواق العقارات والسندات وأسواق العملة .. ولكنه لا يجري أبداً في حالات الحب الكبير .. والانتماء الكبير .

بيروت هي انتماء شعري كبير .. فإذا احترقت .. أو تهدمت .. أو سقطت ، فهذا لا يعني سقوط الانتماء ..

* قلت لي مرة ، إنك تحاول أن تطلب رقم هاتفك في بيروت ، مع أنك تعرف أن لا أحد في البيت .. بماذا تفسر هذا العبث الصبياني .. ومع من تريد أن تتكلم ؟

ـ ما تسميه عبثاً صبيانياً ، ليس سوى محاولة لتأكيد ذاتي ، وتأكيد بيروت معاً . ليس صاموئيل بيكيت وحده هو الذي ينتظر (غودو) .. كل واحد منا ، بشكل أو بآخر ، ينتظر غودو .. الذي يأتي ولا يأتي ..

أما مع من أتكلم .. فلا ضرورة أن يكون هناك شخص أتكلم معه .. قد يتكلم الإنسان مع شجرة .. أو مع جدار .. أو مع خزانة ثياب .. أو مع ألبوم صور .. أو مع ملقط شعر .. أو مع حلق يبحث عن أذني صاحبته المسافرة ...

أهم ما في المجانين هو قدرتهم الخارقة ، على إقامة حوارات مع الحيطان . وأجمل ما في الشعر الجاهلي أنه كان يحول الحصاة إلى جدول ماء ... وذرة الرمل إلى فردوس أخضر ... وروث البعير إلى عطر يزاحم عطور شانيل وكريستيان ديور ..

يمكنك بكل سهولة أن تعتقل إنساناً .. ولكن من المستحيل أن تعتقل حلماً .

*** إذن .. لماذا تركت بيروت ؟**

- تركتها .. لأشتاق إليها أكثر .. لأحبها أكثر .. لأستحضرها كما يستحضر الصوفي وجه الله ...

العالمون بشؤون العشق .. وفقهاء الغرام ، يعرفون أن الحبيب الأكثر ابتعاداً هو الأكثر اقتراباً .. وأن الشفة الأكثر تمنعاً .. هي الشفة الأكثر تساهلاً .. وأن المرأة التي لا تسمح لك بلمس إصبعها .. هي التي تنجب منك في شهر واحد عشرة أولاد ...

*** نحن نعرف أنهم يذبحون بيروت .. ولا نملك أمام هذا الذبح وسيلة للدفاع عنها لا أنت .. ولا أنا .. ولا كل الشعراء شكلوا (ميليشيا) للدفاع عنها .. ولكن أليس من وسيلة أخرى نرفع بها السكين عن عنقها ؟**

- هل سمعت عن وردة تنخرط في ميليشيا ؟ .. أو عن قمر يلبس الملابس المرقطة ؟ أم هل سمعت عن قصيدة تقف على حاجز مسلح .. وتخطف الناس ؟

ليست وظيفة الشعر أن يتحول إلى قاطع طريق .. أو أن يصبح عضواً في تنظيم مسلح . وظيفة الشعر أن يكون عضواً في حزب الياسمين ... أن يكون مع الجمال ضد القبح ، ومع الشمس ضد العتمة ، ومع الحب ضد الكراهية ... ومع الوردة ضد القنفذ .. ومع العافية ضد الطاعون .. ومع الطفولة ضد المتاجرين بطفولة الأطفال .. ومع الأغنية ضد المسدس الكاتم للصوت .. ومع البحر ضد أسماك القرش .. ومع العصافير ضد البنادق .. ومع الإنسان ضد أكلة لحوم البشر .. ومع الحياة ضد سارقي الأكفان ..

ليست بيروت هي المذبوحة وحدها .. إن عصراً عربياً كاملاً مهدد بالذبح .. بنثره ، وشعره ، ومفكريه ، ومبدعيه ، وصحافته .

والكتابة تأتي على رأس قائمة المذبوحين .

ولكن رغم رداءة الأحوال الجوية ، وكثافة الضباب ، وانعدام الرؤية ، ورغم غضب السماء ، وشدة البلاء ، ورغم السيافين ، وقلة الرؤوس الباقية ... فإنني أؤمن أن الأرض ستبقى أرضاً .. والبحر سيبقى بحراً .. والإنسان سيبقى إنساناً ...

قد يستطيعون أن يقتلوا شجرة .. ولكنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا غابة .

وقد يستطيعون أن يقتلوا قمحة .. ولكنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا بيدراً ..

وقد يستطيعون أن يقتلوا سمكة .. ولكنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا البحر ..

وقد يستطيعون أن يقتلوا حرفاً من حروف الأبجدية .. ولكنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا الكتابة ...

وقد يستطيعون أن يقتلوا امرأة حاملاً .. ولكنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا الأمومة ..

*** القصيدة السياسية صار لها فعل التحدي . بل هي الآن تعبير أصيل عن أحاسيس الناس في الوطن العربي . والملاحظ أنك قد جعلت لهذه القصيدة أصولها ، ومضمونها . فتجاوب معك الناس هنا وهناك . ماذا تشكل القصيدة السياسية عندك ؟**

ـ سأعترف لك اعترافاً خطيراً ، وهو أنني أصبحت أخجل من (قصائد الحب) .. أنا الذي كنت الناطق الرسمي باسم ملايين العشاق ..

كلما وقفتُ على منبر .. وخطر على بالي أن أرطب الجو بقصيدة حب .. قلت ما بيني وبين نفسي : عيب .. يا ولد .. إن الأرض تهتز من حولك .. والعالم العربي تأكله الحرائق .. وأنت قاعد تثرثر أنت وحبيبتك .. وتتغزل بحرير يديها .. وخوخ شفتيها .. بينما النار وصلت إلى ثيابك ..

في الأردن قبل عامين كانت أمسيتي الشعرية نزفاً سياسياً مستمراً خلال ساعتين .. وفي القاهرة تحولت أمسيتي في معرض الكتاب .. في الشهر الماضي ، إلى عاصفة سياسية ..

إنني لا أستغرب هذا التحول في شعري .. وفي أفكاري .. وفي مواقفي .. فالجمهور العربي أصبح وحشاً سياسياً لا يقف في وجه شهيته شئ .. فإذا لم تطعمه قصيدة سياسية .. أكلك ...

إنني أعرف كثيراً من الشعراء العرب افترسهم الجمهور .. لأنهم قدموا له قطعة شوكولاتة .. أو قطعة (مارون جلاسيه) .. وهو في ذروة غضبه وهيجانه ...

أنا بحاستي السادسة ، اكتشفت أن زمن الـ (مارون جلاسيه) في الشعر قد انتهى ..

العالم العربي طنجرة بخار مهددة بالانفجار بين لحظة وأخرى . ما يجري في بيروت منذ ثلاثة عشر عاماً .. الحرب العراقية الإيرانية .. ثورة أطفال الحجارة في فلسطين المحتلة .. صمت الشارع العربي الرهيب .. سقوط الفكر الوحدوي ، وازدهار الفكر المذهبي والقطري .. هل هذه التراجيديات الكبرى قابلة للتأجيل ؟ هل يستطيع الشاعر العربي أن يختبئ تحت لحاف اللا مبالاة .. ويرفع سماعة التلفون ، ويلبس بيجامته الحريرية ...

ويشرب فنجان يانسون ويقول لخادمته : إذا سأل عني شخص يسمى التاريخ .. قولي له إنني مسافر ..

ومع احترامي للحب ، وللحبيبات ، ولجميع الذين يحبون (الآيس كريم) .. أقول إن الخطاب السياسي ، غطى على الخطاب الغرامي .. وإن (زمان الوصل بالأندلس) .. قد أعطاكم عمره ... ودفنوه هو والأندلس في قبر واحد ...

أعرف أن الكثيرين والكثيرات سيغضبون من هذا الكلام ... ولكن ماذا أفعل إذا كان الوطن قد منعني من أكل الشوكولاتة ...

*** أنت مستمر على إطلاق النار .. من (السيرة الذاتية لسياف عربي) التي ألقيتها في لندن في العام الماضي .. إلى قصيدتك العنيفة (أطفال الحجارة) إلى قصيدتك الأخيرة (الغاضبون) .. عن انتفاضة أطفالنا في فلسطين المحتلة .. على من تطلق النار ؟**

ـ أطلق النار .. على الظلم . والقمع . والبشاعة ..

أطلق النار على عصر يتعامل مع الإنسان .. كغنمة .. أو كحشرة .. أو كدابة ..

أطلق النار على كل التماثيل التي وضعوها في الساحات العامة لتخويف أطفالنا ..

أطلق النار على كل الشعارات التي صارت كمسحوق الغسيل تغسل (أكثر سواداً) ...

أطلق النار على كل البرامج التلفزيونية التي تفرمنا بآلة (المولينكس) .

أطلق النار على كل القصائد الأجيرة التي يستخدمها الحكام لتنظيف أحذيتهم .

وأخيراً أطلق النار على كل مثقف يدور في حلقات الذكر .. أو يدور في حلقات النفط ..

*** هل تعتبر أن بعض النقاد يسيئون إليك عندما يقولون إن شعرك مبسط ، كأنك تكتب للطبقة الدنيا من الناس ؟**

ـ نقادنا هم مصيبة الشعر العربي وآفته . ولو أن شعراءنا اعتمدوا على آرائهم ، وتوجيهاتهم ، وحكمهم المأثورة .. لتحولوا إلى بائعي فلافل ..

لقد حذرتني أمي منذ أن كنت صغيراً من ملامسة القطط السود ... ومن الاقتراب من أعشاش الزنابير ... ومن التعاطي مع أي صحافي عربي يعمل محرراً ثقافياً قبل الظهر .. وموظفاً في شركة أرامكو .. في الليل .

وإذا كانت بساطتي هي سبب غضبهم ، فسوف أبقى بسيطاً .. وإذا كانت جماهيريتي تضايقهم .. فليختبئوا في قواقعهم كالحلزون البحري ...

وإذا كانوا يريدون أن يتسلقوا على أكتافي .. فإن قامتي عالية وسلالمهم قصيرة .

*** ما هي وظيفة الشعر ؟ أو بصورة أوضح ما هو فعل الشعر ؟**

ـ وظيفة الشعر أن يحرض الإنسان على نفسه ، وعلى ظروفه البشرية . وظيفته أن يرفعه . أن يغيره . أن يحرره . أن يحضِّره ... أن ينقله من سكونية الحجر .. إلى حركية النار .. وجدلية الأسئلة ..

الإنسان ليس (حيواناً ناطقاً) كما يقولون .. ولكنه حيوان يقرأ الشعر .. أما فعل الشعر فهو ذات الفعل الذي ترتكبه الرياح .. والزلازل .. والأمطار الاستوائية ..

*** أمسيتك الشعرية الأخيرة في القاهرة كانت حديث الناس . كيف كان تواصلك مع الجمهور المصري ؟ كيف استقبل قصائدك الغاضبة ؟**

ـ الشعب المصري كان رائعاً ، وكان يغني معي على ذات الموجة .. وكان غضبه بحجم غضبي .. ودموعه بحجم دموعي ...

أكثر الذين استمعوا إليَّ كانوا من الشباب ، وهذا ما طمأنني على أن الدم المصري الجديد لا يزال يتدفق أصالة ، ووطنية ، وعروبة ..

لقد استمع إليَّ نحو خمسة آلاف مواطن مصري وعربي ، امتصوا كل كمية الأوكسيجين الموجودة في القاعة ..

ولكنهم استغنوا عن الأوكسيجين .. ليستنشقوا هواء الحرية .

*** كيف تستحضر القصيدة ؟ هل تعيشها ؟ تعاني منها ؟ قبل أن تفرغها على الورق ؟ ثم بعد رسمها على الورق .. هل تعاود النظر فيها مرة ومرة ومرة .. أم تكتفي بالمرة الأولى ؟**

ـ هذه أسئلة تطرح على صيدلي .. أو على مدير بنك .. أو على رئيس جهاز مخابرات .. والحقيقة أنني مع القصيدة ، كالزوج المخدوع ، آخر من يعلم ..

إنني جاهل تماماً بطباع قصيدتي وسلوكها . متى خرجت من البيت ؟ أي فستان كانت تلبس ؟ مع من كانت ؟ مع من تناولت العشاء ؟ مع من نامت ؟

هذه أسرار لا أحاول أن أعرفها .. لأنني لو عرفتها سأجن .. كل ما أعرفه أنني زوج متحضر لا يسأل زوجته (القصيدة) عن شؤونها الخاصة .. فهي تخرج متى تريد .. وتعود متى تريد ...

وحين أبحث عنها في صباح اليوم التالي .. أجدها نائمة فوق أوراقي .

حيث تكون المرأة .. تتكاثر النجوم ..

حوار مع الأستاذ عيسى مخلوف - مجلة (شذا) - باريس بتاريخ شباط (فبراير) 1989 .

*** في كتابك (قصتي مع الشعر) تروي كيف اكتشفت موهبتك الشعرية ، وكنت ما تزال في السادسة عشرة . كان ذلك أثناء رحلة في السفينة بين بيروت وإيطاليا . كنت تقف في مقدمة السفينة تدمدم الكلمة الأولى من أول بيت شعر نظمته في حياتك . وتقول إنه قفز من فمك كأنه سمكة حمراء تنط من أعماق الماء .. هل نستطيع أن نعرف كيف وصلت هذه السمكة الحمراء إلى فمك .. وهل لطفولتك أثر في وصولها ؟ ..**

ـ لا صياد في العالم ، يستطيع أن يقول لك كيف يأتي السمك .. إنه يأتي عندما يريد .. ويهرب من الشبكة متى يريد ...

ولو أن كل سمكة أعطت صيادها موعداً للقاء .. لانتهى السمك .. وانتهى الشعر أيضاً .

القصيدة سمكة .. بكل ما تمثله من مكر .. ولعب .. ومراوغة .. ومخاتلة .. وباطنية ...

لا يمكن تشبيه القصيدة بالعصفور .. لأن العصور يحط على الشجرة .. أو على النافذة .. أو على كتفيك .. ويطلب منك أن تلقي القبض عليه ...

والغزال أيضاً لا يشبه القصيدة .. لأنه يرقص أمامك في الصحراء كراقصة باليه .. ولا يرى البارودة في يديك .. ولا يعرف أنك ستقتله ..

والفراشة الربيعية تطير أمام الأولاد في الحقل ، وهي ترتدي أجمل ثيابها ، وتقول لهم : ((امسكوني)) ....

القصيدة هي الكائن الوحيد الذي يتصرف على طريقة رجال المخابرات ... فهي لا تعطي عنوانها لأحد .. ولا تظهر في مكان مرتين .. ولا تلبس ذات الثياب ... ولا تنزل في ذات الفندق ... ولا تترك بصماتها على جسد أي امرأة ...

إن صورة القصيدة - السمكة ليست صورة بلاغية .. أو مجازية أو ذهنية أو تركيبية ، ولكنها محاولة للبحث عن مصباح علاء الدين ... رغم يقيني أنه ليس هناك مصباح .. وليس هناك علاء الدين ...

الشعر فيه الكثير من عملية السطو والمداهمة .. والكثير من عنصر المفاجأة . فأنت تنتظره من الشرق .. فيأتيك من الغرب .. وتستعد لاستقباله في غرفة المكتب .. فيخرج لك من ثقوب الدوش في الحمام . أما من أي بحر يأتي سمك الشعر .. فمشكلة أخرى ...

فقد يأتي من بحر الشمال مثل الشعر الإنكليزي والألماني والفرنسي ، وقد يأتي من البحر الأبيض المتوسط مثل الشعر اليوناني والإيطالي .. وقد يأتي من بحر قزوين والبحر الأسود كالشعر الروسي .. وقد يخرج السمك من تحت الرمل .. كما حدث في الشعر الجاهلي .. وقد يخرج من أعماق الغابات كما حدث في الشعر الأفريقي ..

أما بالنسبة لي ، فأنا محصولٌ دمشقي مئة في المئة .. وأبجديتي تحتشد فيها كل مآذن الشام ، وحمائمها ، وياسمينها ، ونعناعها ، وخوخها ،

وعنبها ، ووردها البلدي .. وبين كل فاصلة وفاصلة من قصائدي .. تضئ عينان دمشقيتان ...

* لبيتك الذي ولدت فيه في دمشق نكهة خاصة في حياتك . ولأمك ، وكل ثروتها ((عشرون صفيحة فل في صحن الدار .. كل زر فل عندها يساوي صبياً من أولادها ..)) .

هل يمكن أن نحيل عالمك الشعري الملئ بالعطور إلى هذه الجذور ؟

ـ عندما يولد الطفل في قارورة عطر .. فإن الرائحة تطارده حتى آخر يوم من أيام حياته . تطارد طفولته ، وتطارد كتبه ، ودفاتره ، وأقلامه ، بل تطارده ثقافياً .. وشعرياً .. وحضارياً ..

إن صوت نافورة الماء في باحة بيتنا الدمشقي .. لا يزال يهدر في أذني رغم أن نافورة بحيرة جنيف أراها من نافذتي ..

عندما يقول ناقد عن لغة نزار قباني إنها (لغة مائية) يكون قد وضع يده على أهم مفاتيحي ..

أنا شاعر (الأكواريل الدمشقي) ... أقولها كما يقول بيكاسو إنه شاعر التكعيبية .. وكما يقول سيلفادور دالي إنه شاعر السريالية ..

إن طفولتي باختصار كانت علبة ألوان .. فإذا كنت قد (رسمت بالكلمات) .. فلأن البيت الشامي الذي ولدت فيه ، كان بمثابة (الأتولييه) الذي جهزني بكل المواد الأولية من فراشي ، وألوان ، وقماشات .. لأصنع لغة فيها الكثير من تشكيلات قوس قزح ...

هناك شعراء يكتبون لغتهم .. أما أنا فشاعر يرسم لغته . إنني أفكر بالخطوط والألوان أولاً .. كما يفكر صانع الأزياء بالثوب الذي سيصنعه .. قبل أن يفكر بجسد المرأة التي ستلبسه ...

* تقول : ((أنا من أسرة تمتهن العشق)) . وفي تاريخ الأسرة حادثة (استشهاد) مثيرة سببها العشق . والشهيدة هي أختك الكبرى (وصال) . ما أثر هذه الحادثة على شعرك ؟

- قبل أن تنتحر أختي ، لم أكن أعرف أنني أعيش في مجتمع بوليسي يمنع الشجرة أن تزهر .. والقمر أن يطلع .. والنهد أن يتكور .. لم أكن أعرف أن صوت المرأة يمكن أن يكون عورة .. وكتاب الشعر يمكن أن يكون فضيحة .. وكتابة رسالة عشق يمكن أن توصل إلى حبل المشنقة ..

بعد مصرع أختي .. قررتُ أن أنتقم لها بالشعر .. وبدأت بتحطيم كل (التابوهات) ، والخرافات السائدة ، والقناعات التي كانت تعتبر المرأة شريحة لحم .. يأكلها الرجل .. بدقيقتين .. ثم ينكش أسنانه ...

بعد مصرع أختي .. قررت أن أكسر أبواب سجن النساء ... وأعتق جميع النساء المعتقلات من عهد عاد وثمود ... في ثلاجة القصر .. أو في غرفة نوم الملك شهريار ...

بعد مصرع أختي .. قررت أن أنهي مرحلة التمييز العنصري بين الرجل والمرأة .. وأن ألغي جميع محاكم التفتيش التي تحكم على المرأة بالأشغال الشاقة المؤبدة إذا عشقت .. وتعطي الرجل عشرات الميداليات الذهبية في أولمبياد الحب ...

بعد مصرع أختي .. قررت أن أذبح كل بنات (السياف مسرور) غير الشرعيات .. كما ذبح الملايين من بنات الناس .. بغير محاكمة ..

*** منذ مجموعتك الشعرية الأولى ((قالت لي السمراء)) حتى اليوم ، ما يزيد على الأربعين عاماً . هل تشعر أنك ما زلت قادراً على الرسم بالكلمات ، أم أن اللغة ضاقت بك ؟**

ـ ليست اللغة هي التي ضاقت بي .. ولكن مساحة الحرية هي التي ضاقت . عندما تشيخ الحرية في وطن ما .. فإن الثقافة تشيخ .. واللغة تشيخ .. والفكر يشيخ .. والشهوة إلى الإبداع تشيخ ...

طبعاً إن للجسد طاقاته وقوانينه ، ولكن الروح تبقى دائماً بحاجة إلى وقود الحرية لتواصل اشتعالها .

ما كنا نكتبه في الخمسينات كان جميلاً ، لا لأننا كنا ممتلئين صحة وشباباً وحماساً .. ولكن لأن الحرية كانت بصحة جيدة ...

في الثمانينات .. أشعر أن السماء صارت أضيق .. وكمية الأوكسيجين صارت أقل .. وكمية اللون الأخضر صارت أقل ...

في الثمانينات ، كل شئ صار عصبياً . القصيدة صارت عصبية .. واللوحة صارت عصبية .. ولقاءات الحب صارت عصبية .. والجنس صار عصبياً .. والوطن صار طائرة جامبو لا يسمح لها أي مطار بالهبوط ..

المنطق الجمالي للأشياء انتهى .. فمن سلالات وليم شكسبير خرجت فرقة البيتلز .. ومن سلالات أبراهام لنكولن .. خرج مايكل جاكسون .. ومن جمهورية أفلاطون .. خرجت جمهوريات المباحث .

إن أكثر الشعراء العرب يولدون كأطفال الأنابيب في مختبرات الأنظمة .. وشعراء الأنابيب لا يعيشون طويلاً .. لأنهم يعينون بمرسوم حكومي .. ويحالون إلى المعاش بمرسوم حكومي ..

إنني أتصور أن زمن (الرسم بالكلمات) في إجازة .. فالثمانينات هي زمن اعتقال الكلمات .. أو زمن اغتيال الكلمات .. أو زمن خطف الكلمات ...

فكيف تريدني أن أرسم .. إذا كان شراء قلم رصاص من إحدى المكتبات .. يحتاج إلى ترخيص من وزارة الداخلية ؟ ...

كيف تريدني أن أكتب .. إذا كانت أصابعي لا تستطيع أن تتجول على ورقة الكتابة بعد الساعة السادسة مساء ؟ ...

*** إلى أي مدى استطاعت المفردة عندك أن تغطي مساحة الانفعال ، أن تكون صادقة مع ما تريد أنت قوله وإيصاله ؟ .**

ـ المفردة كجسد لغوي ، تاريخي ، قاموسي ، لا تعنيني ، ولا تشغل بالي كثيراً . ما يهمني هو المفردة التي تتساقط كالمطر من شفاه الناس .. وتضوع كالعرق من رائحة أجسادهم ..

أنا في سبيل القصيدة أستبيح كل شئ .. بما في ذلك اللغة .. لذلك تجدني أتسلل إلى المقاهي ، والسيارات العمومية ، والشوارع الخلفية ، والأسواق الشعبية المكتظة .. لأسمع اللغة بنقائها وفطرتها الأولى ...

ثم أحمل ثروتي الشعبية الفولكلورية إلى مكتبي .. وأشتغل على المواد الأولية التي جمعتها ..

هذه الطريقة ، أزالت الكلفة نهائياً بيني وبين من أكتب لهم .. وأدخلت شعري إلى شرائح اجتماعية لم يكن الشعر يشكل هماً من همومها ..

لقد استطعت أن أكسر جدار الخوف من الشعر .. واستطعت أن أشكل حزباً شعرياً من الأطفال لم يكن موجوداً من قبل ....

*** أنت شاعر التفاصيل الصغيرة (منافض السجائر ، والستائر ، والجرائد ، وأدوات الزينة ، والأزياء ، والعطور ، واللوحات ...) . كيف دخلت هذه**

التفاصيل إلى شعرك ؟ أتعتبرها (أكسسواراً) في عدتك الشعرية .. أم أنها في جوهر شعرك وقوامه ؟ ..

- إنني عاشق معاصر يعيش علاقاته العاطفية في المدينة .. لا (في الربع الخالي) ... وأريد أن أسألك هل هناك قصة حب في القرن العشرين تجري وقائعها على حجر .. أو فوق (خرابة) ؟ ...

ثم هل هناك امرأة في العالم ترضى أن تحبك .. أو تتزوجك .. في غرفة ليس فيها مرايا .. وموكيت .. ومنافض سجائر .. ولوحات .. وسرير من طراز لويس السادس عشر ... ومجلة (باري ماتش) ...

إن الحب (على الناشف) .. غير ممكن ..

والشعر (على الناشف) .. غير ممكن ..

والغزل (على الناشف) .. غير ممكن ..

فإذا كنتُ استعملتُ (الأكسسوارات) المعاصرة في شعري .. فلكي لا يحسبني الناس إذا جلست في المقهى .. الفرزدق .. أو الشنفري .... أو الشيخ شعراوي ...

*** عندما تفرغ من كتابة قصيدة ، هل تستطيع أن تعرف إذا ما كانت ناجحة أم لا ، وكيف ؟ هل حدث لك أن أعدت كتابة قصيدة قبل نشرها ؟**

- نعم .. بكل تأكيد .. فالحاسة السادسة عندي تنبئني بما سوف تثيره القصيدة من رياح وزلازل ....

وكما يعرف صانع البارود القوة التفجيرية لمفرقعاته .. فإنني أعرف بعد الممارسة والتجربة الطويلة ، القوة التفجيرية لقصائدي .

إنني أكتب القصيدة مرة واحدة .. ولا أعيد كتابتها قبل نشرها .

*** ((الشعر يتجه إلى الأبرياء . يعني إلى كل أولئك الذين إذا لم يجدوا ثوباً يلبسونه .. لبسوا القصيدة ..))**

يدفعنا كلامك هذا إلى التساؤل عن مفهومك للشعر ؟

- لا يزال مفهومي للشعر كما أعلنته عام 1948 ، وهو أن الشعر يجب أن يكون قماشاً شعبياً يلبسه الجميع ، ورغيفاً ساخناً بمتناول الجميع .. وحديقة مفتوحة لكل المواطنين ليلاً ونهاراً .

هذا الكلام يعني أنني لا أؤمن ببورجوازية الشعر .. وطبقيته .. وصالوناته المغلقة التي ترتادها الإنتليجنسيا ، والاحتكارات الثقافية .

الشعر انقلاب بالكلمات يحاول تغيير وجه العالم .. انقلاب يقوم به عاشق .. ليحول الأرض كلها إلى بستان للعشق .

الشعر خطاب إنساني يتوجه إلى (الآخر) .. ولا قيمة لشعر يخاطب الفراغ .. أو الملائكة .. أو يخاطب نفسه .

الشعر فعل رقي وحضارة ، وهو بطبيعته مع الشمس ضد العتمة .. ومع الوردة ضد المسدس .. ومع الليبرالية ضد القمع .. ومع الحب ضد الكراهية .. ومع المشنوق ضد حبل المشنقة ..

الشعر هو فعل استشهاد .. ونزيف متواصل على الورق . وعلى الشاعر الذي يخاف أن يجرح النسيم خديه .. أن يشتغل حلاقاً نسائياً .. أو يفتح بوتيكاً لبيع الألبسة الجاهزة ...

*** تعتبر أن المرأة أرض ثورية ، ووسيلة من وسائل التحرير .. هل يعني ذلك أنك تربط قضيتها بقضية تحرير المجتمع ككل ؟ ..**

ـ جسد الإنسان عندي ، هو أهم من الأرض ... بريطانيا احتلت نصف الكرة الأرضية ، ونصف شعوبها .. مئات السنين .. ثم انكفأت على نفسها .. وعادت لتشرب شاي الساعة الخامسة في فندق دورشستر ...

وما دام جسد المرأة عندنا محتلاً .. ومقهوراً .. ومستثمَراً لملايين السنين ... ولا يفكر المستعمر (بكسر الميم) بالجلاء ... فإن مجتمعنا سيبقى معاقاً .. وعاجزاً عن القيام بأي إنجاز حضاري .. لأنه مجتمع أعرج ...

مجتمعنا مجتمع (ديوك) .. تنفش ريشها ليلاً نهاراً .. وتظن أن الصباح لا يطلع من دونها ..

أما الدجاجات فهن مشغولات بأمور الحمل والولادة ... ولا وقت لديهن لدراسة قانون الأحوال المدنية .. والدخول إلى محاكم ، جميع قضاتها من الرجال ...

*** قلت مرة : ((إن الجنس هو صداعنا الكبير في هذه المنطقة ..)) ماذا تعني بذلك ؟ .**

ـ يعني أن مدير العمل في مكتبه ، والوزير في وزارته ، والطالب في جامعته ، والتلميذة في مدرستها .. والتاجر في متجره .. والزارع في حقله .. والعالم في مختبره .. والجالسين على مقاهي الرصيف .. كل هؤلاء واقعون تحت سلطان الجنس الآخر .. بمعنى أن الجنس يأكل نصف ساعات العمل ، ونصف الدخل القومي لشعوبنا .. ولا يسمح لنا بالتركيز على بحث من الأبحاث .. أو دراسة من الدراسات ...

حتى المرضى عندنا لديهم ضعف عاطفي نحو ممرضاتهم .. والمسافرون على الطائرات الأجنبية يضيعون توازنهم أما مضيفة الطائرة الشقراء .. وأساتذة الجامعة لديهم نقطة ضعف أمام الطالبة الجميلة ... وحتى ضباطنا لديهم حنان عجيب على المجندات .. والمتطوعات ..

وباختصار إن مرض الـ (سيكسومانيا) عندنا منتشر عند الكبار والصغار .. والسلاطين والرعايا .. والوزراء والبسطاء . والمطلوب منا أن نتعاون جميعاً على قتل الوحش ...

*** المرأة التي كتب عنها نزار قباني ، هل هي واقعية ، أم هي متخيلة ؟ ما نسبة وجودها في الواقع ؟**

- 95 بالمئة من نسائي من لحم ودم .. و 5 بالمئة فقط ملح .. وفلفل .. وبهار ... وهذه التوابل لا بد منها في طبخة الشعر .. لأن الطبخ بدون قرفة ويانسون وفلفل أحمر .. لا يُبلَــع ...

لم أمارس أبداً (الحب) بالنظارات .. ولا (الجنس) بالنظارات .. فلكي تكتب عن الحرب لا بد أن تحارب .. ولكي تكتب عن النهد لا بد أن تعرف شيئاً عن تاريخ التفاح .. وعن كروية الأرض .. ولكي تكتب عن أصابع امرأة .. لا بد أن تعرف شيئاً عن صناعة الحرير الدمشقي .. وأخيراً لكي تتحدث عن تفاصيل العشق .. لا بد أن تموت عشقاً ...

*** خرجتَ في شعرك عن النموذج الشعري العام في الغزل العربي ، حيث إن المرأة ، في أغلب الأحيان ، واحدة بينما نساؤك كثر ؟ ..**

- لا يوجد في الشعر العربي إلا امرأة واحدة تتكرر .. صدراً .. وقواماً .. وردفاً .. وخصراً .. وباستثناء عمر بن أبي ربيعة فإن كل النساء المتغزل بهن طلعن من الآلة الناسخة ...

أعترف (بتعددية) النساء في شعري ؛ ولكن من أجل الفن .. لا بدافع الشهريارية . فأنا بطبيعتي كرجل ، أركز على امرأة واحدة ، وأحب السكون إلى امرأة واحدة .. أما بطبيعتي كفنان فإنني أطمح لتصوير كل نساء العالم .. لأنني لا أستطيع أن أقيم معرضاً لرسومي .. وليس لديّ سوى (موديل) واحد أقدمه للزائرين ...

قد تكون (عيون إلزا) رائعة .. ولكن من أي شئ تشكو عيون صوفيا لورين .. وميلينا ميركوري .. والطيبة الذكر غريتا غاربو ؟؟

*** ما العلاقة التي تربطك ببعض الشعراء العرب ، جميل بن معمر ، وعمر بن أبي ربيعة ، وأبي نواس ؟ بين الشعر الذي ينحت في الغزل العذري ، وذلك الذي ينحت في الغزل الحسي والإباحي ؟**

- الشعراء الذين ذكرتهم ليسوا من العائلة .. وعلاقتي بهم كانت أيام الدراسة ، ثم افترقنا .. ولم نلتق مرة أخرى .

الشعر العذري هو (حركة محرومين) ... والشعر الحسي هو (حركة هيبيين) .. وأنا لا أفهم ماذا تعني كلمة (إباحية) إذا كانت بلدية روما وفلورنسا وباريس .. تعتبر تماثيل البرونز والحجر لفينوس العارية .. أهم من جميع الأمكنة المقدسة ...

إن الكتابة عن جسد المرأة الجميلة ليست فضيحة .. ولكن الكتابة عن وجه الخليفة الذي يشبه ليلة القدر ... وقامته التي تشبه قامة السيف .. ولحيته المخضبة بالمسك .. والكافور .. هي فضيحة الفضائح ...

* ((قاموس العاشقين) عنوان إحدى مجموعاتك الشعرية . ومن يقول ((قاموس)) يقول ((معادلات ثابتة)) .

هل يمكن التوصل إلى معادلات ثابتة من خلال الشعر ، خصوصاً إذا كان موضوع الشعر هو الحب ؟ ..

- أنا لستُ أول من حلم بكتابة قاموس للعشق .. فقد سبقني ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة) إلى ذلك .. كما سبقني أوفيد في كتابة (فن الحب) ... إلى المحاولة ...

إن وضع قواعد ثابتة للحب ، على صعوبته أمر ممكن .. فالغيرة على المحبوب ، والأرق لفراقه ، والوقوف طوال الليل تحت نافذته ، والخوف عليه من العاذلين ، وإعطاؤه أوصافاً غير بشرية .. وتسارع ضربات القلب ، والشحوب ، والمرض ، والانتحار .. وقتل المحبوب من فرط العشق .. ابتداء من عطيل .. إلى ديك الجن الحمصي .. كل هذه الملامح والظواهر الغرامية يمكن رصدها .. ومتابعتها .. وتسجيلها .. تماماً كما يحدث في الطب النفسي ...

لكن .. رغم ما كتبه المسافرون في بحر العشق .. فإنهم لم يكتشفوا كل شواطئه .. وجزره المرجانية .. ولم يعرفوا أسماء القتلى الذين ابتلعتهم أعماقه ...

* عملك في السلك الدبلوماسي زهاء عشرين عاماً ، كان دافعاً لزيارة العديد من المدن : القاهرة ، لندن ، بكين ، مدريد .. عواصم نجد صدى لها في كتاباتك . ما هي علاقتك بالمدن ؟ ..

- المدن كالنساء كل واحدة لها شخصيتها ، ورائحتها ، ومذاقها . فهناك مدن خرساء .. ومدن ثرثارة .. ومدن هادئة .. ومدن عصبية .. ومدن طيبة .. ومدن شريرة .. ومدن طاهرة .. ومدن عاهرة .. ومدن تقرأ كتب الشعر ، ومدن لا تقرأ إلا نشرات البورصة .. ومدن تعبد عيسى بن مريم .. ومدن تعبد مايكل جاكسون ...

وأنا أقيِّم المدن بكمية المادة الشعرية التي تقدمها لي .. فهناك مدن كانت تشعل في داخلي حرائق الشعر كل يوم .. وهناك مدن حاصرت قلبي وأصابعي بجبال من الصقيع ..

لندن أعطتني شعراً كثيراً .. وكذلك مدريد وبيروت ودمشق .. لندن أعطتني واحداً من أفضل كتبي وهو (قصائد) .. ومدريد أعطتني واحداً من أعنف كتبي وهو (الرسم بالكلمات) .. ودمشق أعطتني (قالت لي السمراء) و (أنتِ لي) و (حبيبتي) .. وبيروت أعطتني (قصائد متوحشة) و (كتاب الحب) و (قاموس العاشقين) و (قصيدة بلقيس) ...

المدينة التي تحرضني على كتابة الشعر .. أعود إليها دائماً .. وأسأل عنها .. وتسأل عني .. أما المدن التي تحاصرني بثقافة البيتزا ... والهامبرغر ... وموسيقى الديسكو .. فلا أعود إليها أبداً ...

*** أنتَ تؤنث المكان . ((إلى بيروت الأنثى)) تقول . وكابن عربي تعتبر أن المكان غير المؤنث لا يُعوَّل عليه . لماذا ؟**

- لأنني أعتبر أن العالم كله أنثى .. بما في ذلك الرجل ... وأنا مع محيي الدين بن عربي مئة في المئة .. في أن المكان غير المؤنث لا يعول عليه ..

فحيث يكون الذكور .. تكون الأرض مالحة .. ويحل الجفاف .. وتكثر المجاعات .. ويموت الشجر .. وتهرب العصافير .. وتنشف الأنهار .. وتزاد نسبة التلوث ... وتشتعل الحروب .. وتتكرر (الهيروشيمات) ...

وحيث تكون المرأة .. يكون الخصب .. والنماء .. ويخضر الشجر .. وترتفع السنابل .. ويمتلئ العالم بالورد .. والقمح .. والأطفال ..

حيث تكون المرأة تفيض أنهار الحنان ..

وتتكاثر ذرية النجوم .. وذرية القصائد ...

*** وتقول أيضاً ((يا ست الدنيا يا بيروت)) .. ترى ما هي علاقتك بهذا المكان - الأنثى ؟**

- بيروت بللتني بأمطار الشعر من رأسي إلى قدميّ .. وأعطتني زوادة من التجارب الشعرية لا أزال آكل منها كلما داهمني الجوع والعطش ...

إنني لا أقارن بيروت بأي مدينة أخرى .. فهي في كفة .. وكل نساء العالم في الكفة الثانية ...

لقد تربيت على يدي بيروت شعرياً وذوقياً وحضارياً ... فإذا سميتـُها (ست الدنيا) ، فإن الاسم قليل عليها ...

إن وجودي في أي مكان في العالم (ترانزيت) وهو لا يلغي بيروت ... من خريطة القلب .. ولسوف أعود إلى بيروت على أول خشبة طافية على وجه الماء ... عندما تنهض بيروت من قيلولتها ....

*** عام 1985 ، صرحتَ بأنك ترفض البقاء داخل قارورة الحب والمرأة . قبلها بسنوات قلت : ((إنني أعتبر نفسي مسؤولاً عن المرأة حتى الموت)) . كيف تفسر هذا التناقض ؟**

ـ عندما أطلقتُ تصريحي الأول ، كنتُ أريد أن أدافع عن نفسي ضد من كانوا يسمونني (شاعر المرأة) فقط ... ويحسبونني في زنزانة طولها متر .. وعرضها متر .. ويختمون بابها بالشمع الأحمر ..

كنت أضيق بهذه الدوائر التي ترسمها الصحافة حولي .. وأضجر من هذه الأقفاص الذهبية التي يضعونني فيها ...

كنتُ أريد أن أكون شاعراً فقط .. أي بدون ألقاب .. وبدون أكسسوارات .. ودون أن أكون مادة للإعلانات المبوبة .

أما الدفاع عن المرأة فقد قمت به على أحسن وجه على مدى أربعين عاماً .. وأعتقد أن المرأة قد أصبحت بالغة ، عاقلة ، وراشدة ، للتولى الدفاع عن نفسها بنفسها ...

طبعاً .. أنا لم أتخل عن المرأة نهائياً .. ولكنني أعتقد أنني أستحق إجازة طويلة ...

وعلى المرأة ـ خلال غيابي ـ أن تقلع شوكها بأظافرها .

* بدأت تكتب الشعر السياسي منذ عام 1967 مع ((هوامش على دفتر النكسة)) . فهل تعتبر أن اهتمامك السياسي يقلل من اهتمامك بالمرأة أم أنه يسير في خط موازٍ له ؟

ـ أنا لا أضع خطاً بين كتاباتي عن المرأة .. وكتاباتي عن الوطن .. فكل ما أكتبه يستهدف التغيير .. والتحرير .. وقد فسرت هذا في إحدى قصائدي القصيرة :

كلما غنيتُ باسم امرأة ..

أسقطوا قوميتي عني وقالوا :

كيف لا تكتب شعراً للوطن ؟

وهل المرأة شئ آخر غير الوطن ؟ ..

آه .. لو يدرك من يقرؤني

أن ما أكتبه في الحب ...

مكتوب لتحرير الوطن ...

* هل صحيح أن المرأة بالنسبة إليك ((موقف من المواقف)) .. ((ميناء من الموانئ)) فقط ...

ـ ليس من مصلحة المرأة .. ولا من مصلحة الشعر .. أن تتحول المرأة إلى (لصقة أميركانية) ... أو تمثال من الشمع في متحف (مدام توسو) ....

خير لها أن تكون غمامة عابرة .. وحمامة مسافرة .. وبرقاً مشتعلاً ... من أن تكون مقعداً جلدياً في غرفة الجلوس .. أو سجادة أثرية ينفضونها مرة في السنة ...

إن المرأة الذكية هي التي تخبئ في عينيها ملايين الأسئلة .. وتترك للرجل أن يبحث عن الأجوبة ..

فالرجل يهتم لا بالقطارات التي أتت .. ولكن بالقطارات التي سوف تأتي ...

*** في كل يوم ينبت في عينيك حلم ... ما آخر أحلامك : ديوان شعر ؟ امرأة ؟ أم عودة إلى بيروت ؟**

ـ عودة إلى بيروت ... ومعي ديوان شعر ...

*** كلمة أخيرة يوجهها نزار قباني الذي أصبح شعره جزءاً من حضور المرأة العربية ؟**

- أنا لا أتعاطى النصائح .. ولا الحكم المأثورة .. ولا أسمح لنفسي برسم الخطوط العريضة لحياة أي امرأة ...

كل ما أطلبه من المرأة العربية أن تهرب من بيت الدمى والعرائس .. فالرجل يحب أن يقتني الدمى .. ولكنه لا يلبث أن يكسرها ...

الشئ الوحيد الذي لا يستطيع الرجل أن يكسره في المرأة هو عقلها .. وثقافتها ، وعنفوانها ...

الرجل بطبعه لاعب محترف .. ولكنه لا يستطيع أبداً أن يخترق دفاعات امرأة تستعمل عقلها جيداً ...

إن المعركة مع الرجل لا تربحها الحلي ، والأزياء والعطور ، وخواتم البلاتين ، ومعاطف المينك .. ولكن الذي يربحها ، هو انتقال المرأة من مرحلة (أمرك سيدي) .. إلى مرحلة الصمود والتصدي .. ومن مرحلة التطبيع مع الرجل المستعمر (بكسر الميم) .. إلى مرحلة المقاومة ....

حوار مع الأستاذ عبده وازن - جريدة النهار اللبنانية - بتاريخ 1988/7/12

*** الإقبال ((الجماهيري)) على شعرك يزداد يوماً فآخر ، وكأن شعرك لا يزال مثار اهتمام الجمهور العريض على مر الزمان : كيف تنظر إلى هذه الظاهرة اليوم ؟ هل ((الإقبال)) هذا هو استحقاق فعلي ، أم أن الشعر يكمن في ما هو أبعد ؟**

- لا يوجد في الشعر (ما هو أبعد) . فالأبعد هو من علم الفلسفة والميتافيزيك ، والسحر ، وفن استحضار الأرواح .

الشعر هو كيمياء الإنسان لا كيمياء الملائكة ، وأنا شاعر أتعاطى مع البني آدميين لا الملائكة . أشاركهم خبزهم ، وقهوتهم ، وحزنهم ، وفرحهم ، وضجرهم ، ودموعهم ، وصراخهم اليومي من أجل الحصول على كسرة خبز .. أو كسرة حرية ..

أنا أخاطب الناس الجالسين على أرصفة الحزن ، لا الناس الجالسين على رفوف الكتب .. أخاطب الناس المصنوعين من أعصاب ، وأنسجة ، ولحم بشري محترق .. لا الناس المصنوعين من زبدة .. وحرير .. وسيراميك ...

أخاطب الصعاليك لا الملوك .. والدراويش لا الأباطرة .. وتلاميذ المدارس ، لا أساتذة الصرف والنحو ... والأطفال الذين لم يرضعوا حليب هذا العصر الملوث ...

ليست لديَّ القدرة على التنظير .. ولا على التحشيش الثقافي .. ولا على تعاطي المخدرات التجريدية .

أنا ضد الأقليات الشعرية ، وليس لديَّ الوقت لأخاطب عشرة أشخاص ونصف .. يستمعون إلى الشعر كأنهم جالسون على كرسي حكيم أسنان ...

أنا شاعر من هذا العالم الثالث .. أو الثالث عشر ... ولديَّ من مخزون الدموع ما يكفي لملء عشرة بحور .. فهل تريدني أن أدير ظهري للجماهير العربية (المعترة) وآكل الفريز بالكريم شانتي ...

إن إقبال الناس على أمسية شعرية هو مؤشر نفسي واجتماعي وثقافي خطير ، والذين يستهينون بهذا المؤشر أو يسخرون منه ، لا يعرفون شيئاً عن وظيفة الشعر .. ولا عن وظيفة الثقافة ..

الثقافة ليس مكانها في أنابيب الاختبار ... وإنما مكانها في الأمكنة العامة .. والهواء الطلق ..

إنني ضد أطفال الأنابيب .. وقصائد الأنابيب .. وشعراء الأنابيب .. وأفضل أن أولد ولادة طبيعية من رحم الشوارع العربية المكتظة بالخوف ، والقمع ، والاستبداد ، والجوع ، والعطش ، والسعال ، على أن أولد في قاعات المجامع اللغوية ، والأكاديميات ، وسرير ماري أنطوانيت ...

جماهيريتي ، ليست تهمة أدفعها عن نفسي ..

ولا جريمة أحاول أن أتبرأ منها ..

إنها وسامي .. ووردتي .. وجائزتي الكبرى التي حصلت عليها باستفتاء شعبي ديمقراطي .. دون تدخل من مراكز القوى ، أو أجهزة المخابرات ....

*** يبرز لديك حب جمهورك ، وكأنك حين تكتب لا تنغلق على نفسك بل تفكر قليلاً أو كثيراً (لست أدري) بجمهورك الذي يتوزع قصائدك كالخبز .. ما رأيك ؟**

ـ أنا جزء من الوجع العام ، وسمكة من الأسماك التي تعوم في بحر من الأسئلة .. والزلازل السياسية والاجتماعية ، والقلق العربي العام .

الورقة التي أكتب عليها ليست ورقة بيضاء ..

ولكنها ورقة ترتسم عليها ملايين العيون العربية ..

فكيف تريدني أن أهرب من هذه العيون ، وهي تسبح في دورتي الدموية ؟؟

إنني لا أكتب كي أسترضي ، أو أجامل ، أو أطلب مرضاة الشارع العام ... فضوضاء الشارع العام تخرج من داخلي .. والبكاء العام يمطر من عيوني .. والقلق العام هو جزء من قلقي ..

وبعبارة أخرى ، ليس هناك أوامر خارجية أنصاع لها .. وليس هناك سلطة في العالم تستطيع أن تجبرني على كتابة قصيدة لا أريد كتابتها ..

كل شئ يحدث على ورقة الكتابة بشكل تلقائي ... وكل قصائدي تتفجر دون تخطيط مسبق ...

إنني في الشعر لا أكتب على طريقة (ما يطلبه المستمعون) .. ولا أشتغل مضارباً في بورصة الشعر .. ولا أفصِّل قصائدي حسب متطلبات السوق ...

أنا جزء من حركة التاريخ السياسي والقومي والعاطفي في هذه المنطقة ، ومن مسؤولياتي كشاعر أن أغطي بشعري هموم البشر ، وحركة التاريخ ، وإلا تحولت إلى متسول شعر ...

*** هل ((الإقبال)) يرسخ الشعر والشاعر ، أم أنه مجرد ظاهرة لا يلبث أن يهددها التاريخ الذي ليس سوى الناقد الوحيد والغربال الذي ((يجوجل)) الزمن ؟**

ـ عندما يقبل الناس على قراءة شاعر خلال فترة خمسين عاماً ، فهذا يعني أن هذا الشاعر استطاع أن يكون خلال هذه الحقبة وجدان أمته وضميرها وصوتها . إن (الإقبال) على قراءة شاعر ليس ظاهرة عبثية ، أو مجانية ، أو تهريجية .

فالتهريج في الفن عمره قصير .. والتهريج في الشعر عمره أقصر .

وحين يعجز شاعر عن أن يكون الناطق الرسمي باسم عصره .. فأكيد أنه لن يكون الناطق باسم أي عصر آخر ..

أما التاريخ فهو أذكى مما تتصور .. وأقدر على حفظ الشعر الجيد مما تتصور .. فالتاريخ هو شيخ الناقدين .

وعندما يأتي دور (الجوجلة) .. فلن يبقى في الغربال سوى من عصم ربك .. ولن ينجو من الغربلة سوى الشعراء الذين التحم جسدهم بجسد أمتهم ، واختلطت دماؤهم بدماء شعوبهم . أما الشعراء الذين كانوا يبيضون بيوضهم السريالية في زوايا المقاهي المظلمة ، فلن يبقى منهم أحد في الغربال ....

*** الشعراء الكبار في العالم كانوا وحيدين . عاشوا في عزلة ، وماتوا في عزلة ، ولم يعرفوا أي نجاح جماهيري . وأذكر على سبيل المثال بودلير ، رامبو ، مالارميه ، فاليري ، ريلكه ...**

كيف ترى إلى اختلافك عنهم ، وإلى شعريتك وخصائصها ، وارتباطها بالجمهور ؟

ـ كل شاعر له طريقة في العيش ، وطريقة في السلوك ..

فإذا كان بودلير (عصابياً) .. وكان رامبو تاجر رقيق أبيض .. ومتهماً بعلاقته الشاذة مع فيرلين .. وكافكا كان مأزوماً نفسياً ... وعروة بن الورد كان صعلوكاً .. وتأبط شراً كان قاطع طريق .. وديك الجن الحمصي كان شاعراً انتحارياً ... فليس من الضروري اتخاذ هؤلاء مقياساً للإبداع الشعري .. أو اعتبار العزلة والانطوائية قاعدة عامة للعظمة في الشعر .

ففي مقابل هؤلاء .. كان هناك شعراء وكتاب وروائيون أتقنوا فن العلاقات العامة ، وتميزوا بحس اجتماعي مدهش ، كأبي نواس ، وعمر بن أبي ربيعة ، وأبي الطيب المتنبي ، وأوسكار وايلد ، وإرنست همينغواي ، و ت. إس . إيليوت ، وألبرتو مورافيا ، وغابرييل ماركيث ... وجان كوكتو .. وبول إيلوار ...

وفي عصر الأقمار الصناعية ، والصواريخ العابرة للقارات ، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية .. لم يعد بوسع أي شاعر أن يبقى مختبئاً تحت اللحاف .. ومعتقلاً نفسه بين الجدران الأربعة ..

إن القصيدة المعاصرة في نظري ، يجب أن تستفيد من كل تقنيات الحضارة الحديثة من صوت ، وصورة ، وأشعة ليزر .. كما يجب أن تسافر هي إلى العالم ، لا أن تنتظر العالم حتى يجئ إليها ....

إن مرحلة زهير بن أبي سلمى ، وبيضة الديك التي كان يبيضها كل عام قد انتهت ... وعلى القصيدة العربية الآن أن تركب طائرة الكونكورد ... لأن ظهر الناقة لا يوصل إلى أي مكان .

*** ألا يدفع (التكريس) إلى شئ من التنازل على حساب الشعر والقصيدة ؟ في معنى أن الشعر يصبح أسير جمهوره ، وتضحى العملية الشعرية رهن الذوق العام .**

- أنا لا أتنازل عن حريتي الشعرية إلا لخالقي . ولا أدري لماذا تتصورون دائماً أن الجمهور غول يبتلع كل المشاهير .. والنجوم ..

الجمهور ليس غولاً .. ولا حوتاً .. ولا تمساحاً .. ولكنه مرآة يرى الشاعر فيها وجهه .. وبوصلة تحميه من الضياع ... وبطانية الصوف التي يلتف بها الشاعر حتى لا يموت من البرد ...

الجمهور هو صديقي .. ولم أشعر في يوم من الأيام أنه يتدخل في شؤوني الخصوصية ... أو يراقب أصابعي وهي تتحرك على الورق .. أو يفرض عليَّ قانون الأحكام العرفية ...

الجمهور هو حريتي وليس معتقلي ....

هو قوتي .. وليس ضعفي ..

هو حبيبي .. وليس سيدي ..

*** تحدثت كثيراً عن المرأة ، وكتبت لها ، وكتبت عنها ، وأصبحت امرأتك (أو بالأحرى نساؤك) امرأتنا جميعاً في فترة ما (أو نساءنا جميعاً) .**

هل تعتقد أن الشاعر يكتب عن امرأة واحدة ، عن حبيبة واحدة ، أم أنه يكتب عن امرأة في المطلق ، عن امرأة يبحث عنها ولا يجدها ؟

ـ المرأة التي أحبها تصبح جميع نساء العالم . هذه هي معجزة العشق التي لا معجزة أكبر منها .

العشق يعجن كل نساء العالم في امرأة واحدة .. يجعل كل الشفاه بلون واحد ... وكل الخصور بمقياس واحد .. وكل النهود بحجم واحد .. هو حجم نهد الحبيبة ..

لذلك ، أسعدني أن تقول لي أن امرأتي أصبحت امرأتك أيضاً .. ونسائي أصبحن نساءك ..

وطبعاً .. أنا لا أشعر بالغيرة من مشاركتك الشعرية في حبيباتي ... طالما أن هذه المشاركة بقيت على الورق .. ولم تنتقل إلى السرير ...

أما الكتابة عن امرأة في المطلق ، فلم أقترفها في حياتي ، لأنني بحاجة إلى مواد أولية أشتغل عليها ... فالرسم بدون فرشاة وألوان مستحيل .. والنحت بدون حجر أو برونز مستحيل .. والموسيقى بدون نوتة مستحيلة ... والطبخ بدون فحم وحطب .. مستحيل ...

*** إذا وجد الشاعر حبيبته ، هل يهجرها ؟ وإذا كتب عنها هل تراها تنطفئ في عينيه ؟ وهل تحد امرأة واحدة شاعراً ...**

ـ العلاقة مع المرأة دقيقة جداً . وسريعة العطب جداً .

والشاعر لا يهجر امرأة إلا عندما تتوقف عن إحداث الدهشة ، وتتحول إلى بلاطة ...

المرأة ، بالنسبة للشاعر ، هي مولد كهرباء .. فطالما ظل هذا المولد شغالاً ، وقادراً على توزيع الضوء والحرارة في أطراف الشاعر ، وفي فكره ، وأحلامه .. فإن المرأة تبقى على قيد الحياة .. والقصيدة تبقى على قيد الحياة ...

المرأة لا تنطفئ في عيني الشاعر ، إلا إذا دخلت في التكرار .. والتشابه .. وتحولت إلى شريط تسجيل ...

أما المرأة الواحدة فهي لا تحد الشاعر إذا كانت في كل لحظة قادرة على إشعال الزمن ، واختراع البروق ..

ومثال أراغون مع إلزا تريوليه شهادة ناصعة على أن امرأة واحدة تستطيع أن توجز جميع نساء العالم .

*** كتبت في أواخر ما كتبت نصاً مسرحياً عن لبنان الحرب بعنوان (جمهورية جنونستان) . ولعله النص المسرحي الوحيد الذي كتبته .**

كيف تحدد علاقتك كشاعر بالكتابة المسرحية ؟

- (جمهورية جنونستان) نص مسرحي ، لا أعرف كيف صدر عني .. ولا أعرف قيمته المسرحية . كل ما في الأمر أنني مللت من الصراخ بصوت واحد .. وأردت أن أجرب الصراخ بعدة أصوات ...

*** نصك المسرحي لا يتخلى عن لحظة الشعر كلغة وموقف ، على الرغم من شحنات السخرية والنقد اللاذع التي يحتويها . ما الذي دفعك إلى كتابة هذا النص : عبثية الحرب اللبنانية ، أم النوع الدرامي الذي تخوضه للمرة الأولى ؟ ؟**

- الواقع أنني بعد أن أصدرت كتابي (إلى بيروت الأنثى مع حبي) ... الذي كان مجموعة من المراثي لمدينة بيروت ... شعرت أنه لا بد لي من الخروج من المرحلة (الكربلائية) .. و (الخنسائية) ... ومرحلة الوقوف على أطلال ساحة البرج .. والأسواق التجارية ...

فقررت أن أكتب نصاً مغايراً ، يبتعد عن الشعر ، ويدخل في لحم المشكلة . أردت أن أقول رأيي في هذه الحرب التي لا عقل لها .. والتي سرقت منا ، أجمل مساحة للحرية أتيحت لنا في حياتنا كشعراء . وهي مدينة بيروت ...

بعد بيروت .. تفككت مفاصل الشعر .. وتفككت مفاصل الحرية .. وتفككت مفاصلنا ... وإذا كنا لا نزال نكتب حتى الآن .. فنحن نكتب بقوة الاستمرار ، ونأكل من هذا المخزون الشعري العظيم .. الذي وضعناه في حقائبنا قبل الرحيل عن شواطئ لبنان .

كنت أريد وأنا أكتب المسرحية أن أبتعد قدر الإمكان عن الشعر .. ولكنني وجدت نفسي غصباً عني في أحضان الشعر .... فلا تؤاخذوني ....

* لبنان في ذاكرتك دوماً ، وفي قلبك . وبيروت هي وردة شعرك السياسي حين غنيتها (يا ست الدنيا يا بيروت) .

ماذا يعني لك لبنان وبيروت ؟ وهل يمكن أن يغترب لبنان وتنطفئ بيروت في هذا الزمن العربي ؟

- بيروت علمتنا القراءة .. والكتابة .. وبعدها دخلنا مرحلة الأمية .

هذه هي شهادتي النهائية في هذه المدينة العظيمة ...

فأرجو أن تغلقوا المحضر ....

منذ شهرين ذهبت إلى بيروت لأطبع مجموعتيَّ الشعريتين الجديدتين (تزوجتك أيتها الحرية) و (ثلاثية أطفال الحجارة) .

دخلتُ إلى المطبعة ، فسمعت موسيقى الآلات الطابعة ، وشممت رائحة الحبر .. واغتسلت ببياض الورق .. وعانقت أصدقائي العمال واحداً واحداً ... ودخلت في نوبة بكاء ...

إذن .. لا أحد يستطيع أن يسرق بيروت منا ..

لا أحد يستطيع أن يطفئ قناديلها ، ويغتال حضارتها .

لا أحد يستطيع أن يلغي زرقة البحر .. وسمفونية المطابع ...

لا أحد يستطيع أن ينهي سلالة العصافير ....

*** ((ثلاثية أطفال الحجارة)) قصائد غنائية تحتفل بالحدث التاريخي الذي فضح مرحلة الهوان العربي . وأنت اتخذت موقفاً اتهامياً واضحاً من الواقع الردئ الذي تعانيه الأمة العربية ، وفضحت عبر غنائك تخاذلنا**

العربي وجمودنا . كيف تنظر إلى هذه القضية ؟ وهل يستطيع الشعر أن يحتوي هذا الحدث ، أم أن الحدث يصنعه ؟

- ((أطفال الحجارة)) لم يقلبوا طاولة السياسة العربية فقط .. وإنما قلبوا طاولة الشعر العربي أيضاً . أخرجوا الشارع العربي ، والخطاب الشعري العربي من حالة (الكوما) - الغيبوبة - .. ومن (غرفة العناية الفائقة) .. ورشونا بخراطيم المياه ...

والحقيقة أن ((أطفال الحجارة)) (بهدلونا) .. لأننا كنا في الواقع نستحق (البهدلة) ..

كنا قبلهم نتعاطى (القات السياسي) .. والفاليوم .. وحشيشة الكيف .. وحين جاؤوا صادروا منا (أدوات الغيبوبة) .. وألبسونا الملابس الكاكية .. ووضعونا في شاحنة عسكرية .. وأرسلونا إلى الجبهة ..

((أطفال الحجارة)) قطعوا إجازات جميع الشعراء العرب .. ودعوهم إلى التجنيد الإجباري .. وبالنسبة لي قطعوا لي إجازتي السويسرية . وأرسلوني إلى الخطوط الأمامية . ولم يكن أمامي خيارات كثيرة .. كان عليَّ أن أكون معهم .. أو أن أكون ضد الشعر .

وهكذا ترى أن الحدث هو الذي يستدعي القصيدة .. وليست القصيدة هي التي تستدعي الحدث ...

فالشاعر ، بحاجة إلى ((خضة ما)) تغير فصيلة دمه .. وأعتقد أن ثورة أطفال الحجارة غيرت تركيب دمنا ...

*** إثر مرحلة طويلة من الكتابة الشعرية ، ومعانقة الكلمات . هل يعتقد نزار قباني أنه استطاع أن يقول كل ما يطمح أن يقوله ؟ وهل يستطيع الشاعر أن يقول كل ما يحلم بقوله ؟**

ـ الشعر هو عملية استشهاد على الورق من طراز أول .. وليس نزهة في ضوء القمر .. أو استلقاء على كرسي هزاز ..

الشعر بحاجة دائماً إلى شعراء انتحاريين .. أما الشعراء الذين يكتبون .. بنصف أصابعهم .. أو بربع أصابعهم .. أو يطالبون بالتأمين على رؤوسهم .. فخير لهم أن يستقيلوا من الشعر ..

لقد استطاع الشعر في كل العصور أن يقول كلمته ، رغم كل أساليب القمع والقهر وغسيل الدماغ ..

ومهما كان عدد السيافين كبيراً .. فإن عدد الشعراء أكبر ... ومهما تكاثر الصيادون .. فإن العصافير تتناسل بسرعة خرافية ..

أما أنا ، فأتصور أنني قلت كل ما عندي ، ولم أخبئ في جواريري قصيدة واحدة لم أدفعها إلى النشر .. فأنا لا أؤمن بالشعر الباطني .. ولا بشعراء الباطنية ...

*** لو سألتك : أي كتاب هو الأقرب إليك ، فماذا تجيبني ؟**

- الكتاب الأخير .. حتى يولد شقيق آخر له ...

*** نزار قباني ، حالة وسطى بين الحداثة الشعرية والتراثية ، بين الكتابة النرجسية الخاصة ، والعطاء الوجداني المنفتح على هموم الناس ، كيف ترى إلى هذه العلاقة التي تربط لديك الحداثة بالناس العاديين ، خصوصاً وأنك الوحيد الذي استطاع أن يطل على الناس من داخل المعاصَرَة ، فكان شعره جسراً حقيقياً بين الماضي والحاضر .. بين الحداثة والجماهير ..**

- هل من الضروري أن تكون الحداثة ضد الجماهير حتى تكون حداثة ؟ إن الذين يقولون هذا الكلام يسيئون كثيراً إلى الحداثة .. ويضعونها في المحجر الصحي (الكرنتينا) .. ويمنعونها من الاختلاط بالناس .

لقد أسعدتني حقاً حين قلت عن شعري إنه جسر يربط بين الماضي والحاضر .. بين الحداثة والجماهير ...

والحقيقة أنني أعتبر هذا الكلام مكافأتي وجائزتي الكبرى .. فالشعر هو همزة وصل .. لا همزة قطع ... وإذا استطعتً بشعري أن أجعل مئتي مليون عربي يتناولون الشعر مع وجبات إفطارهم .. ويحتسونه مع فناجين القهوة ... فأكون بذلك قد خدمتُ الحداثة ومنحتها الشرعية ، وانتزعتُ الاعتراف الشعبي بها ...

* دوماً ، في شعرك نبرة اتهامية تفضح عبرها الواقع ، وتحاول أن تغيره : هل برأيك يستطيع الشاعر أن يغير العالم ، أم أن شعره يظل مجرد شعر ، ومجرد كلمات ؟ ..

- بكل تأكيد يستطيع الشاعر أن يغير العالم ، إذا كانت لديه إرادة التغيير ..

إن أمسية شعرية يقدمها شاعر ... تترك حفراً .. وشقوقاً .. وأخاديد في أجساد الناس . وكلمات الشاعر لا تتلاشى في الهواء كفقاعات الصابون .. ولكنها تتجمع في وجدان الجماهير كالمياه الجوفية ..

صحيح ، أن التغييرات التي يحدثها الشعر بطيئة .. بالنسبة لسرعة الرصاصة .. أو سرعة القذيفة .. أو سرعة الصواريخ العابرة للقارات ... ولكن أسلوب الشعر في التغيير يشبه أسلوب قطرات الماء الصغيرة التي تتجمع .. وتتجمع .. وتتجمع .. حتى تصنع الطوفان .

* يقول البعض أن قصائد كثيرة لديك يشبه بعضها بعضاً .. ويقول آخرون إنك وقعت أحياناً في التكرار .. كيف ترد على هذه الآراء ؟ وكيف برأيك يتجدد الشاعر وشعره ..

- كل شاعر ، أو رسام ، أو موسيقي له صيغة يكتب أو يرسم أو يؤلف بها . وهذا ما يعرف بالهوية الفنية . شيكسبير كان له صيغته ، والمتنبي كان له صيغته .. وأبو نواس كان له صيغته ، وكذلك بيتهوفن ، وموزارت ، ورينوار ، وفان كوخ ، وبيكاسو ، ودالي ..

كل هؤلاء احتفظوا في كل إنتاجهم بهذه الهوية التي رافقتهم طوال حياتهم ، وعُرفت بهم وعُرفوا بها ... فإذا كان هذا هو المقصود من تهمة التكرار .. فإنني أتصور أن الشاعر لا يمكنه أن يلبس كل يوم بدلة فاضحة الألوان ، كلاعبي السيرك ، لأنه لو فعل .. سيكون مضحكاً .

جمهورية الحب العربية المتحدة

المقدمة التي افتتح بها الشاعر أمسيته الشعرية في معرض الكتاب الدولي في القاهرة بتاريخ 1987/1/29 .

يدخل الشعراء العرب إلى مصر ، ليعلنوا قيام جمهورية الحب العربية في وجه جمهوريات الحقد ، والقبح ، والبغضاء .

يدخلونها ، من بوابة الشعر ، ليؤسسوا وطن القصائد ، بعدما فشل السياسيون العرب في تأسيس وطن بحجم البعوضة ... أو بحجم قرص الأسبرين ...

يدخلونها من بابها العربي المرصع بأسماء الله الحسنى ، ليؤكدوا استحالة التاريخ العربي بغير مصر ، واستحالة مصر بغير تاريخها العربي ، كما يستحيل الغناء بغير المغني ، والكتابة بغير الكاتب ، والوردة بغير عطرها ، والقبلة بغير الشفتين ...

يدخلونها مجموعة من العصافير النادرة ، ليناموا تحت شجر عينيها الأخضر .. وليصلوا صلاة الفجر تحت مآذن الأزهر ، حيث صوت الشيخ محمد رفعت ، لا يزال يتسلق على الأعمدة الرخامية كنباتٍ سماوي .

يدخلونها من وجهها القبلي أو من وجهها البحري ، لا فرق ، فكل الدروب في مصر ، توصلك إلى سمفونية الماء ...

يمزقون الخريطة التي رسمها ملوك الطوائف ، ويكتشفون أن الشعر العربي هو امتداد موسيقي ولغوي واحد من حنجرة أبي الطيب المتنبي ، إلي حنجرة بدر شاكر السياب ، إلي حنجرة بيرم التونسي وصلاح جاهين .

*

يتجمع الشعراء العرب في ساحة التحرير ، نقطة فوق نقطة ، وحرفاً فوق حرف ، وفاصلة فوق فاصلة ، ليعلنوا قيام جمهورية الشعر العربية المتحدة ، في وجه الجمهوريات الشعوبية غير المتحدة .

يتجمعون غابة من البروق ، وأقواس قزح ، ليعلنوا انتصار القصيدة على الزمن العربي المالح ، وسقوط خيام المشعوذين والمهرجين ، والمصابين بمرض (إيدز) الثقافي والقومي ، والأميين بالوراثة ، والبوليسيين بالوراثة ، والمحترفين قتل شعوبهم بالوراثة .

*

يتراكض الشعراء في أزقة حي سيدنا الحسين ، أولاداً يبحثون عن طفولتهم ، وعن أحلامهم القديمة ، وألعابهم القديمة ، وفوانيسهم القديمة ، بعدما تسكعوا طويلاً على أرصفة مدن الملح .. التي تسلخ جلد الأطفال ، وتغتال أحلامهم .

يقفون مبهورين أمام القمر المصري ، فيحسبه بعضهم فطيرة عسل . ويحسبه بعضهم فطيرة حرية .. والرواية الثانية هي الأصدق . والله أعلم .

*

تنادينا السيدة زينب : يا أولادي ... فتتساقط دموعنا وقصائدنا علي غطاء رأسها الأبيض ، أزهارَ ياسمين ..

نطالبها بحقنا في أمومتها ، وبتعويضنا عن آلاف الأكواب من الحليب السكري الذي فطمونا عنه منذ السبعينات ، فتناهشتنا الأمراض ، بدءاً من نقص الكالسيوم ، إلى نقص المناعة ، إلى شلل الأطفال ، إلى شلل الشعور القومي .

نتكئ علي صوت سيد درويش ، المكتظ بنار التحولات ، ونار النبوءات ، وبذور الثورات الآتية ، لنعلن استمرار النشيد ، وحتمية انتصار الأغنية البيضاء ، رغم هذا الكورس السياسي الردئ ، الذي يحتل المسرح بقوة السلاح ، ويفرض على الشعب العربي سماع بلاغاته الديماغوجية بقوة السلاح .

*

وبعد .. وبعد .. فهذه هي مصر مرة أخرى .

ندخلها بغير تصريح ، ولا إذن ، ولا فرمان أميري . لأن الدخول إلي القلب ، لا يحتاج إلي تذاكر دخول ، ولأن العودة إلى رحم الأم ، لا تخضع لإجراءات الأمن والجمارك.

إن نـهر النيل لم يكن في يوم من الأيام ضابط بوليس ، يتولى مصادرة الأفكار ، والكلمات ، والكتب .

كما أن أبا الهول لم يشتغل على امتداد تاريخه رقيباً على المطبوعات .

وإني لأشهد أن القمع لم يكن أبداً تراثاً أو فولكلوراً مصرياً .

ولذا فإن كل نخلة صادفناها في صعيد مصر ، كانت تقول لنا : (أدخلوها بسلام آمنين) .

العراق هو شجرة السلالات الشعرية

مهرجان الأمة الشعري الأول ـ بغداد ـ نيسان (أبريل)
1984 .

من الذي يا تـُرى وُلد قبل الآخر ؟

هل الشعر وُلد قبل العراق ؟ أم أن العراق وُلد قبل الشعر ؟

من الذي في سفر التكوين جاء أولاً ؟

النخلة العراقية ، أم القصيدة العراقية ؟

ملوية سامراء ، أم قامة المتنبي ؟

بابل العظيمة ، أم العظيم أبو تمام ؟

نـهر دجلة ، أم النبيذ المتدفق من شعر أبي نواس ؟

أمطار الكحل في عيون السومريات .. أم أمطار الحزن في شعر السياب ؟

*

هذه الأسئلة كانت دائماً تربكني ، مثلما يرتبك الآباء أمام أسئلة أطفالهم التي لا تنتهي .

من الذي كان أولاً ؟

البيضة أم الدجاجة ؟ الشجرة أم أوراقها ؟ العين أم أهدابها ؟ الوردة أم عطرها ؟ القبلة أم الشفة ؟

ليست هذه الأسئلة طفولية كما تظنون ، ولكنها بحث في أولويات الخلق ، وترتيب المخلوقات ، ومحاولة لتحديد مكان العراق على خريطة الشعر . وإذا كان يحق لي أن أدلي بشهادتي ، بعد أربعين عاماً من إقامتي في مدينة الشعر ، فإنني أدلي بهذه الشهادة :

العراق ، هو مركز الثقل في الكرة الشعرية ، ولولاه لاختل توازن الأرض ، وخرجت القصائد من مداراتها .

العراق ، هو أبو جميع السلالات الشعرية ، وأصل جميع الفصائل والأنواع ، وأنبوبة الخصوبة واللقاح .

وبكلمة واحدة ، هو آدم الشعر ، ونحن جميعاً أولاده وأحفاده . هل من الممكن عملياً أن نتحدث عن سلالات شعرية كسلالات الغزلان ، والفراشات ، والطواويس ؟

وإذا كان النقد الحديث لا يؤمن بعلم السلالات الشعرية ، فلماذا تمطر النجف خمسمئة شاعر في الدقيقة ؟ في حين لا تمطر سماء جنيف سوى ساعات أوميغا ، وبياجيه ، وحليب نيدو السريع الذوبان ... ولا تمطر سماء موناكو سوى (فيشات) اللعب .. ولا تمطر سواحل نيس وكان وكابري سوى مشتقات النفط العربي ، ولا تتقيأ سوى نعال العرب ..

مهرجان الأمة الشعري للشباب ، هو معجزة خارقة .

فما كان أحد يتصور ، أن بغداد ، وهي في ملابس الميدان ، تفتح ذراعيها للشعر ، وتمد له السجاد الأحمر ، وترشه بماء الورد ..

ما كان أحد يتصور أن بغداد ، تتفرغ للشأن الشعري ، كما تتفرغ للشأن الحربي ، ويكون لديها استراتيجية شعرية كما لديها استراتيجية عسكرية ...

آهٍ .. كم هو عجائبي هذا العراق الذي عنده وقت لكل شئ . وقت للدفاع عن كبرياء الأمة ، ووقت للدفاع عن كرامة الكلمة .

آهٍ .. كم هو خرافي هذا العراق الذي يمسك بيده اليمنى البندقية ، وبيده اليسرى يمسك عصفورة الشعر .

آهٍ .. كم هو حضاري هذا العراق ، الذي يتبرع ببطانيته العسكرية ليغطي بها جسد الشعر ..

وإذا كان الكتاب المقدس يقول لنا : في البدء كانت الكلمة . فاسمحوا لي أن أعلن على مسؤوليتي الشخصية : أنه في البدء كان العراق ...

*****

عندما تلقيت الدعوة لحضور مهرجان الأمة الشعري الأول للشباب ، كانت بيروت تحترق ، وكنا عصافير في وسط الحريق .

ووقعتُ بين أسنان الحيرة .

فلا أنا قادر على كسر حصار بيروت ، ولا أنا قادر على رفض أمنية للعراق .

أليس هذا وطن الحبيبة بلقيس ؟

أليست هذه السماء سماءها .. وهذا النهر نهرها .. وهذه البساتين الخضراء بعض لون عينيها ؟ ...

ألم تطلب مني بلقيس أن أزور بيت أبيها .. وأسلم على رفيقات مدرستها في ثانوية الأعظمية ؟

ألم تطلب مني أن أقطف لها عشرة أقمار من شجرة (الرازقي) لتزرعها في شعرها الذهبي الطويل ؟ ..

ألم تطلب مني أن أزور مسجد الإمام الأعظم ، لأقرأ الفاتحة على روحها الطاهرة ؟ ..

إنني ضعيف جداً أمام رغبات بلقيس ..

وضعيف جداً أمام هذه المدينة العظيمة ، التي أهدتني هذه المرأة العظيمة ...

*

وهكذا أدخل بغداد هذه المرة على صهوة جرح . وإذا كنتُ مضرجاً بأحزاني ، فإن الوطن العربي كله مضرج بالهوان ، والقرف ، والغثيان ، من رأسه حتى قدميه ، ويمر بأخطر مرحلة من مراحل موت الرجولة ...

أما العنفوان القومي الذي عرفناه في الخمسينات ، فقد خطفوه من منزله ليلاً .. ولا يزال مصيره مجهولاً ...

في هذا المهرجان ستركض أمامنا الخيول الشابة . ولن يتدخل أحد في حركتها ، وصهيلها ، وانسيابها ، وموسيقى حوافرها على الأرض .

إن خيول الشعر تعلم نفسها ، كما يتعلم العصفور فن الطيران من اصطدامه بالريح .. وكما تتعلم السمكة فن السباحة من اصطدامها بالموج .. ولم أشاهد في حياتي عصفوراً يحمل حقيبة مدرسية .. ولا سمكة تخرجت من جامعة السوربون ...

المهم ، أن تكون نار الشعر مخبوءة تحت جلد الشاعر .. وبعد ذلك ، يصبح ترويض النار عملاً تقنياً يُكتسب بالشغل ، والاختبارات الثقافية ، والمهارة اليدوية ، والتجريب .

*****

يا أصدقائي . يا أصدقاء الشعر :

نحن هنا زملاء لا أوصياء . وشهود لا قضاة . وضيوف بينكم ، لا عرَّابون عليكم .

فليركض كل حصان كما يشاء .. وليصهل كما يشاء .. وليقفز فوق أوزان الخليل كما يشاء .. وليكسر - وهو في ذروة حماسه - حواجز البلاغة القديمة ، وليأكل ألفية ابن مالك ، من أولها إلى آخرها - وليأكل معها جميع المقامات .. إذا شاء ..

فلن نعاقب أبداً أي حصان يريد أن يتفرد بمشيته ، أو بحركته ، أو بتمرده ، أو بجنونه ...

فأنا كنتُ ، ولا أزال ، مع الخيول المجنونة .

فالخيول المجنونة وحدها هي التي تخترع خـُطاها .. وتخترع صهيلها .. وتقطع المسافة بين القرن العاشر والقرن الواحد والعشرين في أقل من ثانية .

هذه وصية سائس خيل قديم .. خبر الخيول وخبرته ، وأطعمها من راحته اللوز والسكر ...

فاركضوا مع الرياح الأربعة .. والله معكم .. وقلبي معكم ..

12 نيسان (أبريل) 1984

المتنبي .. في بريطانيا

المقدمة النثرية التي افتتح بها الشاعر أمسيته الشعرية في تشيلسي تاون هول في لندن ، بدعوة من النادي العربي - تشرين الثاني (نوفمبر) 1986 .

تسافر القصيدة العربية باتجاه بحر الشمال ، بحثاً عن العشب والكلأ في هايد بارك ، وريتشموند بارك ، وهولاند بارك ، لأن الوطن العربي لم يعد فيه شئ يؤكل سوى لحم الثقافة ، ولحم المثقفين ...

تسافر القصيدة العربية إلى المراعي الأوروبية ، لتقرقش الورق الأخضر ، لأنها لم تعد تجد شيئاً تقرقشه في شبه جزيرة العرب ، غير المسامير ، والأسلاك الشائكة ، وبراغي السيارات الأميركية الصنع .

تسافر القصيدة العربية باتجاه الماء .. لأن حلقها قد نشف من شدة العطش ، ودمها قد نشف من شدة الخوف ، وأقدامها قد تورمت من شدة الضرب ، وعظامها قد تفتتت من كثرة النوم على البلاط البارد .

تسافر القصيدة العربية إلى سوناتا ضوء القمر لبيتهوفن ، وإلى كونشرتو البيانو لرحمانينوف ، كي تنسى سمفونية الدم والرصاص التي ما زالت تـُعزف بدون توقف في شوارع بيروت منذ خمسة عشر عاماً .

تسافر القصيدة العربية إلى لندن ، لتنصب خيمة على ضفاف نهر التيمز ، بعد أن استحال على الشعراء العرب أن ينصبوا خيامهم على ضفة أي نهر عربي .

من أجل هذا جاء المتنبي إلى لندن .

وها هو ذا يحمل خيمته على ظهره ، ويربط ناقته في ساحة (ترافلغر سكوير) ، عل الأطفال الإنكليز الذاهبين إلى مدارسهم ، يتعرفون على عمهم المتنبي ، ويقولون له : ((هالو ...)) .

أيها الأصدقاء :

المتنبي في الجزيرة البريطانية لم يأت بقصد السياحة ، أو شم الهواء ، أو (الشوبينغ) .. فالجنيهات الإسترلينية التي يحملها لا تكفي ثمناً لعلف ناقته ...

ثم إن المتنبي لم يأت إلى الجزيرة البريطانية ليزاحم شكسبير ، أو شيللي ، أو براونينغ ، أو ووردز ورث ، أو ليسرق الأضواء منهم ، أو ليقطع رزقهم ، أو لينضم إلى اتحاد الكتاب البريطانيين ..

إنه يعرف جيداً أن لا شاعر يمكنه أن يغتال شاعراً آخر ، أو يزحزحه من مكانه . وإذا كان شكسبير ديك الجزيرة البريطانية .. فإن المتنبي هو ديك العرب الأعلى صوتاً .

والمتنبي ، بعد ذلك ، لا يريد أن يكتب شعراً بالإنكليزية .. فهو يعرف جيداً أن جميع من كتبوا بغير لغتهم من الشعراء ، ظلوا منفيين خارج أسوار لغتهم ..

والمتنبي أخيراً ، لا يريد الحصول على الجنسية البريطانية ، ولا يريد أن يقف على أبواب الـ Home Office ليشحذ الإقامة الدائمة . فهو قانع بقدَره العربي ، وفخور بقوميته وانتمائه ، ومدرك أن الإنسان لا يغير وطنه مثلما يغير حذاءه .

*

المتنبي في بريطانيا لا يقف في طوابير العرب المتسكعين في أوكسفورد ستريت .. وبيكاديللي سيركس ... ولا يبحث عن المطاعم التي تقدم اللحم مذبوحاً على الطريقة الإسلامية .. ولا يفكر بشراء عباءة جديدة من محلات (هارودز) لأن كل العباءات المعروضة أصغر من قامته .

المتنبي في بريطانيا رمحٌ يرفض أن ينحني ، ويرفض أن يساوم ، ويرفض أن يقدم التنازلات .

وإذا ما سأله الشرطي البريطاني من هو ؟ وماذا يفعل في بريطانيا ؟ وإلى أي جنسية ينتمي ؟ ومن هو كفيله في المملكة المتحدة ؟ صرخ :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة ؟

وما تبتغي ؟ ما أبتغي جل أن يُسْمَى ..

كذا أنا يا دنيا ، إذا شئتِ فاذهبي

ويا نفسُ ، زيدي في كرائهها قـُدْما

فلا عَبَرَتْ بي ساعةٌ لا تــُعِزّني

ولا صحبتني مهجةٌ تقبلُ الظلما

وإني من قوم كأن نفوسهم

بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما ...

ويرفع الشرطي البريطاني يده بالتحية ويقول له :

((عفواً .. سيدي الشاعر ..)) .

*****

إذن فالمتنبي في بريطانيا هو حادثة كبرياء ، لا حادثة ركوع وانحناء .. ولا حادثة فرار والتجاء ..

فالقصائد العظيمة لا تهرب ولا تلتجئ .. وإنما تسافر كالبرق من بلد إلى بلد ، لتشعل حرائق الحرية في كل مكان .

إن المتنبي لم يأتِ إلى بريطانيا وحده .. فهو يحمل في داخل حقيبته مئة وخمسين مليون عربي ، أعطوه وكالة عامة ليكون الناطق بلسان مواجعهم ، ومدامعهم ، وقرفهم ، وغضبهم ، وأحلامهم المكسورة ..

والمتنبي في بريطانيا ليس له هموم نسائية أو جنسية .. فذوقه البدوي لا يستطيب ذوات الشعر الأحمر .. والعيون البنفسجية .. لأن قلبه لا يزال معلقاً بجميلات حلب ، وسمراوات الكوفة ...

والمتنبي في بريطانيا ليس له هموم مصرفية ، ولا تطلعات اقتصادية ، أو رأسمالية . بالإضافة إلى أنه لا يلعب (الروليت) ولا يرتاد ميدان سبق الخيل ، ولا يضارب في بورصة لندن ، ولا يعرف الفرق بين دفتر الشيكات .. ودفتر التلفونات ..

والمتنبي في بريطانيا ليس معلقاً رياضياً في جريدة التايمز أو الغارديان . ولكنه سفير فوق العادة في بلاط الحرية .

المتنبي ليس موظفاً لدى أحد .. ولا كاتباً بالسخرة لدى أحد .. ولا مديناً بالولاء إلا لربه وموهبته . وهو لا يشتغل شاعراً بالمياومة ، أو راقصاً بالمياومة ، أو مهرجاً بالمياومة ، أو سائساً في إسطبل أي سلطة أو سلطان ...

المتنبي في بريطانيا ، لا يلعب الغولف ، ولا يهتم ببطولات التنس في ويمبلدون .

إنه مسكونٌ بالوجع القومي الكبير ...

ومكتظ بملايين الأسئلة ..

الهم الوحيد الذي يسكن المتنبي في الليل والنهار هو همه القومي . هم هذه الأمة الموزرائيكية التركيب ، الكاريكاتورية الملامح ، التي سقطت بين أسنان الشعوبيين .. ومخالب الميليشيات ..

*****

وبعد .. وبعد .. هذه هي حكاية المتنبي في بريطانيا ....

إنها باختصار حكاية شاعر غاضب ، يحاول أن يغرز رمحه في لحم عصور الانحطاط .. ويقطع رؤوس الديناصورات التي تطحن عظام الإنسان العربي .

لندن - 1 تشرين الثاني (نوفمبر) 1986

وصلت رائحة أبي لهب .. إلى شارع الصحافة ..

حوار مع الأستاذ لامع الحر ـ مجلة الشراع اللبنانية ، بتاريخ 25 / 4 / 1987 .

*** هل تـُعتبر الحملة ضدكم منظمة ، أو ذات أهداف سياسية ، أم هي موقف شخصي ، أو مجرد مصادفة ؟**

ـ ليس هناك حادثةٌ تقع في عالمنا العربي اعتباطاً أو مصادفة . وفي (قصيدة بلقيس) جوابٌ تفصيلي لسؤالكم :

((لا قمحة في الأرض تنبت دون رأي أبي لهب ..

((لا رأس يُقطع دون أمر أبي لهب ..

((كل الكلاب موظفون .. ويأكلون .. ويسكرون على حساب أبي لهب ..

((كل اللصوص من الخليج إلى المحيط ..

((يدمرون .. ويحرقون ، وينهبون ، ويرتشون ..

((ويعتدون على النساء كما يريد أبو لهب ..)) .

إن ملف الحملة الأخيرة موجود عندي . فمثلما هناك موساد إسرائيلي يتعقب الأجساد والأدمغة والأقلام العربية ، فإن هناك (موسادات عربية)

تتعقب كل كاتب عربي رافض أو معارض ، حتى يتم تدجينه ، أو إسكاته ، أو تصفيته ..

ومثلما يستأجر الموساد الإسرائيلي عملاء محليين يتولون تنفيذ مخططاته ، فللموسادات العربية أيضاً أدواتها ، وصحافتها ، ومعلقوها ، ونقادها ، ومحرروها الثقافيون .

والذي يتابع أخبار البازرات الصحفية الكبرى التي تجري في أوروبا لشراء الصحف المهاجرة ، وعمليات انتقال ملكية هذه الصحف من يدٍ إلى يد ، يدرك على الفور أن السلطان يريد أن يرث الأرض وما عليها .. وأن يرث الصحافة بحبرها ، وورقها ، ومطابعها ، ومحرريها ، ورؤساء تحريرها .. بحيث لا يصدر غلاف مجلة إلا بأمره .. ولا يوضع عنوان رئيسيّ إلا بأمره .. ولا يُرفع الفاعل ، ويُنصب المفعول به إلا بأمره ...

السلطان لم يعد يرضيه أن تكون نسبة الولاء له عشرة بالمئة .. أو ثلاثين أو خمسين بالمئة .. إنه يريد ولاءً بنسبة 500 بالمئة .. وإلا أوقف مساعدات (مارشال) عن متسولي الصحافة العربية .

ولما كان ولائي الشعري للسلطان هو بنسبة 500 درجة مئوية تحت الصفر ... فكان لا بد من تأديبي .. لأكون عبرة لكل المارقين ، والجانحين ، والمشاغبين ، والهاربين من بيت الطاعة .

إنني في غاية السعادة لهذه المعركة السينمائية المثيرة ، بين الشاعر وبين السلطان ..

السلطان يدخل المعركة مدججاً بسيوفه ، وسيافه ، وبترودولاراته .. والشاعر يدخلها مدججاً بكبريائه .. وكبرياء كلماته ..

إنني لا أملك في حربي مع السلطان سوى ثمانية وعشرين حرفاً ، استطعتُ بها أن أفتح بوابات الوطن العربي كله ..

في حين انهزم السلطان في أكثر من موقعة .. وأصيب بأكثر من طعنة .. وحاصرت القصائدُ قصره من الجهات الأربع ...

وإنها لثورة حتى الشعر ....

*** هل يمكن أن يستمر الشاعر في التزامه ، وهو يكتب بين أسنان العاصفة ؟**

- العاصفة هي الحصان الوحيد الذي يليق بالشاعر أن يركبه ... فالشاعر بغير التزام هو (طبق سباغيتي) سهل البلع .. وسهل الهضم . وأنا لا أريد أن أكون شاعراً من شعراء السباغيتي .. وما أكثرهم ..

صحيحٌ أن أنياب السلطة حادة ، وقاطعة ، ومفولذة ، ولكن القصيدة أيضاً لها أنيابها وأظافرها وعضاتها الموجعة ..

وإذا كانت الوردة ، والنحلة ، والسمكة ، تستطيع أن تدافع عن نفسها ، فأولى بالشاعر أن يقف في حنجرة السلطة كشوكة مستحيلة البلع ..

إن الشاعر الذي يعيش تحت جبة السلطة ، هو شاعر ساقطٌ أصلاً .. فالتاريخ لا يتذكر أبداً دراويش الشعر ، والجالسين طوال الوقت على أرصفة مدينة (نعم) ... حسب تعبير الشاعر يوفتشنكو ..

إن الموقع الطبيعي للشاعر هو أن يسكن (في جفن الردى وهو نائمُ) كما قال سيدنا أبو الطيب المتنبي .

أما الشاعر الذي يستعمله السلطان كعلبة النشوق .. أو كالمسبحة .. ويستدعيه لإحياء حفلات الطرب ، فإن خدم القصر سيكنسونه صباح اليوم التالي مع قشور الموز ...

*** الوضع الطبقي والمالي للشاعر هل يؤثر على موقفه ؟**

ـ الطبقية هي مربع صغير جداً ، كالطائفية ، والمذهبية ، والعرقية ، ولا يمكن للشاعر أن يحبس نفسه في داخل هذه المربعات .. وإلا تحول إلى أسير طبقته .. أو أسير طائفته ..

الشاعر الحقيقي هو الذي يسافر في اتجاه الإنسان ، ويخترق حدود مدينته .. أو طبقته .. ليلتحم بالطبقات الأخرى .

فاللورد بايرون فعل ذلك .. والأمير أبو فراس الحمداني فعل ذلك .. ولسان الدين بن الخطيب ، صاحب الوزارتين ، والخليفة الوليد بن يزيد ، وابن زيدون ، وابن المعتز ، وسامي باشا البارودي ، وأحمد شوقي ، كل هؤلاء استطاعوا أن يكسروا جدار الطبقة .. وينتقلوا إلى الضفة الأخرى من نهر الإنسانية .

أنا شخصياً ، لم تواجهني مشكلة من هذا النوع ، لأنني أنتمي إلى الطبقة الوسطى الدمشقية . وبيتنا كان مزروعاً في قلب دمشق القديمة .. بين مآذن الجامع الأموي ، وأضرحة الأولياء ، وكلام الناس الطيبين . ولذا فأنا لا أحتاج إلى أكثر من سرير انفرادي ، كتلك الأسِرَّة المستعملة في المستشفيات والسجون ، لأكتب قصيدتي .

ولو أنني نمتُ بالصدفة على سرير من طراز لويس الخامس عشر أو لويس السادس عشر .. لطار النوم من عيوني ، وطارت القصيدة ...

إن أجمل قصائدي كتبتها ، وأنا ألبس بنطلون الجينز الأزرق .. وأقضم ساندويشة على أرصفة المدن المزدحمة ..

لذلك فإن طموحاتي المادية تكاد تكون صفراً .. فأنا لا أطلب يختاً بجنوب البحار على طريقة أوناسيس أو عدنان خاشقجي .. ولا أريد أن أشتري قصر وندسور من ملكة بريطانيا ...

إن بنطلون الجينز الأزرق هو ثروتي القومية والشعرية ..

وإذا أراد السلطان أن يأخذه مني .. فليأخذه ..

وإذا أراد أن يأخذ نصف ساندويشتي .. فليأخذها أيضاً ...

المهم أن يترك القصيدة تشتعل داخل شراييني ..

ومبروكٌ على السلطان جميع أملاكي المنقولة .. وغير المنقولة .

*** هل يقلل من انتماء الشاعر القومي ، اعتراضه على موقف العرب كجمهور ؟**

ـ على العكس .. إن الجمهور يفضل شاعراً يزرع في لحمه دبوساً .. ويواجهه بالحقيقة .. على شاعر يغش في أوراق اللعب .. ويلعب (الجلا جلا) ..

إن عبارة الشاعر القومي ، لا تعني أبداً أن نخطب على طريقة عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ   تخر له الجبابرُ ساجدينا

هذا كذب على الذقون لا يحتمل بالنسبة لأمةٍ لا يجد أطفالها في السودان وفي لبنان جرذاً حياً يصطادونه ...

لا يمكن أن يقوم الخطاب الشعري على الكذب والتجليط البلاغي .. ولا يمكن للشاعر أن يضرب على الدف .. والقتيل لم يُدفن بعد ..

الجمهور ، كالطفل ، لا بد من أخذه بالعنف ، إذا اقتضت الضرورة ، ولا بد من شد أذنيه .. إذا أهمل واجباته القومية ..

وإذا كان الجمهور عام 1970 ، يرفض أن يستحم .. ويرفض أن يذاكر دروسه .. وينام كالحيوانات القطبية تسعة أشهر في السنة .. فكيف أتعامل معه ؟

هل أقبل وجنتيه .. وأغرقه بالهدايا والنقود ؟؟

إنني أرفض طريقة عمرو بن كلثوم في التربية القومية .. وأعتبرها من أسوأ أساليب التربية ..

*** هل مهمة الشاعر الإشارة إلى البديل ، أم مجرد التشخيص والتنبيه ؟**

ـ لا ليس من مهمات الشاعر إعطاء (الراشتات الطبية) ..

الشعر يضئ خشبة المسرح .. بحيث لا يبقى شئ في العتمة ، ثم يحمل معطفه وينصرف ...

*** نقلت الصحافة عبارتك التي قلتها في القاهرة عن ضرورة إقامة (جمهورية الشعر العربية المتحدة) . ماذا تعني هذه العبارة بنظر نزار قباني ؟ وهل هناك تفكير بالعودة إلى مصر ؟**

- أنا ناديتُ في الأمسية الشعرية التي قدمتها في القاهرة بتأسيس (جمهورية الحب العربية المتحدة) لتحل محل جمهوريات الحقد والبغضاء العربية .

وهذا في رأيي مطلب العرب جميعاً .. من أول نخلة في مياه شط العرب .. إلى أصغر حبة رمل في صحراء موريتانيا ..

لقد صار لدينا حالة فقر دم مزمنة من قلة الحب .. فإذا كان الحب السياسي مستحيلاً بيننا .. فلنجرب المعالجة بالقصيدة .. فإذا نجحنا بالزواج الثقافي .. جربنا الزواج السياسي .. أو الزواج الفيدرالي أو الكونفيديرالي .. أو أي شكل من أشكال الزواج بدون تحديد .

هذا ما قلته في القاهرة ، وأقوله في أية مدينة عربية أخرى .

أما الحديث عن عودة مصر إلى العرب .. أو عودة العرب إلى مصر ، فهو مثل الحديث عن جنس الملائكة ، سفسطة لا لزوم لها ..

إن مصر هي العمود الفقري للأمة العربية ، ومن دونها سيبقى الجسد العربي هلامياً ، وعجينياً ، ومترنحاً .

اختلاطي بالجمهور المصري خلال أمسيتي الشعرية في معرض الكتاب الدولي ، أكد لي أن الشعب المصري (أكل) اتفاقيات كامب ديفيد .. وطرحها في دورة المياه ..

فأين هو التطبيع ؟ وأين هم الإسرائيليون ؟ وأين أصحاب القلنسوات والذقون من آل إسرائيل ؟ ..

إنني لم أرَ في مصر إلا الشعب المصري العربي الأصيل .. يملأ الخريطة كلها . أما الإسرائيليون فهم المومياءات الجديدة التي حنطها الشعب المصري ، وأدخلها إلى الأنتيكخانة ..

*** محطات التحول في شخصية نزار الشعرية ، هل يمكن تحديدها ؟**

- هما محطتان . 1- محطة النقد الاجتماعي في قصيدتي (خبز ، وحشيش ، وقمر) عام 1954 . 2- محطة النقد السياسي في قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) عام 1967 .

*** هل لعامل السن أثر في تحول شاعرنا من الفرح إلى الغضب ؟**

ـ المعروف أن مرحلة الطفولة والشباب هي مرحلة الانفعال والغضب ، في حين أن مرحلة الكهولة والشيخوخة هي مرحلة الحكمة والاتزان والهدوء . ولكن يبدو أن الزلازل السياسية التي ضربت العالم العربي قلبت جميع قواعد علم النفس ، فصار لا بد من مجئ (فرويد) جديد ، ليدرس حالتنا المستعصية .

*** ما هو موقفكم من الشعر الجديد ؟ وهل ترون له مستقبلاً ؟**

ـ أنا مع الشعر الجديد في مغامراته ، وهلوسته ، وهذيانه ...

فالقصيدة العربية التقليدية أدت دورها على مدى 1500 سنة ، وآن لها أن تستريح .. وتفكر بمستقبل أحفادها ..

أما مستقبل الشعر ، فلا أحد يستطيع أن يعرف عنه شيئاً . فقد يستطيع الكومبيوتر بما يحققه من قفزات حسابية غير معقولة أن يحيل جميع شعراء العالم إلى التقاعد .. ويصبح هو أمير الشعراء .

*** هل هناك فارقٌ في المفهوم الفني بين قصيدة النثر والشعر المنثور ؟**

ـ قصيدة النثر هي آيس كريم بالفانيليا .. والشعر المنثور هو آيس كريم بالموكا (الكاكاو بالحليب) .. ولكن بعد أن يذوبا في فم القارئ .. تضيع الطاسة ..

*** هل ترون أن النقد أنصف نزار قباني ؟**

ـ لأنني خلال أربعين عاماً من كتابة الشعر ، لم أقرأ كلام النقاد عن شعري ، ولم أعمل بنصائحهم ، بقيتُ شاعراً ..

فالنقاد عندنا مثل الكميونات الكبيرة (عربات النقل) تفرغ بضائعها في منتصف الشارع حتى يتعرقل سير القصائد .. وتـُكسَر أعناق الشعراء .

ومن أجمل ما قرأته عن النقد الأدبي ، ما قاله الروائي الفرنسي فرانسوا نوريسييه : (الناقد رجل شرطة يطارد الكاتب داخل كتبه ..)

*** هل يمكن تحديد ماهية الشعر ؟**

ـ ويسألونك عن (الشعر) .. قل (الشعر) من علم ربي .

*** هل يؤمن شاعرنا بالتقسيم التاريخي للشعر ، والمصطلحات التي أطلقت عليه ، (شعر جاهلي ـ أموي ـ عباسي ـ نهضة ـ حديث ـ إلخ) ؟**

ـ تقسيم الشعر إلى مراحل تاريخية عمل أكاديمي لا بد منه لتسهيل دراسة تاريخ الأدب ، كما نتحدث عن عصر الحجر ، وعصر النحاس ، وعصر الفحم ، وعصر النفط ، وعصر الذرة .

*** تجربة نزار مع الشعراء العرب كيف تراها ؟ ومن هو أقربهم إلى فنك ؟**

ـ الشعراء العرب على الورق ، غيرهم على الطبيعة . وحتى أبقى محتفظاً بصورهم الجميلة فإنني أفضل مقابلتهم على ورقة الكتابة ..

أما أقربهم مني فهو الكبير بأخلاقه ، كما هو كبير بموهبته .

ولكن من سوء حظ الشعراء العرب ، أن فيهم شيئاً من أخلاق المطربات العربيات اللواتي لا يستطعن احتمال زميلة لهن تصعد إلى المسرح قبلهن .. أو تـُسلط عليها الأضواء أكثر منهن .. أو تظهر صورها بحجم أكبر على باب المسرح ..

لذلك أتحاشى ، قدر إمكاني ، المشاركة في كرنفالات الشعر .. لأنها تنقلب إلى كرنفالات للاغتياب والنميمة .

*** ما الفرق بين الشاعر والدبلوماسي ؟**

- كالفرق بين الزهرة الطبيعية .. والزهرة الصناعية .

*** في قلب نزار هل من مسافة بين بحيرة جنيف في سويسرا .. وقصر الحمراء في الأندلس ؟**

- ما دامت كل البحيرات تشرب من أمطار دموعي .. فلا فرق . في إسبانيا كان جرحي أندلسياً .. وفي الصين كان جرحي صينياً .. وفي سويسرا أصبح جرحي عالمياً كالعلم المرفوع على بنايات الأمم المتحدة في جنيف . على أن الجرح اللبناني يبقى أعمق الجراح ، وأغربها في تاريخ الطب ، لأنه جرح كلما طال به الزمن اتسعت مساحته ، حتى صار جرحي أكبر مني . وصرت إذا رآني الناس تكلموا مع جرحي .. ولم يروني ..

*** ما هو أثر بلقيس على شخصية نزار ، وبالتالي على شعره ؟**

- بلقيس امرأة مقاييسها تطابقت مع مقاييس الشعر . وهذا شئ نادر في تاريخ النساء ، وفي تاريخ الشعر .

تزوجتني ، وكانت تعرف أنها تمسك الماء والنار في قبضة يدها . وراهنت على مصادقة وحش الشعر في داخلي ، وربحت الرهان .. وعاشت مع العاصفة في غرفة واحدة ..

لم تعلن نظام الطوارئ في بيتنا .. ولم تضع أنفها في أوراقي كما تفعل الزوجات المباحثيات .

إن الحياة مع شاعر هي بكل تأكيد عمل انتحاري .. وحين رضيت بلقيس أن تتزوجني ، وسافرت معي من بغداد إلى بيروت ، كانت تقول لصديقاتها وهن يودعنها في صالون المطار : ((أنا لم أتزوج زوجاً تقليدياً .. أنا تزوجتُ هيروشيما ..)) .

* ما أصعب قصيدة قالها شاعرنا ؟

- لو كان عندي قصيدة صعبة - لا سمح الله - لمزقتها ، وذهبتُ إلى أول طبيب نفساني طلباً للعلاج .

أبو الطيب المتنبي ، وطرفة بن العبد ، وعمر بن أبي ربيعة ، وبشار بن برد ، وعروة بن الورد ، والشريف الرضي ، وأبو نواس ، وبشارة الخوري ، وأمين نخلة ، وإلياس أبو شبكة .. لم يكونوا شعراء سريين .. ولا انتسبوا إلى إحدى الجمعيات الماسونية .

فلماذا تريدون تحويل الشعر إلى تنظيم سري محظور ؟

*** على صعيد الفن ، هل هناك شعر سهل وشعر صعب ؟**

ـ طبعاً .. هناك نوعان من الشعر : شعرٌ مكتوب من أجل الآخرين . وشعر مكتوبٌ لتعذيب الآخرين ....

*** هل تؤمن بالطبع أم الصنعة في التجربة الشعرية ؟**

ـ الطبع هو الشرارة الأولى . والصنعة هي مولد الكهرباء الذي لا بد من تزويده بالطاقة الثقافية ليستمر في الإنارة .. وإلا توقف عن العمل .

*** الشعر العربي ، رغم كثرة الغث ، قطع أشواطاً كبيرة شكلاً ومضموناً ، لكن نزار قباني ، ما زال محافظاً على أسلوبه الكتابي دون أي تغيير . فهل يعني ذلك عدم القدرة على التجدد ، أم أن هناك قراراً بالالتزام في الأسلوب النزاري المعروف ؟**

لكل زمان دولة وشعراء . ألا توافقني أن هناك أجيالاً شعرية ، وذلك ما تؤكده حتمية التطور .

ـ هذا السؤال يتعاطى مع الشعر ، كما تتعاطى النساء مع بيوت الأزياء كمؤسسات (كوكو شانيل) و (ديور) و (فالنتينو) .

هذا استخفاف بالشعر وبالشاعر . لأن الشاعر يقضي خمسين سنة من حياته ، وهو يصنع صيغته أو نموذجه الخصوصي .. ثم يُطلب إليه باسم الحداثة أن يخلع كل ما عليه من ثياب .. ويبقى عارياً .

وكما لا يمكن لفكتور هوغو أن يصبح أندريه بروتون ، وكما لا يمكن لميكيل أنجلو أن يصبح سلفادور دالي .. وكما لا يمكن لتولستوي أن يصبح ألبرتو مورافيا .. فإنه لا يمكن لأبي الطيب المتنبي أن يكتب (قصيدة البياض) ...

وإذا كنتُ سعيداً بالبيت الذي بنيته حجراً حجراً خلال أربعين سنة .. فلماذا تريدني أن أنتقل إلى بيت بالأجرة ؟؟

وإذا كانت البدلة التي ألبسها تريحني .. فلماذا تريدني أن ألبس بدلة أولادي ؟؟

وكم سيكون مضحكاً لو طلبنا من شكسبير ، أن يترك (سوناتاته) ويكتب شعراً على طريقة أغاني البيتلز ... إن سيارة (الرولز رويس) الإنكليزية لا تزال محتفظة بخطوطها التقليدية منذ مئة عام .. ولم تستطع سيارات (الفيراري) .. و (اللامبورغيني) .. وسيارات تويوتا اليابانية ، أن تزحزحها عن عرشها ..

وإذا كان لكل زمان قصائده و (سياراته اليابانية) كما تقول .. فإنني لا أعترض .. ولا حق لي بالاعتراض على قانون التطور ...

كل ما نرجوه .. أن تتركوا لنا سيارة الرولز رويس التي تبقى في رأينا ، سيدة كل السيارات .. وأميرة المسافات ..

*** نزار قباني ، في (قصائد مغضوب عليها) . إلى أي جيل ينتمي ؟ وما هي النقلة الشعرية التي جسدها ديوانكم ؟**

ـ مرة أخرى أقول إنني غير معني بموديلات 1987 أو 1990 الشعرية . أنا أنتمي بكل ما أكتبه إلى نزار قباني .. ولا أفكر حتى كتابة هذه السطور باستبدال جواز سفري الشعري بجواز آخر ...

*** نزار عنيف ، ملتاع ، ثائر ، في (قصائد مغضوب عليها) تقسو كثيراً على الجماهير العربية (يا بلاداً بلا شعوب أفيقي ..) وتعتبرها نائمة أو مصابة بغيبوبة .. إذا كان هذا صحيحاً فإلى من يتوجه هذا الكتاب ؟**

ـ القسوة على الجمهور العربي لا تفسد ما بيني وما بينه من علاقات طيبة . تماماً كما يحدث في الحياة الزوجية ، حيث تصل العلاقة بين الزوجين إلى حد استعمال الأظافر وسكاكين المطبخ ، ولكنهما في آخر الليل ينامان مع بعضهما في سرير واحد .. ويستمران في إنجاب الأطفال ..

ثم من قال لك إن الجمهور العربي لا يحب القسوة .. ولا يحب من يحك له جلده .. ولا سيما إذا كانت القسوة تنطلق من موقع الحب الكبير .

وإذا سألتني من يقرأ كتاب (قصائد مغضوب عليها) ، فسأجيبك أن الذي يقرأني هو الشعب العربي .. لا شعب الإسكيمو .. ولا شعب تنزانيا .. ولا شعب زيمبابوي ...

ولمعلوماتك ، أقول لك إن (قصائد مغضوب عليها) سجّل ـ رغم منع دخوله إلى أكثر الدول العربية ـ توزيعاً خرافياً إذا قيس ببقية كتبي .

فالشعب العربي يبحث عن كلمة صدق ولو كانت جارحة .. ويرفض شعر الغش والنفاق ومسح الجوخ .. مهما كان جميلاً ..

إن صلتي بالجماهير العربية عظيمة .. عظيمة . وليس الاستقبال الرائع الذي قابلني به الشعب الأردني قبل أسبوعين ، وقبل ذلك استقبال الشعب المصري لقصائدي المغضوب عليها .. سوى شهادة أن الشعر المطلوب في هذه المرحلة ، ليس شعر المساومة ، والمجاملة ، وأنصاف الحلول ، وإنما شعر المصادمة والتحديات .

*** الشعب بلا قيادة واعية قوة غير قادرة على أي فعل ، فلماذا تحمله كثيراً من المسؤولية واللوم . أليس من الأفضل مقاتلة السلطة فقط ؟**

ـ إنني أعرف هذا جيداً . ولذلك فإن كل الرصاص الذي أطلقه يستهدف السلطة بالدرجة الأولى .

وإذا كان الشعب قد أصابه بعض (الطراطيش) من كلامي .. فلأنني أعتبر أن سكوته الطويل على ظلم الظالمين ، وقمع القامعين ، ساعد على إطالة عمر السلطان .. وأعطاه الإحساس بأنه شعبي جداً .. و (مهضوم جداً) .. وأن الجماهير لن تفتح فمها ما دام يقدم لها رزمة البرسيم اليومية ..

إن الشعب ليس نصاً مقدساً لا يمكن نقده أو المساس به ، ولكنه أرض ثورية يمكن للشاعر أن يزرع في أحشائها ما يريد من بروق ، ورعود ، ومتفجرات ...

* الشعر ضد السلطة . ولا سلطة تعلو سلطة الجماهير .

ـ هذا كلام كُتـُب .. وموجودٌ في دساتير كل الدول الديكتاتورية . لكن الواقع العربي ، مع كل أسف ، يعلمنا أن السلطة يملكها الجميع باستثناء الشعب العربي الموضوع في الإقامة الجبرية منذ ولدته أمه ..

* نزار قباني قائد شعري من الطراز الأول . قائد له أوسع جمهور عربي . ما هو الدور الذي يلعبه في عملية التغيير والتطوير ؟

- أنا أمارس التحريض الشعري بكل أشكاله . وفي زمن مُنع فيه التظاهر والتجمع والاحتجاج ، فإنني أطلق (مظاهراتي الشعرية) في اتجاه كل المدن العربية ، ويسير ورائي كل المعذبين في الأرض ، وكل الذين صودرت أصواتهم ، وصودرت أفكارهم ، و (ذُوِّبوا في حامض الكبريت كالديدان) ..

قد لا يستطيع الشعر أن يثقب المعدن .. ولكن التاريخ علمنا أن معدن الديكتاتورية هش جداً .. وأن الـ 28 حرفاً التي تتشكل منها الأبجدية العربية تستطيع أن تتحول إلى 28 فرقة كوماندوز ..

إنني أمارس كسر الجليد المتجمع في الساحات العربية ، وفي وجدان الأمة العربية . هذا ما أفعله الآن ..

وأعتقد أن التغيير الكبير الذي أحدثته ، هو إنزال الشعر إلى الشارع العام ، وتحويله إلى مادة متفجرة .. وحركة عصيان شعبية .

لا أحد يستطيع أن يقول لك اليوم إنه لا يحب الشعر ، أو لا يقرأه .. أو لا يفهمه .. فلقد مزجتُ الشعري والسياسي والشعبي في كأس واحدة .. وأزلتُ الكلفة نهائياً بين القصيدة وبين من كُتبت من أجلهم .

وبكلمة واحدة ، ألغيتُ فاكهة الشعر من حياة الناس ، وأطعمتهم حنطة الشعر ...

*** من يعاني أكثر ؟ نزار قباني المنفي في سويسرا .. أم نزار قباني المنفي داخل أسوار الوطن وسجونه ؟**

ـ كل المنافي مذاقها واحد . ولكنك حين تكون منفياً داخل أسوار وطنك ، فإن التراجيديا الإنسانية تصل إلى ذروتها ..

على أن (المنفى الداخلي) هو أخطر أنواع المنفى ، عندما تشعر أن لغتك معتقَـلة .. وذاكرتك معتقَـلة .. وثقافتك معتقَـلة .. وأوراقك التي تكتب عليها معتقَـلة ..

حتى الجنة لو أخذت شكل المنفى .. لكانت مرفوضة .

*** نزار ، الذي أعطى المرأة بعداً إنسانياً ، إلى أية حواء يطمح ، بعد ما قارب الستين من عمره ؟**

ـ لم تتغير مطالبي من المرأة كثيراً .. فلا أزال أبحث عن أمي في كل امرأة أقابلها .. ولا أزال أبحث عمن ترضى أن تسكن معي ـ أنا وشعري ـ تحت سقف واحد ..

*** لا أعتقد أن (قصائد مغضوب عليها) عنوان مناسب لمجموعة تتفجر غضباً ، إلا إذا كان الغضب الذي تعنيه هو غضب السلطان العربي ، وهو لا يعنينا كثيراً ، غضب أم رضي ، قبل أم رفض . ولهذا كان من**

المستحسن أن تتوجه إلى الجماهير الغاضبة معك ، والمغضوب عليها معك أيضاً ؟

- العناوين لا تهم . فالذاكرة الشعبية هي التي تضع عناوين المجموعات الشعرية . كل ما أردت أن أقوله ، لدى اختياري العنوان ، هو أن هناك نوعين من القصائد :

فثمة قصائد تتشكل في رحم السلطة ، وتكتسب شرعيتها وهويتها وملامحها من جذورها السلطوية .

وثمة قصائد تتشكل في رحم الحرية .. فلا يسجلونها في سجل الأحوال المدنية ، ولا يقدمون لها زجاجة الحليب ، ولا يعطونها قرص (بانادول) إذا ارتفعت حرارتها ..

هذه القصائد تعتبرها السلطة لقيطة .. أو بنت زنى ..

بينما هي أحلى البنات ، وأذكاهن ، وأشرفهن ..

*** النقد اللاذع الذي يتعرض له نزار قباني من هنا حيناً .. ومن هناك حيناً آخر .. هل نستطيع أن نعتبر أن وراءه السلطان العربي الغاضب على قصائدك المغضوب عليها ؟ ..**

- الأمر لا يحتاج إلى شارلوك هولمز .. لكشف الفاعلين والمحرضين وأدوات الجريمة ..

فكما للسلطان سجونه ومشانقه ومعتقلاته .. فله أيضاً صحافته وصحافيوه .. ونقاده .. ومحررو صفحاته الثقافية .

من كان يظن أن الثقافة ستصبح في يوم من الأيام من صميم أعمال المباحث ؟

إن رائحة (أبي لهب) وصلت إلى شارع الصحافة العربية في كل مكان ، حتى صارت الرائحة تزكم الأنوف .

ويبدو أن (أبا لهب) لم يعد قانعاً بالمجد السياسي أو الإعلامي وحده . فهو يريد أن يضم مجد الثقافة إلى إمبراطوريته .

ومن أجل هذا تــُسلّ السيوف ، ويجري دم الشعراء ، وتــُطحن عظامهم ..

ولكن طواحين السلطان مثل طواحين دون كيشوت ، لا تطحن إلا الهواء .. ولن تستطيع أن تقلم ظفراً واحداً من أظافر شاعر قرر بينه وبين نفسه اغتيال كل الديناصورات التي لا تزال تزرع الرعب في كل الشوارع العربية .

*** في ديوانك تجسيد حي للواقع العربي المتخبط . لكن ألا ترى معي أننا بحاجة إلى شعر يمارس دوراً تحريضياً لا إلى شعر يزيدنا إحباطاً ؟**

ـ عندما يكون الخراب مخيفاً إلى هذا الحد ، فليس هنالك من حل إلا (البولدوزر) .

(البولدوزر الشعري) يجب أن يجرف ، أولاً ، كل هذه الزبالة السياسية التي تتراكم في الشوارع العربية ، كما تتراكم الزبالة منذ خمسة عشر عاماً في شوارع بيروت ..

أنا لا أستطيع أن أهادن الزبالة ، وأقيم صداقة معها .. والشعر لا يستطيع أن يجلس فوق كل هذه النفايات ليدخن سيجارة .. ويغني موالاً ..

الرائحة التي تحاصرنا هي رائحة سمكة ميتة .. والشعر لا يستطيع أن يدعي مهما بلغ به التفاؤل أن هذه الرائحة هي رائحة شانيل .. أو غيرلان .. أو نينا ريتشي .. وإلا كان كاذباً ، ومزوراً ، وبائع أوهام .

*** المعروف أنك تقيِّم شاعريتك من خلال إقبال الجمهور على أمسياتك الشعرية وعلى مجموعاتك . هل الجمهور هو دائماً على حق ؟**

- بدون أدنى شك .. الجمهور دائماً على حق . فهو هيئة التحكيم العليا التي تتوج قصيدة من القصائد ملكة ، وتحكم على قصيدة أخرى بالإعدام ..

الجمهور هو (مختبر القصيدة) وهو الذي يقرر فصيلة دمها ، ونوعها ، وجنسها ، ويعطي التقرير النهائي عن حالتها الصحية .

وليس صحيحاً أن الجمهور لا عقل له ولا بصيرة ، وأنه كتلة من الهيجانات والانفعالات الغزائزية .

هذا كلام الشعراء الثعالب الذين لا يستطيعون أن يصلوا إلى عناقيد العنب ...

إن الجمهور في العالم كله متشابه ، وهو يبحث عن صورته وحقيقته ومثاله في القصيدة .. وينتظر من الشاعر أن يفتح له الأبواب ، لا أن يسد عليه الأبواب . ينتظر من يفك له عقده النفسية ، لا من يزرع في أعماقه عقداً جديدة .

والجمهور العربي كائنٌ شعريٌ بامتياز . وحساسيته الشعرية لا تعادلها حساسية أي شعب آخر . . فلماذا نستهين بهذه الحساسية ، ونصدق كلام بعض الشعراء الذين عجزوا عن التفاهم مع أية نخلة .. أو أية نملة في الوطن العربي ؟

الجمهور هو البطل الحقيقي ، أما النقاد فهم كومبارس ثانوي على هامش العمل الشعري .

إن ألف ناقد لا يستطيعون أن يصنعوا شاعراً .. أو يطلقوا عصفوراً شعرياً واحداً ..

فالجمهور وحده ، هو صانع الشعراء والعصافير ..

*** غابت عن قصائدك الأخيرة صورة المرأة الجميلة والهادئة .. والناعمة .. وحلت معها المرأة المتوترة .. فهل هذا انعكاس لحالة توتر داخلي تعيشها ؟**

ـ الجمال والهدوء والنعومة .. سقطت تحت أنقاض هذا العصر المفترس . وصورة (الموناليزا) أصيبت بطعنة سكين في الحرب الأهلية اللبنانية .

حتى الحب أدخلوه إلى غرفة الإنعاش .. وخيطوا جبينه عشرين قطبة (غرزة) .. ولم يعد بوسع عاشقين معاصرين أن يبقيا ملتصقين ببعضهما بالسيكوتين تحت أشجار الزيزفون على طريقة مصطفى لطفي المنفلوطي .. وإلا أثارا عاصفة من الضحك والسخرية . لا يمكن لقيس بن الملوح ، وجميل بثينة ، والعباس بن الأحنف .. أن يقيموا أمسية شعرية على خطوط التماس في بيروت ..

إن جنون الموت في كل مكان ، نسف جميع شعراء الغزل ، ونسف معهم لغتهم ، وأوزانهم ، ومدامعهم ، وأسماء حبيباتهم ..

إن ليلى الأخيلية ، ولبنى ، وعفراء .. أصبحن ممرضات في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت . أما شعراء الغزل العذري فإن أكثرهم قد انضم إلى صفوف الميليشيات ...

هذه هي أحوال الغرام .. في بلاد (قمعستان) .. فكيف تريدني أن لا أكون متوتراً ؟؟

*** نساؤك كلهن أرستقراطيات . وهذا الأمر يستدعي صورة عمر بن أبي ربيعة . ألم تصادف في حياتك امرأة بسيطة صالحة للحب والغزل ؟**

- حرام عليك يا صديقي .. حرام عليك .. فأنا لم أدخل في حياتي مغامرة مع الأميرة ديانا .. أو مع الليدي سارة فيرغسون .. أو مع أي امرأة من بنات آل بوربون .. أو آل ميديسي ..

جميع من أحببتهن .. أو كتبت عنهن .. كن على (قد الحال) ولم يكن فيهن واحدة ذات دم أزرق .. أو بنفسجي ..

إنني أرفض الطبقية في الحب .. كما أرفضها في السياسة .. وأفضل امرأة عربية تعبق من مسامات جلدها رائحة القهوة ، والهال (الحبهان) ، والقرفة ، واليانسون ، والورد البلدي .. على كل دوقات ومركيزات العالم ...

*** غنيتَ نساء العالم ومدائن العالم . ما الجامع المشترك بين المرأة والمدينة ؟**

ـ طبائع المدن وطبائع النساء تتشابه كثيراً .

فثمة مدن مكشوفة تعطيك نفسها منذ اللحظة الأولى .

وثمة مدن غامضة لا تكشف أسرارها لعشاقها إلا بالتقسيط .

وثمة مدن سياحية تستقبل ملايين الوجوه .. ثم تشطبهم من ذاكرتها بعد دقائق من رحيلهم ..

وثمة مدن كادحة تركض تحت شمس النهار .. وثمة مدن تؤمن بشاعرية الليل .. وتعيشه طولاً وعرضاً ..

وثمة مدن تاجرة باعت قلبها للشيكات السياحية ، ووضعت مكانه قلباً من البلاستيك ..

وثمة مدن مثقفة كل همها أن تبني مسرحاً ، أو متحفاً ، أو دار أوبرا .. وثمة مدن كل همها أن تفتح مطعماً .. أو نادياً للقمار .

وثمة مدن تفتخر أن لديها مكتبة وطنية .. وثمة مدن تفتخر أن لديها سوق بورصة .. ومئة كاباريه ..

وأخيراً ثمة مدن تستقبلك بالأزهار ، والبسمات .. وتأخذك بالأحضان .. وثمة مدن تكشف على حقائبك بأشعة الليزر .. وتترك واجب الترحيب بك للكلاب البوليسية .

*** في (خبز وحشيش وقمر) أخذت على الإنسان العربي غيبته وغيابه عن المعاصَرة . هل توافقني أن تلك الغيبة وذلك الغياب هما أفضل من حضوره الهش الراهن . أم أنك لا تزال تراه غائباً وغيبياً ؟**

ـ عندما كتبتُ (خبز وحشيش وقمر) عام 1954 كانت الغيبوبة جزئية ، والشلل نصفياً . أما الآن ، فإن الجسد العربي فقد حساسيته القومية نهائياً . فهو لا يحس بآلاف المسامير التي تـُغرَز فيه ، ولا بآلاف السكاكين التي تعمل فيه بتراً وتقطيعاً .

في الماضي ، كان القمر هو الذي يسطلنا ، ويأخذ عقلنا ، فنقف أمامه كالبهاليل .. أما اليوم فقد دخلنا مرحلة الكوما المزمنة ، بحيث لا يهزنا شئ .. ولا يحركنا شئ .. ولا يؤثر في جلودنا ضرب السياط .

فهل نحن 150 مليون مواطن عربي كما تقول الإحصاءات أم نحن 150 مليون سمكة موضوعة في الفريزر ؟؟؟

*** شاعر التعددية في الحب ، سموك ، في حين أن التوحد تجلى في (بلقيسياتك) . كيف تفسر هذه المسألة ؟**

ـ لقد كنتُ دائماً متوحداً ووحيداً في عشقي . وهذه الألقاب التي أطلقتها عليَّ الصحافة أبعد ما تكون عن طبيعتي وقناعاتي .

لا أحد يستطيع أن يحتفظ بكل لآلئ البحر .. ولكنه يحتفظ بلؤلؤة ..

ولا أحد يستطيع أن يحب الغابة كلها .. ولكنه يحب شجرة من الغابة .

ولا أحد يستطيع أن يقرأ كل الشعر في كل اللغات .. ولكنه يتذوق قصيدة .

ثم إن امتلاك نساء الأرض جميعاً لا يعني أنك أصبحتَ غنياً ، أو قوياً ، أو مشهوراً ، أو سيد زمانك .

أنا ، على العكس ، أعتقد أن الذي يعبد إلهاً واحداً .. عليه أن يحب امرأة واحدة .

جنيف - 25 نيسان 1987

احتللتُ بريطانيا لساعةٍ ونصف ..

حوار مع الأستاذ ياسين رفاعية ، مجلة (الدستور) ـ لندن - بتاريخ 1986/12/15 .

*** أمسيتك الشعرية التي قدمتها في قاعة (شيلسي تاون هول) في لندن ، في أوائل شهر نوفمبر / تشرين الثاني ، كانت حادثاً ثقافياً لم يسبق له مثيل في العاصمة البريطانية ، بحيث ذكرتنا بأمسياتك الشعرية التي كانت تستقطب ألوف المستمعين في بيروت ، وبغداد ، ودمشق ، والسودان ، وأبي ظبي ، والبحرين ، والشارقة ..**

ما هو شعورك أمام هذا النجاح اللندني ، وماذا كان يدور في ذهنك من أسئلة وأنت تدخل قاعة بلدية شيلسي في لندن ؟

ـ كنت أشعر ، وبدون غرور ، أنني أحتل بريطانيا ثقافياً لمدة ساعة ونصف ، بعد أن احتلتنا الإمبراطورية البريطانية مئة وثلاثين عاماً ..

إنه شعور مريح .. ولذيذ .. وخبيث في الوقت ذاته ..

شعور شاعر من دول العالم الثالث ، يتناطح مع بريطانيا على خشبة منبر .. وفي قاعة تملكها إحدى بلديات لندن ..

أليس هذا رائعاً ؟

هذه الفكرة الشيطانية حملتها معي بعد انتهاء الأمسية إلى البيت .. وظلت تحفر في دماغي حتى الصباح ..

طبعاً .. أنا لا أدعي أنني الأميرال نيلسون صاحب معركة الطرف الأغر ضد نابليون بونابرت .. ولا أنا الجنرال مونتغيمري بطل معركة العلمين ...

أنا جنرال من العالم الثالث يكتب شعراً .. وله إمبراطورية شعرية في العالم العربي لا تقل مساحتها عن مساحة الإمبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر ...

لا تؤاخذوني على هذه التشبيهات الاستعمارية .. ولكن خيالي الشعري جمح بي ، وأنا أرى ألوف العيون تحتضنني في قاعة بلدية شيلسي .. بحيث لم أعد أدري هل أنا الأميرال نيلسون .. أم أنا الأميرال نزار قباني ؟؟

مرة أخرى .. لا تؤاخذوني .. فإن حلاوة الانتصار أسكرتني وأعطتني رتبة الأميرالية .. لمدة ساعة ونصف .. فقط ..

*** هذا كلام جميل .. يا حضرة الأميرال .. ولكن من هو الجمهور الذي استمع إليك ؟ ما هي هويته ؟ ما هي ملامحه ؟ ما هي مواصفاته ؟**

ـ الجمهور الذي جاء إلى أمسيتي كان جمهوراً من العرب الذين لم يعد لديهم بيوت يسكنونها .. فجاؤوا ليسكنوا على ضفاف صوتي .. العرب الذين لم يعد لهم وطن يستظلون به .. فمنحتهم ـ خلال ساعة ونصف ـ وطناً بديلاً .. ينامون تحت أشجاره .. ويستحمون في أنهاره ..

نعم .. كان شعري هو الوطن البديل .. ولو للحظات ..

ولذلك كان الناس يقبضون على الكلمات .. كأنهم يقبضون على حفنة من تراب بلادهم ..

كانوا يصرخون .. ويبكون .. ويرتعشون .. كما ترتعش العصافير التي أضاعت منازلها ..

كانوا في حالة جوع شديد .. وعطش شديد .. واكتئاب شديد .. فهجموا على القصائد ليأكلوا قمحاً وعنباً ورماناً .. ويرموا أنفسهم في نهر الشعر الكبير ...

لقد كانت أمسيتي الشعرية في لندن أمسية عاصفة واستثنائية ، لأنني جمعت كل المعذبين في الأرض على ضفة الجرح العربي المشترك .. جمعتهم حول قصائدي ، وأوقدت لهم ناراً .. وصنعت لهم قهوة عدنية طيبة .. وأنمتهم على ركبتي .. وغطيتهم بأغطية الصوف حتى لا يؤذيهم برد لندن .

لم أكن بحاجة إلى علبة كبريت .. لأشعل النار في ثياب الجمهور وفي أعصابه .. فالجمهور كان معبأ بالحزن والقهر والغضب ، بحيث كان يحتاج إلى لمسة صغيرة .. لينفجر ..

وبالإضافة إلى الجمهور العربي ، كان هناك إنكليز .. وآسيويون ، وأفارقة .. ودبلوماسيون .. ومستشرقون .. وأكاديميون ...

وقد علمتني تجربتي اللندنية .. أن جمهورية الشعر بخير .. وأنها لا تزال رافعة أعلامها في كل مكان ..

*** أي حقيقة كنت تبحث عنها في شعرك طوال الأربعين سنة الماضية ، وهل عثرت عليها ؟ ما هو شكلها ؟ ما هو مضمونها ؟ كيف عبرت عنها بالشعر ؟**

ـ كنت أبحث عن الإنسان ، بصرف النظر عن لونه ، أو جنسه ، أو جنسيته ، أو غِناه أو فقره أو موقعه الاجتماعي .

كل شعر لا يتجه إلى الإنسان ولا يصب فيه . هو شعر عبثي وهامشي . الإنسان هو محور هذا العالم ، وهو القضية الكبرى التي تستحق النضال من أجلها والكتابة عنها ..

بدون الإنسان .. لا يوجد شعر .. ولا نثر .. ولا فلسفة .. ولا فكر .. ولا نحت .. ولا تصوير .. ولا مسرح .. ولا فنون تشكيلية .

وقصة الفنون كلها هي قصة الإنسان مع الأرض ، كما أن الديانات هي قصة الإنسان مع السماء .

ليس هناك أدب عالمي كبير وصلنا ، إلا كان الإنسان بطله الرئيسي ، من إلياذة هوميروس ، إلى ملحمة جلجامش ، إلى ألف ليلة وليلة .

كل هذه الأعمال الخالدة روت قصة الإنسان في حربه وسلامه ، في خوفه وطمأنينته ، في موته وفي انبعاثه ، في عشقه وفي انكساره ، في بطولاته وفي شهواته ، في إيمانه وفي كفره ، في انتصاراته وفي هزائمه .

والشاعر العربي كان دائماً باحثاً عن الحقيقة .. فعنترة كان يبحث عن الحقيقة في سيفه . وأبو فراس الحمداني كان يبحث عن الحقيقة في فروسيته .. والمتنبي كان يبحث عن الحقيقة في فلسفته .. وأبو نواس كان يبحث عن الحقيقة في كأسه .

إذن فالحقيقة الشعرية ليست واحدة .. وإنما هي حقائق .. وكل شاعر يصنع الحقيقة على الشكل الذي يناسبه ..

وأنا حقيقتي ، كانت أن أضع نفسي في خدمة الإنسان العربي ، وأحرره ، بواسطة الشعر ، من الكوابيس المرعبة التي تطحنه سواء على صعيد الحب .. أو على صعيد السياسة .. أو على صعيد القهر النفسي والثقافي والاجتماعي .

*** دائماً كان شعرك يبتعد عن التجريد ليلمس الواقع بكل ما فيه ويصطدم به كالشرارة . هل كنت تقصد ذلك عن عمد .. أم أنه جاء بالمصادفة ؟**

- لا يوجد في الفن مصادفات .. فالشاعر يخطط لقصيدته .. كما يخطط المناضل لثورته ..

على الشاعر الذي يحترم نفسه ، ويحترم تاريخه .. أن يعرف ماذا يريد .. وعلى أي أرض يقف .. وإلى أي مكان يريد أن يذهب .. وإلا تحول الشعر إلى لعبة قمار .. أو ورقة يانصيب ..

والشاعر الذي يعتبر الشعر ورقة يانصيب .. يربح مرة واحدة .. ويخسر آلاف المرات ..

أما أنا فلا أؤمن بأوراق اليانصيب في الشعر .. وإنما أؤمن بالواقعية الملموسة والمعاشة بكل ما فيها من نتوءات ، ومفارقات ، وتناقضات .

الشئ أمامي هو الشئ .. والشجرة هي شجرة .. والمرأة هي امرأة .. واللون الأخضر هو لون أخضر .. ولا أجد ضرورة للالتفاف حول الأشياء وتسمية الأشياء بغير مسمياتها ..

المرأة لا تصبح عندي حائطاً .. أو أوتوبيساً .. أو عمود كهرباء .. وعلاقات الحب ليست تقريراً سرياً أقدمه لأجهزة المخابرات ..

والوطن عندي هو الوطن بكل سماواته ، وحاراته ، وصبيانه ، وبناته ، وانتصاراته ، وانكساراته ، وضحكاته ، ودمعاته ..

الوطن عندي ليس استعارة .. ولا تشبيهاً .. ولا تورية جميلة . إنه حقيقة تاريخية ، وسياسية ، وقومية .. قبل أن يكون رمزاً ..

لذلك أتكلم مع الوطن باللغة ذاتها التي علمني إياها .. وأتفاهم معه كما يتفاهم الولد مع أمه بدون وسطاء ولا تراجمة ..

*** حرصت دائماً ، في شعرك ، وفي نثرك ، وفي مواقفك من الحياة ، أن تخرج المرأة العربية من القمقم .. أن تفتح لها كوة من النور تحت الأفق . هل تعتقد أنك نجحت ؟**

- إخراج المرأة من القمقم مرتبط بإرادة المحبوسات في داخل القمقم .. فإذا كان بعض النساء سعيدات ومستريحات في قمقمهن .. فإن مليون شاعر ، وعشرة ملايين قصيدة .. لا تكفي لإطلاق سجينة واحدة من المعتقل التاريخي ...

إن ثورة المرأة تعلنها المرأة نفسها .. وكل ما يستطع شاعر مثلي أن يفعله .. هو أن ينفخ في البوق .. ويحرض .. ويخطب في السجينات ..

ولكن الخطابة وحدها لا تكفي لتحرير عصفور واحد .. إذا لم تقرر العصافير أن تأكل قضبان الزنزانة .. وتخرج إلى الهواء الطلق .

*** هل يمكن اعتبارك شاعراً شعبياً ، بمعنى أنه يتجه إلى الملايين لا إلى العشرات .. وإلى الكافة دون الخاصة .. أو ما يسميها البعض (النخبة) ؟**

ـ شاعر شعبي ؟؟ يشرفني أن أنال هذا اللقب .. ولكن إياك أن تذكر ذلك أمام زملائي الشعراء .. لأنهم سيضربونك ..

إن (النخبة) هي كالشركات المحدودة الأسهم ، لا تتعامل إلا مع المساهمين فيها .. أما الجماهير فهي البحر الذي لا ساحل له .. أو هي ملعب كبير لكرة القدم لا يتألق فيه إلا من يلعبون جيداً ..

وأنا أفضل ألف مرة أن أكون (مارادونا) الشعر .. على أن أكون عضواً في مجمع اللغة العربية .

ثم ما هي النخبة ؟

إنها مجموعة من المعقدين الذين يلوكون أفكارهم على طاولات المقاهي .. ويتناسلون كالعنكبوت على رفوف المكتبات .. ويتحدثون عن الثورات الثقافية دون أن يشتركوا فيها .. ويتكلمون عن العشق دون أن يلامسوا ظفر امرأة ...

إن النخبة تحددني .. والجماهير تنثرني مطراً على كل القارات .. فهل من المعقول أن أترك البحر .. وأسافر في قطرة ماء ؟؟

*** يبدو لنا ، على المستوى العربي ، أنك شاعر كرَّس نفسه لإنقاذ الشعر من السفسطة ، والدوران في فراغ ، حتى استطاع أن يمتلك هذه القاعدة**

الشعبية النادرة . هل تحدد لنا كيف أقمت هذا الجسر الشعري مع الناس ؟ كيف أدخلتهم في حزب الشعر ؟

ـ لكي تـُدخِل الناس إلى حزب الشعر ، لا بد أن تعتمد مبدأ الديمقراطية ، لأن الشاعر إذا لم يكن ديمقراطياً فيما يكتب ، تحول إلى ديكتاتور كسائر الديكتاتوريين ..

ولكي تبني جسراً مع الناس ، لا بد أن تكتشف لغة قادرة على التواصل والإيصال .. فاللغة عنصر أساسي في عملية الزواج بين الشاعر وجمهوره . فشاعر بلا لغة هو شاعر منفي عن محيطه ، ومعزول في جزيرة نائية .. إنه شاعر عانس لا يستطيع أن يتزوج أحداً .. ولا يقبل أن يتزوجه أحد ..

ثم لكي تـُدخل الناس إلى حزبك الشعري ، لا بد أن تكون صادقاً وحاسماً وشجاعاً . فالجماهير لا تصفق أبداً لشاعر يكذب عليها .. ولا تتسامح مع أديب مزدوج الشخصية ، ومذبذب في أفكاره ومواقفه .

إن الشاعر الغشاش لا مكان له بين الجماهير ، وكذلك الشاعر المهرج .. والشاعر الذي يأكل من خبز السلطان ، ويضرب بسيفه .

ولعل الجمهور العربي الذي يجري الشعر مع الكريات الحمراء والبيضاء في دمه ، هو من أكثر الجماهير في العالم ذكاء وحساسية .

فكم من شاعر عربي كان لسنوات خلت ملء العين والبصر ، أسقطه الجمهور العربي بعدما انكشفت أوراقه .. وانكشفت تحولاته .. وانكشفت عورته وهو يرقص على حبال الوصولية والانتهازية .

وأخيراً ، لكي تنضم الجماهير إلى حزبك الشعري ، لا بد أن تكون شريكاً لهذه الجماهير في آمالها ، وأفراحها ، وأحزانها ، وهمومها القومية والعاطفية ، والنضالية . فالشاعر الذي يعيش على هامش التاريخ السياسي والقومي والاجتماعي لأمته .. لن يجد من يقرؤه .. أو من يسمعه .. أو من يطرق باب بيته ...

*** إنك تنتقل إلى شعر الغضب بعد سنين طويلة من الدوران الجميل حول الحب الجميل .. لماذا أصبحت شاعراً غاضباً .. ؟**

ـ لو أني استمريت في الدوران حول شعر الحب حتى اليوم .. لأصبت بالدوخة .. ووقعتُ على الأرض ..

إن العالم العربي يدور منذ هزيمة 1967 حول سيخ من الحديد المشتعل .. وليس من المعقول أن أبقى محتفلاً بعيد شم النسيم .. والولايات المتحدة تريد أن تجعل من الشعب العربي شعباً من الهنود الحمر ...

ثم إنني لست غاضباً وحدي .. فما يجري على الأرض العربية من انتهاكات ، وتنازلات ، ومؤامرات .. جعل كل شئ غاضباً بما في ذلك القطط والكلاب في الشوارع .

إن الغضب هو الحد الأدنى الذي أستطيع أن أمارسه .. فهل عندك وصفة أخرى لجراحاتي النازفة غير الغضب ؟

*** زحفت إلى أمسيتك الشعرية في لندن الجالية العربية بكل جنسياتها فحققتَ بالشعر ما كان يعجز عنه الحكام .. كيف كان شعورك في هذه اللحظات ؟**

- سبق لي أن قلت إنني وحدت بشعري العرب .. أكثر مما وحدتهم جامعة الدول العربية ..

وإذا كان المسؤولون العرب عاجزين عن التفاهم سياسياً وأيديولوجياً واستراتيجياً .. فليتركوا للشعراء مهمة توحيد العرب ثقافياً .

إن مهرجان المربد الذي يقيمه العراق كل عام ، ومهرجان أصيلة الذي يقيمه المغرب ، ومهرجان قرطاج الذي تقيمه تونس ، ومهرجان جرش الذي يقيمه الأردن . كل هذه المهرجانات الثقافية الناجحة تؤكد أن الثقافة تستطيع أن تصحح ما أفسدته السياسة ، وأن الإنسان العربي هو وحدوي في فطرته ، ولكن الذين تولوا أمره بنوا حوله الأسوار العالية ، ووضعوا الأسلاك الشائكة ، والحواجز المسلحة ، ورفعوا عليها رايات ملوك الطوائف ...

إن العالم العربي اليوم يعيش واقعاً انفصالياً وتجزيئياً رهيباً .. وعلى المثقفين العرب أن يلصقوا ما تناثر من أجزاء هذا الوطن ويعيدوا إليه كيانه الواحد .

*** صرنا نعرف نحن الذين نتابعك في كل مكان ، أنك تعرف جمهورك جيداً .. وتعرف كيف تذهب إليه .. لماذا أنت استطعت ، وغيرك لم يستطع ؟**

- الجمهور طفل من السهل جداً أن تكسب رضاه .

بقطعة حلوى ، بصورة جميلة ، بفكرة جديدة ، بكلمة حنونة ، يمكنك أن تصل إلى قلب الجمهور .

ولكن بعض الشعراء ، يستعملون مع الجمهور ، العصا .. والقسوة .. والعجرفة .. ويدوخونه بالفوازير .. والكلمات المتقاطعة ..

ومرة أخرى أعود إلى تعبير الديمقراطية في الشعر .

الديمقراطية في الشعر ، تعني أن نقيم حواراً متكافئاً مع الناس ، فلا نستكبر ولا نستعلي عليهم .. ولا نشعرهم بالدونية وعقدة النقص ..

هذا هو شعبنا العربي .. وعلينا أن نقبله كما هو .. بكل طيبته وبساطته ، بكل طبقاته الفقيرة والمتوسطة والغنية . بكل حسناته وسيئاته .

إن قدري أن أكون شاعراً من هذا الشعب ولهذا الشعب . لا أستطيع أن أستورد شعباً من السويد .. أو الدانمرك .. أو النرويج .. لأسمعه شعري .. فالسويديون والدانمركيون عندهم شعراؤهم ..

ثم أنا لا أستطيع أن أنتظر حتى يأخذ المئة والخمسون مليون عربي شهادة الدكتوراه من السوربون أو من كمبردج .

فالجامعات لا علاقة لها بالشعر ..

إن الشعر زهرة متوحشة تنبت في براري الحزن .. وتطلع من الأدغال الأفريقية .. لا من الجادة الخامسة في نيويورك .. أو من القصور الأرستقراطية في مايفير ..

أنا لم أجد جمهوري جاهزاً .. ولم أشتره من السوبرماركت .. ولكنني ربيته خلال أربعين عاماً ، قبلة قبلة .. ودمعة دمعة .. وكلمة كلمة .. وقصيدة قصيدة ..

إن جمهوري الشعري لم يأت من الفراغ .. ولم يهبط من السماء .. ولكنه كبر .. وترعرع .. كما تكبر أشجار الورد عندما نسقيها من دموعنا .. ومن دمنا ...

* حنينك إلى بيروت يمثل حنين الألوف من غير اللبنانيين الذين أحبوا هذه المدينة . إذن ، ما هي مميزاتها عن غيرها من المدن العربية ؟

ولماذا لم تجد أنت ولا نحن بديلاً لها في جنيف ولا في باريس ولا في لندن ، ولا في أي مدينة في العالم ؟ .

- بيروت حادثة حرية لا تتكرر كل مليون سنة مرة . إنها كقصص الحب الكبيرة لا تعيد نفسها ..

مشكلتنا مع بيروت أنها أعطتنا جرعة من الحرية أفقدتنا صوابنا . حتى صارت كل المدن في العالم تأخذ صفراً في امتحان الحرية إذا قيست ببيروت .

مشكلتنا يا عزيزي أننا (أدمنا) بيروت .. كما يدمن الشارب نوعاً معيناً من الشراب .. فإذا أعطيته نوعاً آخر ، أصيب بالصداع وتعكر مزاجه .

مشكلتنا أن بيروت كانت حبنا الأول .. وعندما رحلنا عن بيروت لم نجد بين نساء العالم امرأة واحدة تستحق أن تكون وصيفة أو خادمة لدى بيروت .

هذا هو المأزق الخطير الذي وقعنا فيه جميعاً ..

مأزق الطفل الذي فصلوه عن ثدي أمه .. وعن حليبها الطبيعي ، ثم قالوا له اذهب إلى نيويورك وكُلْ (هامبورغر) .. أو اذهب إلى أحد المطاعم الهندية في لندن وكُلْ (كاري) .. أو اذهب إلى باريس واشرب شوربة بصل ..

والأمر الأدهى ، أن بيروت علمتنا أن نكتب من اليمين إلى اليسار .. وحين وصلنا إلى منافينا الأوروبية طلبوا منا أن نغير عاداتنا الكتابية فنكتب من اليسار إلى اليمين ...

أنا لا أستطيع أن أكتب العربية من اليسار إلى اليمين .. ولا من فوق إلى تحت على الطريقة الصينية .. ولا أستطيع أن أعشق إلا على الطريقة البدوية .. ولا أستطيع أن أقبِّل شفة امرأة بالشوكة والسكين ..

إن باريس على فتنتها ، ولندن على ضخامتها ، وجنيف على شاعريتها ، ليست سوى محطات استراحة لآلاف المعذبين في الأرض .. ومقهى الفوكيه في باريس ليس البديل لمقهى الحاج داوود أو مقهى دبيبو .. كما أن ساحة الكونكورد ليست البديل لساحة رياض الصلح ..

*** أحد ديوانيك الأخيرين عنوانه (سيبقى الحب سيدي) .. أي حب تقصد ؟**

ـ ليس لديَّ مناطق جغرافية للحب .. ولا أقاليم .. فأنا حين أحب ، أعانق العالم بجميع جزئياته وتفاصيله ، وأتلاشى فيه نهائياً ..

ومثلما أحب البحر ، والأفق ، والوردة ، والمرأة ، وصوت المطر ، فأنا أحب الحرية ، والحقيقة ، والعدل ، والخير ، والفروسية ، والكبرياء ، والبطولة ، والطفولة .

إن بحر الحب بحرٌ لا نهائي .. وليست المرأة فيه سوى جزيرة صغيرة تزودنا بالماء والوقود ، قبل مواصلة الرحلة .

*** ها أنت الآن في ذروة شهرتك الشعرية ، هل تعتقد أنك أعطيت كل ما عندك ؟**

- ليس من السهل على الشاعر أن يصدر مثل هذا القرار . لأنه قرار دراماتيكي . إن الشجرة التي تطرح ثمرها كل موسم ، لا تستطيع أن تقول أن هذا هو آخر الثمر .. والبحر الذي يضرب الشاطئ بأمواجه لا يستطيع أن يعلن أن هذا هو آخر الموج ...

إن حركة أصابعي على الورقة هي التي تملك اتخاذ القرار .. وكل ما أستطيع أن أقوله هو تنويع على قول ديكارت المشهور : (ما دمت أكتب .. فأنا موجود) .

*** بالتأكيد ، أنت أسستَ حزباً للحب الجميل من خلال شعرك .. انضم إليه مئات الألوف من العشاق العرب .. هل لك أن تحدد لنا شروط الانضمام إلى هذا الحزب .. وتعطينا فكرة عن مبادئه ؟**

- الدخول إلى حزب الحب مفتوح ، أمام كل الصادقين ، والأنقياء ، والعشاق الحقيقيين . أما (المزعبرون) .. والممثلون .. والمزوِّرون .. والراقصون على حبال ألف امرأة .. وامرأة .. فلا مكان لديهم لدينا ..

إننا نشترط على العاشق أن يحرق نفسه أمام حبيبته على الطريقة البوذية .. وبعد ذلك نأخذ رماده ، ونضعه في قارورة .. ونحتفظ بها في مختبر الحزب .. مع رماد جميل بثينة .. ومجنون ليلى .. ومجنون إلزا ..

أما عن مواصفات المرشحين لدخول حزب الحب ..

فنحن في اللجنة المركزية للحزب ، لا نفرق بين الأبيض والأسود ، وبين المليونير والشحاذ ، وبين البرجوازي وبين البروليتاري .. وبين من يأكل عند (مكسيم) وبين من يأكل عند (مرّوش) ، وبين من يركب سيارة فيراري وبين من يركب أوتوبيس الدولة .. وبين من يحمل الدكتوراه من جامعة هارفارد .. وبين من يحمل شهادة فقر حال ..

نحن لا نسأل في حزب الحب ، عن أعمار المرشحين ، ولا عن طبقتهم الاجتماعية ، ولا عن رصيدهم المصرفي ، ولا عن ديانتهم .. فالدين لله .. والحب للجميع ..

والشرط الوحيد الذي نطلبه من المتقدمين إلى عضوية الحزب .. أن يكونوا من خريجي مستشفى المجانين .. لأن حزبنا لا يتعاطى مع العقل ولا مع العقلاء ..

* أحببتَ من غير شك .. من هي المرأة التي امتلكت قلبك .. ما هي ملامحها الخارجية والداخلية .. ما الذي عليها أن تفعله حتى ترضيك ؟

ـ عليها .. أن تحفظ على الأقل ألف بيت من شعري قبل أن تتقدم لخطبتي .. واعذروا نرجسيتي ...

*** وإذا كانت تحفظ مئة بيت فقط ؟**

ـ أنا آسف ...

*** ولكنك بهذه الشروط القراقوشية تريد أن تتزوج الشعر لا المرأة ..**

ـ أريد أن أتزوج المرأة ـ الشعر .

*** هل تعتبر نفسك شاعراً حديثاً ، أم شاعراً تقليدياً .. أم الاثنين معاً ؟**

ـ أعتبر نفسي شاعراً .. ولستُ مضطراً لإبراز جواز سفري على أي حاجز من حواجز النقد ...

*** تعبير الحداثة أصبح تعبيراً غائماً وغامضاً ومثاراً لجدل يومي مستمر ، بحيث أصبحنا أمام (حداثات) متناقضة ، ومتعارضة ، لا أمام حداثة واحدة .. فما هي الحداثة الحقيقية ، وأين مكانها في هذه الفوضى الشعرية الضاربة في كل مكان ؟**

ـ إنني لست ضد تعدد الأصوات ، وتعدد التجارب ، وتعدد الطموحات . فمن أجل أن تخرج البذور الجديدة من الأرض .. لا بد أن يتشقق التراب ، وتعصف الرياح ، وتتلبد الغيوم ، وتفيض الأنهار .

فما يبدو لنا أنه فوضى .. وعبث .. ليس سوى مخاض ستأتي بعده الولادة الكبرى ..

صحيح أن هناك جرأة ، وانتهاكاً ، ومخالفة للأصولية وللنماذج الشعرية المعترف بها ، ولكن هذا يحدث دائماً في كل الثورات .. حيث تنهار أبنية وتنهض أبنية .. وتسقط أفكار وتولد أفكار .. وينسحب الكلام القديم أمام ديناميكية الكلام الجديد .

العالم العربي كله في مخاض اجتماعي ، وسياسي ، وثقافي ، وجيوبوليتيكي ، والشعر هو جزء لا يتجزأ من هذا المخاض الكبير .

إذن فالحداثة شئ طبيعي ، ونحن على مفترق القرن الواحد والعشرين . وليس من الطبيعي أن نبقى متمسكين بعباءة الخليل بن أحمد الفراهيدي ... وعلماء الكومبيوتر يبشروننا أن الكومبيوتر سيكتب عما قريب قصائد العشق .. كما لم يكتبها قيس بن الملوح .. وقصائد الزهو والكبرياء كما لم يكتبها أبو الطيب المتنبي ...

* ما الذي تحبه أكثر من غيره في الطبيعة .. ؟

- البحر .. لأنه حوار مكتوب باللون الأزرق ...

* ما رأيك بالشعر الذي تكتبه المرأة ؟ .

- خلصونا من هذه التفرقة العنصرية .. بين صوت الرجل وصوت المرأة ..

وإذا أردتم رأيي .. فإنني أفضل صوت الحمامة .. على صوت ابن آوى ..

* بيروت التي ذبحوها .. ألهمتك الكثير من الشعر ، كيف تنظر إليها الآن وأنت بعيد عنها كل هذا البعد ؟

- بيروت تلاحقني في صحوي وفي نومي .. ودمها يغطي ثيابي وأوراقي وشراشف سريري ..

كل يوم أطلب رقم بيتي في بيروت .. أعرف أنه لن يجاوبني أحد .. وأعرف أنني موجود في جنيف .. ومع هذا أستمر في لعبتي العبثية ،

فلربما تحدث المعجزة ويرد نزار قباني الموجود في بيروت .. على نزار قباني الموجود في جنيف ..

أعرف أن هذا (ولدنة) .. وخفة عقل .. ولكنني أتعلق بحبال الأمل ، وأقوم بمكالمة هاتفية مع المستحيل .. لا لشئ .. وإنما لأتأكد أن تلفوني في بيروت لا زال على قيد الحياة .. وأن المقعد الذي كنتُ أجلس عليه لأكتب شعري .. سوف ينهض من مكانه إذا سمع جرس التلفون .. ليرد عليَّ ..

ربما هذا حديث حشاشين .. أو حديث مسطولين .. أو حديث سكارى .. ولكن من قال لك إن العشق والسُكْر لا يتشابهان ...

إن رنين تلفون بيتي في بيروت .. يريحني .. ولذلك أطلب الرقم كل يوم .. وأعانق السماعة لخمس دقائق .. ثم أضعها في مكانها .

وهذا يذكرني بالعاشق الذي يعرف أن حبيبته تزوجت .. وأنجبت .. وسافرت مع زوجها إلى الخليج .. ومع ذلك فهو يصر أن يشتري وردة حمراء كل يوم .. ويضعها تحت شرفة بيتها ..

قد تكون هذه التصرفات صبيانية ، ولا تليق برجل محترم مثلي .. ولكنني أعترف لكم أنني مجنون بعشق بيروت .. ومجانين العشق لا يحاسَبون على تصرفاتهم ...

إن عشق بيروت هو من باب اللا معقول ..

ونسيانها هو ضرب من اللا معقول .. أيضاً ...

*** هل تختلف نظرتك إلى الحب الآن عما كانت عليه في فجر شبابك .. أم أن الحب هو نفس الحب ، والنظرة نفس النظرة ؟**

ـ هذا سؤال غير علمي ، لأنه يفترض أن الأرض لا تدور .. والعيون السود الكبيرة لا تذبل .. والنهد الذي كان أعلى من جبال الهملايا .. وأعظم من كل الملوك والأباطرة ، لا يتخلى عن العرش ...

إن الحضارات تزدهر وتسقط .. والغابات تخضر ثم تيبس .. والأنهار تمتلئ ثم تنشف .. ونظرتنا إلى الحب تتعرض لألوف التعديلات والتصحيحات ..

ففي سن الخامسة عشرة يكون الصبي مستعداً أن يحب حتى قطة البيت الأنثى ..

وفي العشرين يحب الفتى أول جارة له يراها وهي تنشر الغسيل ..

وفي الخامسة والعشرين ، عندما يذهب الطالب إلى أوروبا للتخصص ، يقع في غرام أول غرسونة تقدم له الطعام في مطعم شعبي ..

وفي الثلاثين .. يصبح الحب لدى رجل الأعمال صفقة تجارية محسوبة ..

وفي الخمسين .. يبدأ الرجل يراجع حساباته القديمة .. ويتذكر أهم انتصاراته .. وينسى أن يتذكر هزائمه ..

وفي الستين يتراجع عقل الرجل 180 درجة مئوية إلى الوراء .. ويبدأ في البحث عن عروس بعمر حفيداته ... ليؤكد سخفه وانهيار ملكاته العقلية ..

هذا هو الخط البياني للحب .. وهو كما ترى خط كثير التذبذب والانحناءات .. يبدأ بمراهقة الجسد .. وينتهي بمراهقة العقل .

*** العصر العربي الحالي أردأ عصر شهدناه في تاريخنا . ما هو في رأيك سبب هذا السقوط الكبير ، وأنت الشاعر ذو الرؤية الثاقبة ؟**

ـ السبب أن بعض الحكام العرب يتصرفون بمصير مئة وخمسين مليون عربي دون تفويض منهم ..

إن الحاكم العربي يعتبر نفسه المطرب الأول .. وصاحب الصوت الأجمل .. لذلك كانت حياتنا السياسية نشازاً بنشاز .. لأن الشعب ـ وهو صاحب الصوت الأحلى والأرخم ـ ممنوع من الغناء بأمر عسكري لا يقبل الاستئناف ولا التمييز .

أنا نزار قباني .. لا كارلوس ..

هل الشعر العربي في مأزق ؟

إنه السؤال التقليدي الذي يواجهك في كل حوار أدبي .

وأنا أتصور أن السؤال ساذج جداً .. أو خبيث جداً . أو أنه لا يعرف شيئاً عن نسيج الشعر ومكوناته .

الشعر هو الإنسان .

وعندما يكون الإنسان في مأزق .. فإن الشعر بالتبعية يدخل في ذات المأزق ..

فكيف تريدونني أن أكتب شعراً ، في زمن اللاشعر ؟

وكيف تريدونني أن أكتب نشيد الإنشاد .. في زمن اللاحب ..

وكيف تريدونني أن أكون مغني هذه الجاهلية الجديدة التي أكلت أنبياءها .. وأكلت شعراءها ...

هذا هو المأزق الكبير .

مأزق أن تكون شاعراً على هذه الأرض الممتدة من كربلاء إلى كربلاء ..
وليس كما يقولون من الماء إلى الماء ...

ومأزق أن تكون حراً في عصر يعتقل حتى صيحة البلبل ، ونسمة الهواء ..

ومأزق أن تكون عاشقاً في وطن حذف من قاموسه أسماء النساء ..

وأخيراً .. مأزق أن تكون إنساناً في بلد لم يقرأ من كتب الجاحظ غير كتاب (الحيوان) ....

*

وإذا كان الزمن العربي يحترق ..

فلماذا يمد الشاعر أصابعه إلى النار ..

وإذا كان (الإيدز) قد وصل إلى ثقافتنا ، وأقلامنا ، وأوراقنا ... فلماذا يدخل الشاعر منطقة التلوث ؟ لماذا يورط نفسه في هذه اللعبة الخطرة ؟

ربما لأن من طبيعة الشعر .. أن يكون دائماً متورطاً ..

وربما لأن من وظيفة الشعر ، أن يكون دائماً في داخل المغامرة .. وفي داخل الانفجار ..

وربما لأن الطفل في أعماقي .. يريد أن يحطم بعض الأواني ، ويكسر أرجل الطاولات .. ويدلق زجاجة الحبر على سجادة الكاشان .

وربما لأنني سادي بطبعيتي ، وأحب أن أعذب من أحبهم .. مرة بشعر الحب .. ومرات بشعر السياسة .

هناك التباسٌ كبير فيما يتعلق بماهية الشاعر ..

فالبعض يظنه مصلحاً ، والبعض يظنه راهباً .. والبعض يظنه درويشاً .. والبعض يظنه رائياً أو كاشفاً .. والبعض يظنه مجنوناً .. أو صعلوكاً .. أو مخرباً .. أو متآمراً على سلامة المجتمع ..

والتآمر على سلامة المجتمع ، تهمةٌ قديمة . فكل مجتمع لا يريد أن يتغير .. ولا يريد أن يخرج من حالة (الكوما) التي هو فيها .. يقول لك إن الشعراء مخربون ، وهدامون ، ومجانين ، ولا بد من الحجر عليهم في مصحة للأمراض العقلية .

وأفلاطون ، أبو الفلاسفة ، خاف هو الآخر على جمهوريته الفاضلة منهم .. وطالب بترحيلهم ، لأنهم يشكلون خطراً على أمن الدولة ، وثباتها ، واستمرارها ..

مِن هنا نفهم أن كل العالم هو ضد طفولة الشاعر ..

لماذا ؟

لأن شيخوخة الدولة ، لا تستطيع استيعاب أحلام الشاعر ، ومراهقته ، وبالوناته الملونة ، ومفرقعاته الخطرة ...

الأطفال دائماً مضطهَدون .. في المجتمعات الهرمة ، المرتجفة الأصابع ، المقوسة الظهر ...

والشعر هو واحد من هؤلاء الأطفال الذين يوصفون دائماً ، بسوء السلوك ، وقلة الأدب .

*****

في أوروبا لم يطلق أحد الرصاص على هذا المجنون السريالي الأكبر الذي يدعى سلفادور دالي ... ولا جاءت سيارة الإسعاف ، ونقلت أندريه بروتون ، وخوان ميرو ، وبيكاسو ، وشاغال ، وتريستيان تزارا ، وصموئيل بيكيت .. إلى مستشفى الأمراض العصبية ..

في الغرب ، يحترمون طفولة الشاعر .. ويحترمون جنونه أيضاً ..

أما عندنا .. فطفولة الشاعر ممنوعة بقرار عسكري ، وعلى الشاعر أن يولد من بطن أمه ، وعلى رأسه عمامة أبي العلاء المعري ...

*

إنني لا أطلب منكم عرشاً .. ولا صولجاناً ...

إنني أطالب بحقي في أن أعيش طفولتي ... وأن أستعمل محابري .. وأقلامي الملونة .. وطياراتي الورقية ..

اِفهموني جيداً ، أيها السادة .

فأنا شاعرٌ . ولستُ بلاطة ، ولا حائطاً ، ولا صرَّافاً ، ولا متعهد عمارات ، ولا وكيل سيارات .. ولا تاجر سلاح ..

قد يكون عندي حماقاتي الصغيرة ، ونزواتي الصغيرة ، ولكن أي طفل في العالم ليس له حماقاته ، ونزواته .. حتى طفل الأنابيب ..

افهموني جيداً .. أيها السادة .

فأنا لا أشتغل في تزفيت الطرقات .. والتنقيب عن المعادن .

إنني أشتغل في (التنقيب) عن الإنسان ...

*****

أنا نزار قباني .

ولستُ كارلوس الذي يتعقبه الإنتربول من مكان إلى مكان .

إنني أنتمي للشعر وحده .. وأؤمن بالله ، والرسول ، واليوم الآخِر .

وأؤمن بالحرية بكل مشتقاتها ..

وأكره القمع بكل مشتقاته ..

وأكره الذين يمتصون دم الشعوب ، ويمتصون دم القصائد .

*****

تأملوا وجهي جيداً .

هل أنا أشبه دراكيولو .. أو بوكاسا .. أو بيريا ؟

عندي هوايات شعرية . وليس عندي هوايات إرهابية .

ومنذ ولادتي ، وأنا متفرغٌ لجعل مساحة الحب في العالم أكبر ..

ومساحة الحقد أصغر ..

منذ ولادتي ، وأنا أحاول أن أحوِّل الوطن العربي إلى كتاب شعر ، لا إلى مسلسل بوليسي .

*

إنني أنزف منذ أربعين عاماً على الورق ..

وأحب لون نزيفي ..

وأولد .. وأموت .. مع كل قصيدة أكتبها ..

هذه هي سيرتي الذاتية وليس لديَّ سيرة ذاتية سواها .

*

هذه نبذة عن حياتي ، أقدمها لكل وزراء الداخلية في الوطن العربي .. علهم يشطبون اسمي من ملف المشبوهين والمطلوبين .

إنني لا أتحدث هنا عن مأزقي الشخصي .

فالشعر كله اليوم في مأزق .

إنه محاصَر من الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، ولا أحد يريد أن يفك هذا الحصار . كأنما الجميع قد اتفقوا على أن الشعر لا لزوم له في حياتنا ، وأنه برغشة تنقل الملاريا ... وزائدة دودية لا ضرر من قطعها ....

*

انتهى العصر العربي للشعر . وبدأ العصر (التـَنـَكيّ) .

عصرٌ إذا حملتَ فيه بقصيدة ، أجهضوك وأنت في شهرك الخامس .. وإذا نشرتَ مجموعة شعرية ، اعتبروها بنت زنى .. وأخذوها إلى دار اللقطاء .

في هذا المناخ البوليسي ، الفاشستي ، الجاهلي ، الماضوي ، نمارس هواية الموت على أوراقنا .. ونمشي كالثيران الإسبانية إلى مصيرنا المصبوغ باللون الأحمر .

الشاعر العربي ، مثل الثور الإسباني ، يعرف أنه سيموت في آخر الشوط ، ولكنه لا يستطيع الهروب من موته الجميل .

ربما كانت المقارنة بين الشاعر العربي ، والثور الإسباني ، مقارنة مأساوية . ولكنهما يلتقيان في عظمة الشهادة .

فواحدٌ يموت على ورقة بيضاء ..

وواحدٌ يموت على حفنة رمل ...

تشرين الثاني (نوفمبر) 1983

أنت تكتب .. إذن فأنت مفضوح ..

هذه الأمسية ، ستكون أمسية شعرية مجنونة ، كهذا العصر المجنون . لا أعدكم أن يكون عقلي كبيراً .. فالعقل الكبير لم يكن في يوم من الأيام من أسس الشعر ، أو من مكوناته .

ثم لا أعدكم أن أمشي على الصراط المستقيم ، فالصراط المستقيم قد يوصل إلى الجنة ، ولكنه لا يوصل إلى الشعر .

ثم لا أعدكم أن أتقيد بالإشارات الضوئية الخضراء والحمراء .. لأنني تخرجت من مدرسة الجانحين .. ولم أتخرج من مدرسة شرطة المرور ..

ثم لا أعدكم أن أكون طيباً ودرويشاً .. فأنا في الشعر ضد الدروشة والدراويش .

ثم لا أعدكم أن أكون في هذه الليلة ولداً حسن السيرة والسلوك ، ومطيعاً لأبويه .. فأنا في الشعر قتلت آبائي ، وانتهى الأمر .. وأحرقتُ شجرة العائلة ، ورميت جواز سفري في البحر .. ومزقت عباءة الرمل التي صارت أصغر من جسدي .

وأخيراً .. لا أعدكم أن أستعمل الشوكة والسكين .. في مقاربة الشعر . فأنا بدوي يهجم على الحقيقة بأسنانه وأظافره ، ولم يقرأ في حياته كتاباً واحداً في فن (الإتيكيت) ..

ليس لي قبيلة تدعي أنني ابنها ...

وليس هناك شيخ قبيلة أعطاني يده لتقبيلها .. ولم أعضها ..

وليس لي أم نزلتُ من بطنها بعد تسعة أشهر ..

فأنا نزلت من بطن الحزن بعد حمل استمر تسعة ملايين سنة ..

وأخيراً .. ليس لي اسم نهائي مكتوب على تذكرة هويتي .

فالحرية تعطيني كل يوم اسماً جديداً ..

والريح هي التي تخترع عناويني ..

*****

سأقرأ عليكم نصوصاً شعرية تقترب من حدود الفضيحة ، دون أن أشعر بحاجة للاعتذار من أحد . فأنا أعرف مسبقاً أنني شاعر مفضوح .. وأن غالبية الدساتير في الوطن العربي تقول في مادتها الأولى :

(أنت تكتب .. إذن فأنت مفضوح ..)

أو (أنت تتعاطى الشعر .. إذن فأنت مذبوح ..) .

إن النص الشعري ـ كما أتصوره ـ هو نص هجومي ، وتصادمي ، وهارب من بيت الطاعة . ويوجعني أن أقول إن أكثر قصائدنا العربية قضت نصف عمرها في بيت الطاعة ، تكنس الأرض ، وتمسحها ، وتغسل ثياب الأنظمة وتكويها .. حتى أصيبت بشلل الأطفال .. وبانحناء مزمن في عمودها الفقري من كثرة الركوع والسجود .

*****

لا أريد أن أورطكم معي .. وأن يشاهدكم أحد على شاشة التلفزيون وأنتم متلبسون بجريمة الاستماع إلى الشعر ..

فمن يخاف على روحه ، ورزقه ، وعياله ، ومرتبه الشهري .. فلينجُ بريشه .. ومن كان منكم كالقطط سبعة أرواح .. فليبق في مقعده .. ولن يصيبنا إلا ما كتب الشعر علينا ..

ففي هذه الليلة ، سأقرأ شيئاً من شعر الحب .. وأشياء من شعر السياسة . ففي هذا الزمن العربي الذي لا يُسمى ، اختلطت الأوراق ببعضها خلطاً

سريالياً عجيباً ، حتى وُلد جنسٌ أدبي جديد ، يمكن أن نطلق عليه اسم (الحب السياسي) .

فالمرأة ، لم تعد قمراً كما كانت في أدب المنفلوطي ، وإنما تحولت إلى قنبلة موقوتة ...

وفمها لم يعد وردة .. أو حبة فراولة .. وإنما تحول إلى منشور سياسي ..

ونهدها .. لم يعد شجرة ياسمين ، وإنما تحول إلى كتيبة مسلحة ..

العشاق العرب اليوم ، أصبحوا يعشقون (كالروبوت) على البطاريات .. فالقبلات أصبحت أيديولوجية .. واللمسات أصبحت استراتيجية .. والهمسات على الهاتف .. أصبحت شبيهة بالبلاغات العسكرية ...

إنني لا أحاول (تسييس) الشعر ، أو إلباسه اللون الكاكي . ولكنني أشعر أن زلزالاً سياسياً ، وقومياً واجتماعياً ، وثقافياً .. قذف الشعراء من وراء مكاتبهم ، ووضعهم على الخطوط الأمامية للمعركة ..

وأنا واحد من شعراء الحب الذين ضربهم الزلزال .. فجردني من ملابس عمر بن أبي ربيعة .. وألبسني ملابس الجنرال رومل .. أو الجنرال عنترة بن شداد .. أو الجنرال عمرو بن العاص سفير العروبة العظيم إلى أرض الكنانة .

وبعد .. فشكراً لكم لأنكم منحتموني ساعة جميلة من الوقت أمارس بها جنوني ..

وشكراً للورق الأبيض الذي امتص حرائقي ..

وشكراً لكم لأنكم دخلتم معي إلى منطقة الإشعاع النووي .. وتحولتم إلى غمامة بنفسجية ...

نيسان (أبريل) 1985

اخترتُ أن أكون خنجراً ...

الكلمة التي افتتح بها الشاعر أمسيته الشعرية في عمَّان (الأردن) بتاريخ 1987/4/13 .

لن أكون هذه الليلة شاعراً رقيقاً .. كما تنتظرون .

لأن المفهوم العربي للشاعر الرقيق ، يعني أن يدخل هذا الشاعر في سلك الدروشة .. ويمشي من الحائط إلى الحائط طالباً من الله السترة ...

لذلك فإنني أعتذر لكم عن قبول لقب الشاعر الرقيق .. أو الشاعر المستور .. لأن الرقة والسترة هما من أعمال الجمعيات الخيرية . بل هما مؤامرة مضادة للشعر .

وأعترف لكم بادئ ذي بدء ، أنني شاعر غير منضبط وغير مريح .. وغير مؤدب .. وأنني لم أقص أظافري الشعرية منذ أن كنتُ في العاشرة من عمري .

أعترف لكم أيضاً أن عندي حساسية مفرطة من رائحة السلطة ، سواء كانت سلطة بوليسية .. أم سلطة نسائية .

أعترف لكم أيضاً أنني مشاغب وعدواني . وأنني الآن عاطل عن العمل ، لأني قتلت جميع أسيادي .. وجميع أرباب العمل الذين اشتغلت معهم .. كما قتلتُ مدرس التاريخ الأهبل الذي لا يزال يصر على أن مدينة غرناطة لا تزال ولاية من ولايات أمير المؤمنين .. وأن مسجد قرطبة الكبير لا يزال تابعاً لوزارة الأوقاف في المغرب ..

ولأن كتاباتي لم تلتزم بمنطق القبيلة وقناعاتها ، فقد وجدتُ نفسي كالشعراء الصعاليك .. على رصيف الشارع العربي .

وتلك هي ضريبة الكلمات التي ترفض زواج المتعة .. وترفض أن تنام مع السلطة في فراش واحد .. فالزواج من السلطة هو جحيمٌ في النهار .. وكوابيسٌ في الليل ..

وخير للكاتب أن يبقى عازباً إلى أبد الآبدين .. من أن يتحول إلى خادمه سيريلانكية .. تنتقل من مالك إلى مالك ، ومن متعهد إلى متعهد .. وفقاً لمتطلبات السوق السياسية ، وقوانين العرض والطلب .

لو كان على الشعر أن يكون مؤدباً ، ومهذباً ، ويعمل بتعاليم السلف الصالح ، من أن خير الأمور الوسط ، وأن القناعة كنز لا يفنى .. لتحولت القصيدة إلى قط من خشب ..

ولو كان على الشاعر أن يتمسكن .. ويتسول .. ويلبس الثياب المرقعة .. ويبحث عن وظيفة أميرية ، أو صحن حساء .. لتحول الشعر إلى تكية للدراويش ..

ولو كان على الشاعر أن يدير خده الأيسر لمن يضربه على خده الأيمن .. لتحول حكام العالم إلى مجموعة من الملاكمين ..

ولو كان على الشعر أن يبقى دائماً في الأرض الحرام ، أو في المنطقة المنزوعة السلاح ، أو يقبل بمراقبة قوات الطوارئ الدولية ، لتحول الشعر إلى دبلوماسي محترف ، يشتغل عند السيد خافيير بيريز دي كويلار .

ولو كان الشعر من فصيلة الحيوانات الأليفة .. كالحمام الزاجل .. والكناري .. لاشتريناه من عند بائع العصافير ..

ولو كان الشعر موظفاً عثمانياً ، يلبس الطربوش الأحمر ، ويطقطق بمسبحته خلال ساعات العمل ، وينطوي نصفين أمام الباب العالي .. لكان نصف الشعر العربي مكتوباً باللغة التركية .

ولكن الشعر يرفض كل الأعمال المنزلية الآنفة الذكر ، كما يرفض أن يكون زوجة لا تستطيع الخروج من بيت الطاعة .

عندما يختار الشاعر أن لا يقول شيئاً .. وأن لا يُغضِب أحداً .. وأن لا يعتدي على عذرية نملة .. يقولون عنه إنه مؤدب .. وجنتلمان .. وابن ناس ..

ولا أدري ما هو معيار الجنتلمانية في الشعر .. وما هي البروتوكولات التي تجعل من شاعر منبطح على بطنه منذ ثلاثين عاماً ابن ناس .. ومن شاعر يحطم بقبضته زجاج الشمس ابن آوى ...

والسؤال الذي لا بد من طرحه هو التالي :

هل نحن بحاجة إلى شعراء معلقين كالبراويز على حيطان وزارات الثقافة والإعلام .. أم نحن بحاجة إلى شعراء يضرمون النار في ثيابهم على الطريقة البوذية ؟

هل نحن بحاجة إلى شعراء يلبسون الأحذية اللماعة ، والقبات المُنشاة .. ويكتبون القصائد المنشاة .. أم نحن بحاجة إلى شعراء يقلعون جلدهم ، ويلبسون العاصفة ؟

ثم لا أدري ، إذا كان الوطن العربي ، في صورته الحاضرة ، بحاجة إلى شعراء يأكلون الشعر بالشوكة والسكين .. أم بحاجة إلى شعراء متوحشين ينقضون على هذا الخراب الكبير كالنسور الجارحة ؟

إنني بلا تردد مع القصيدة المتوحشة !

مع القصيدة التي لم تقرأ كتاباً واحداً عن فن الجلوس على المائدة ، أو فن تنسيق الأزهار على الطريقة اليابانية ، أو فن تقبيل أيدي النساء على الطريقة الإنكليزية .

لا تستطيع القصيدة أن تكون عاقلة في غابة من المجانين ..

ولا تستطيع أن تكون مانيكاناً .. في كرنفال من القبح ..

ولا تستطيع أن تضع الخلاخيل في ساقيها .. وترقص حتى مطلع الفجر .. لرجال الميليشيات .

ليس هذا زمن العصافير .. ولا زمن المواويل .. ولا زمن الورد واللوز والعنب ..

وليس هذا زمن ابن زيدون ، وابن المعتز ، وابن نباتة الأندلسي ، لأن الأندلس كلها صارت في ذمة الله .. وصار تطبيق القرار 242 مطلب جميع الأندلسيين .

والعالم العربي يتآكل كل يوم كبرتقالة عفنة .. وينام على مسلسلات الرعب .. ويصحو على مسلسلات الرعب ...

إن هيتشكوك العربي ، هو البطل القومي الوحيد ، الذي تملأ تماثيله ساحات المدن العربية ...

أما الشعب العربي فهو موضوع بالفريزر .. وهو بالتعبير المصرفي كمبيالة مؤجلة الدفع حتى إشعار آخر ..

وفي هذا الإطار الهيتشكوكي الرهيب .. العابق برائحة الموت ، والبارود ، والمسدسات الكاتمة للصوت .. مطلوب من الشاعر أن يضرب على طبلته .. ويهز وسطه .. ويشارك في الفرح ..

إنني من زمان بعيد ، مستقيلٌ من وظيفة إحياء الأفراح .

ففي هذا الزمن العربي الذي لا وصف له ، لم يعد أمامي خيارات كثيرة .

فإما أن أكون حمامة تسكن في قبة مسجد ..

وإما أن أكون خنجراً في لحم عصور الانحطاط ..

ولقد اخترتُ أن أكون الخنجر ...

الفهرس

مع تحيات

ahmed15091981@yahoo.com

ومدونة العلم هو القوة

http://nermeen.nireblog.com